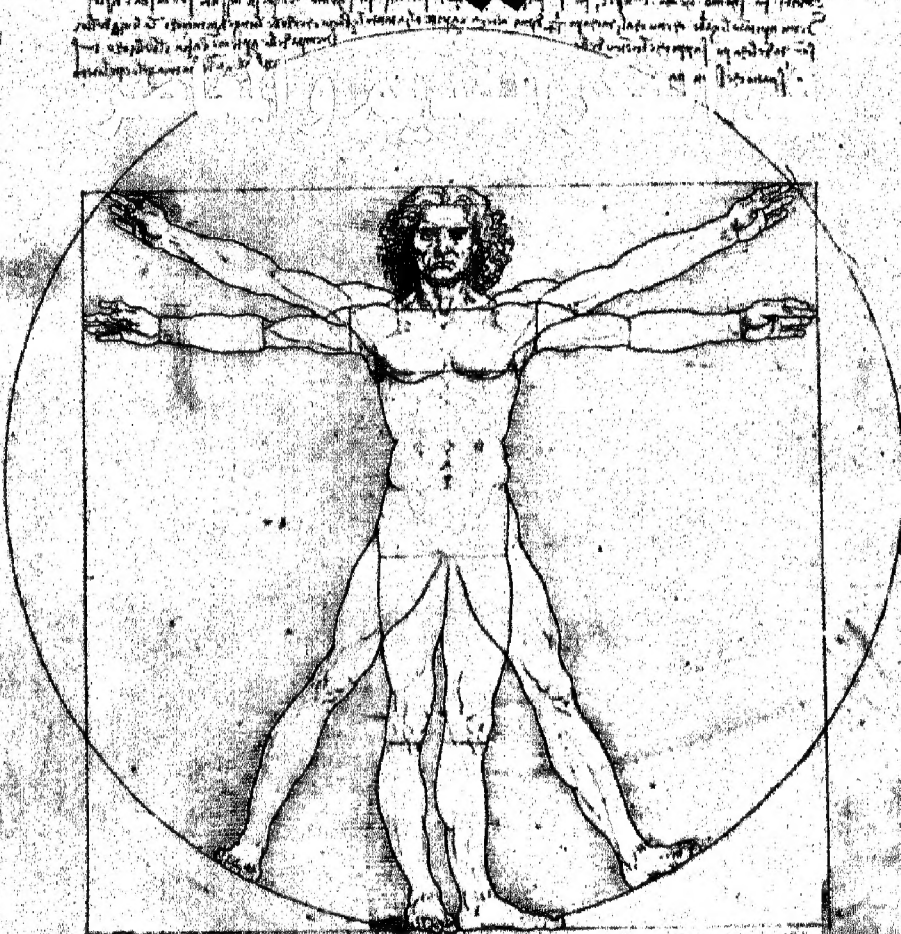


دكتور أحمد عبدالحليم عطية

حائسوس



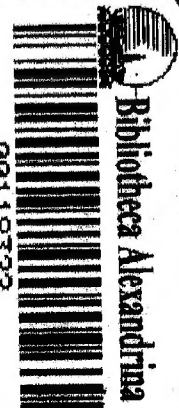
Handwritten text in Arabic script, likely a library or archival record, located below the Vitruvian Man drawing.

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبد الوهاب



00118322



Bibliotheca Alexandrina

جَالِيْنُوسْ
فِي الْفِكْرِ الْقَدِيمِ وَالْمَعَاصِرِ

جَالِينُوسُ فِي الْفِكْرِ الْقَدِيمِ وَالْمُعَاصِرِ

دكتور أحمد عبد الحليم عطية

القاهرة
١٩٩٩

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

أحمد غريب

الكتـاب : جالينوس فى الفكر القديم والمعاصر
المؤلف : دكتور / أحمد عبد الحليم عطية
تاريخ النشر : ١٩٩٩م
حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار نهج للطباعة والنشر والتوزيع

مبنى شويخ

شركة معالجة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ت : ٢٤٦٢٥٦٢

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)
ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقم الإيداع : ٩٨/١٩٧٦

الترقيم الدولى : ISBN

977-303-077-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى الدكتور أحمد عثمان باحثاً كلاسيكياً متفرداً.
جمع بين اللغة والفكر، وبين الأدب والفلسفة، وبين
الكلاسيكية والحداثة والذي انتقلت دراساته من اليونانية
إلى اللاتينية عبر العربية، ومن سوفوكليس وهرقل
وسينيكاً وشكسبير إلى أحمد شوقي، وتوفيق الحكيم.
أهدى هذا العمل...

أحمد عبد الحليم عطية

تقديم

تمتعت بالاطلاع على كتاب "جالينوس" للدكتور أحمد عبدالحليم عطية. ويطيب لى أن أهنئه بهذا الإنجاز كما يسرنى أن أقدمه للقارئ العربى. ذلك أن هذا الكتاب ومؤلفه قد تجشما عبء الولوج إلى مجال مهم فى الدراسات المقارنة. فمن المعروف أن جالينوس إغريقى تنقل من برجامون إلى الإسكندرية وروما وغيرها من مراكز الحضارة الإغريقية الرومانية. إنه إذن نتاج فريد من نوعه لحضارة البحر المتوسط آنذاك.

ويمكن القول إن جالينوس ابن الإسكندرية ومكتبة الإسكندرية والموسيون أو معبد ربات الفنون الملحق بها أو بالأحرى الملحقة هى به لأنه كان بمثابة جامعة بحثية شاملة، وأنشئت المكتبة لتوفير المراجع اللازمة للبحث فى كل الفنون والآداب. وعبّ جالينوس من تراث هذه المدرسة ما عبّ علماء وأدباء وفلسفة. ولذا كان ذا ثقافة موسوعية وعالمية لأن تراث الإسكندرية يجمع بين حضارة مصر القديمة وحضارات الشرق كله من جهة، وحضارة الإغريق والرومان من جهة أخرى وليس من المبالغة فى شىء القول إن المصادر التراثية لجالينوس تغطى هذه المناطق الشاسعة حول حوض البحر المتوسط.

ولأن جالينوس عاش فى فترة متأخرة بالنسبة إلى الحضارة الإغريقية، فبينه وبين القرن الخامس الذهبى قبل الميلاد نحو سبعة قرون. وبينه وبين الأطباء والعلماء والفلاسفة القدامى مسافة زمنية طويلة. نقول ذلك ونحن نضع فى الاعتبار هيبيوكراتيس أو أبقرات مؤسس الطب اليونانى وكذا كلاً من سقراط وأفلاطون وأرسطو الثلاثى الفلسفى الخالد. بل ونضع فى الاعتبار كذلك المدرسة الرواقية والأبيقورية وجميع المدارس الفلسفية الهيلينية. فكل ذلك يمثل الخلفية التراثية الإغريقية. أو بالأحرى المصادر التى نهل منها جالينوس.

وبناءً على ما تقدم فإن كتابات جالينوس تعد إلى حد ما بمثابة الرحيق الذى اعتصره هذا الفيلسوف العالم من قراءاته الواسعة فى التراث الإغريقى الأسبق. ومن هنا يبرز جانب مهم فى كتابات جالينوس ألا وهو أنه يلقي ضوءاً ساطعاً على الفكر الإغريقى برمته منذ بداياته إلى القرن الثانى الميلادى.

هذا ويعرف جالينوس فى أوروبا بأنه "جالينوس العربى" Galenus Arabus ذلك أن جالينوس كان معروفاً ومتداولاً فى دنيا العرب قبل أن يعرفه الأوروبيون بعدة قرون. لقد ترجموه عدة ترجمات وشرحوه وفسروه ونقدوه وحفظوا نصوصه من الاندثار. وسيد المترجمين العرب جميعاً حنين بن إسحق الذى عرف لجالينوس ١٢٩ عملاً ترجم منها حوالى المائة.

وحتى الآن هناك ترجمات عربية هى نقل لنصوص إغريقية من تأليف جالينوس، ضاعت لأصول الإغريقية وبقيت الترجمات العربية. وهناك نصوص لجالينوس مهلهلة فى أصلها الإغريقى فجاءت الترجمة العربية لتصلح ما أفسده الدهر. ناهيك عن الشروح والنقول التى لا حصر لها. فكيف لا يكون جالينوس عربياً؟

وهذه النقطة بالغة الأهمية لأن معنى ذلك أن دراسة الترجمات العربية أصبحت ضرورة لاغنى عنها ليس فقط للمهتمين بالحضارة العربية الإسلامية ومنجزاتها، وإنما أيضاً وبصفة رئيسة لدارسى التراث الإغريقى نفسه. وأبسط مثل على ذلك وأوقعه فى أن هو أن محققى النصوص الإغريقية بحاجة ماسة الآن للرجوع إلى الترجمات العربية. وقد أدرك الأوروبيون ذلك منذ وقت مبكر وحاولوا استدراك الأمر بعقد صلة تعاون وثيقة بين المستشرقين ودارسى التراث الإغريقى الرومانى أى الكلاسيكيين ولكن فالتسر Walzer يقول إن النتيجة لم تكن مشجعة. وهو يرى أن البحث فى هذا المجال يتطلب ما يسميه المنهج ذا المهارة المزدوجة

ambi - dexterous approach ويعنى أن يكون الباحث ضليعا فى اللغة العربية وراثتها من جهة، وفى اللغة الإغريقية واللاتينية من جهة أخرى.

وإذا كان لنا أن نضيف إلى ما قاله فالتسر فإننا نعتقد أن الباحث فى جالينوس عليه أن يلم ليس فقط بتلك اللغات سألغة الذكر بل أيضا بالعقلية الفلسفية الناقدة وبقدر كبير من المعرفة الطبية. ولذلك فنحن نشجع الدارسين فى جالينوس سواء أكانوا من قسم الدراسات اليونانية واللاتينية أم قسم اللغة العربية أو قسم الفلسفة وبأحبذا لو وجدنا طبيبا عربيا متفلسفا يعرف اللغات القديمة وينغمس فى دراسة حول جالينوس.

نقول ذلك ونحن ندرك مدى الصعوبات التى واجهها د. أحمد عبدالحليم عطية وهو يصارع من أجل إتمام هذا الكتاب وفقه الله فى دراساته، وإلى المزيد من العمل والمثابرة.

هذا وبالله التوفيق ،

أحمد عثمان

القاهرة فى ٢٨/٨/١٩٩٤

تصدير

يعد جالينوس (حوالي ١٢٩-١٩٩) من الشخصيات ذات التأثير الكبير في تاريخ العلم والفلسفة. مما دعا مؤرخ العلم المعروف جورج سارتون لأن يخصص له فصلاً كاملاً ضمن المجلد الأول من سفره الضخم "مقدمة في تاريخ العلم".^(١) لقد ولد جالينوس في برجامون Pergamon في آسيا الصغرى. وعاش في زمن الانطونيين، حيث ولد في عصر هادريان، ودخل روما في عهد انطونينوس بيوس، وخدم في بلاط ماركوس أورليوس الملك الفيلسوف.^(٢) ومن المعروف عنه جهوده الطبية المختلفة، أبدى اهتماماً كبيراً للفحص الإكلينيكي مستنداً قبل كل شيء على الوقائع الملموسة غير أن ثقافته الفلسفية كانت تغلب عليه مما ربط بينه وبين مدرسة الإسكندرية^(٣) حيث يمكننا التأكيد على خاصية مميزة لجهود جالينوس العلمية، وهي الارتباط الوثيق في دراساته بين الطب والفلسفة، بين طابع الدراسة العلمية (التشريحية والفسولوجية) والمبادئ الفلسفية الميتافيزيقية، مما دعا صاحب كتاب "تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها" إلى التأكيد على أن "الفلسفة والطب اجتماعاً واتحداً عند جالينوس"^(٤).

لم تقتصر دراسته على : الطب والعلوم والفنون المتصلة به فحسب، بل جمع بينها وبين الفلسفة، بل إنه درس الأدب والبلاغة، يتضح لنا ذلك إذا ما رجعنا إلى فهرست كتبه الذي دوله بنفسه، والذي نجده بصورة غير مباشرة في رسالة حنين بن إسحق، فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه ومالم

(١) G. Sarton : Introduction to the History of Science, Time of Galen pp. 288-313.

(٢) د. محمد سليم سالم : مقدمة تحقيق كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣.

(٣) د. الأب جورج شحاته قنواطي : تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١١٢-١١٣.

(٤) د. نجيب بلدي: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٤٧.

يترجم^(٥) بدأ تأليفه لا بالطب، بل بالفلسفة فكتب في البرهان (المنطق) وفي انفعالات النفس وطرق ضبطها (الأخلاق). وكان تأليفه في ميدان الطب مرتبطاً أشد الارتباط بالفلسفة والمنطق.^(٦)

والهدف من هذه الدراسة هو بيان صورة جالينوس الفيلسوف إضافة إلى ما عرف عنه باعتباره طبيباً، والتأكيد على أهمية ومكانة الفلسفة في كتاباته المختلفة، والعلاقة بين الأسس الفلسفية والأفكار الميتافيزيقية من جانب والنظريات العلمية والطبية من جانب آخر. وإلى أى مدى كان الاتحاد بين هذين المجالين من العوامل المهمة التي ساعدت على قبول أعماله وكانت مصدر اهتمام الفلاسفة اللاحقين بهذه الأعمال، سواء لدى الإسكندرانيين أم السريان أو العرب المسلمين، ويهمننا بالإضافة إلى ما ذكرناه بيان المؤثرات المختلفة التي ساهمت في تكوين جالينوس العلمى والفلسفى والتأثيرات المتعددة التي أثرت وأثرت جهود اللاحقين عليه .

وسوف تنقسم دراستنا الحالية - التي تسعى إلى بيان صورة جالينوس بين الفلسفة والطب في الفكر القديم والمعاصر - إلى مقدمة وستة فصول، نتناول في المقدمة شخصية جالينوس العلمية، ونتوقف في الفصل الأول أمام "جالينوس الطبيب" وهو الجانب الأكثر شهرة لجالينوس سواء في العربية أم غيرها، ثم نعرض لأعماله الطبية كما عرفت سواء على مستوى الترجمة أم النقل والعرض والتلخيص والشرح أم النقد والتعقيب، وما يهمننا هنا هو كيف تعامل الأطباء اللاحقين مع هذه الاعمال مما جعلها جزءاً أساسياً حياً في تاريخ الطب، وعنصراً مهماً في تطوره واستمراره^(٧).

(٥) حنين بن إسحق : رسالة إلى يحيى بن على فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم "في كتاب بدوى : دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٦) د. نجيب بلدى : المصدر السابق، ص ٤٧.

(٧) لم يدرس دور جالينوس وأثره في تطور الطب العربى منذ الرصد الببليوجرافى الشامل الذى قدمه حنين بن إسحق عما ترجم من كتب جالينوس إلى العربية، وماذكر عنه في كتب تاريخ العلم العربى، ولا توجد سوى جهود ينبغى التأكيد على أهميتها من بعض الباحثين والهيئات العلمية لتحقيق ونشر كتب جالينوس الطبية نشرت علمياً، نخص بالذكر منها جهود الدكتور محمد سليم سالم، ومركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب وما كتبه عنه د. ماهر عبدالقادر في كتابه : حنين بن إسحق، العصر الذهبى للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

ونجتهد في الفصل الثاني من أجل بيان صورة أخرى مهمة توارت أمام صورة جالينوس الطبيب وهي صورة الفيلسوف، الذي لم يكتف فقط بالطب بل تعمق العلوم المختلفة. إن صورة جالينوس الحقيقية لن تكتمل بقولنا فقط إنه أحياناً طب أبقراط ، وقدم الكتابات الكثيرة في شتى مجالات الطب تشخيصاً وتشريحاً وعلاجاً وتأليفاً، بل بالتأكيد على تعمقه في الفلسفة وإلمامه بالمذاهب المختلفة للفلاسفة اليونان: أفلاطون، وأرسطو، والرواقية، والسفسطائية. وذلك عن طريق بيان مصادر تكوينه الفلسفي، وكتاباته المختلفة في الفلسفة، وأهم القضايا التي شغل بها، وموقف الفلاسفة اللاحقين عليه في هذه القضايا. إن هذا الجانب قد أسهم إلى أقصى حد في إبراز سمة مهمة في أعمال جالينوس " سواء من خلال مناقشته لأراء المعلم الأول أم من خلال ردود شراح أرسطو اليونان والعرب عليه، وهو جانب يحتاج إلى تأكيده وتوضيحه حتى تكتمل الصورة.

ويطرح علينا هذا الجانب الفلسفي من صورة جالينوس الذي أكدّه عليه الباحثون ومؤرخو جالينوس^(٨)، أسئلة عديدة عن إسهاماته الفلسفية ، وهي إسهامات يغلب عليها الطابع العلمي المنهجي تظهر في أعمال قائمة بنفسها أو في ثنائيا أعماله الطبية بشكل واضح، وقد كان المنطق لدى جالينوس يعد أساس منهجه في الطب ، وجالينوس المنطقي يكاد يكون مجهولاً عند الكثيرين^(٩). على رغم أهمية هذا الجانب في بيان صورته؛ لذا جعلناه محور الفصل الثالث من دراستنا.

(٨) بعد أن ذكر حنين بن إسحق كتب الطب فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم، يعرض لكتبه في البرهان، ثم كتبه في الأخلاق، حيث عرض للكتب التي نحا فيها نحو فلسفة أفلاطون ويعد لنا ثلاثة كتب بينما التي نحا فيها نحو فلسفة أرسطوطاليس يذكر كتاب في أن المحرك الأول لا يتحرك " راجع تحقيق د. بدوي لهذه الرسالة في كتابه: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١ خاصة ص ١٧٦ - ١٧٨.

(٩) أشار نيقولا ريشر في كتابه تطور المنطق العربي ترجمة د. محمد مهران رشوان إلى العلاقة الوثيقة بين الطب والمنطق، وخصص جيران جهامي بعض الصفحات القليلة في مقدمة تحقيقه للتخمين ابن رشد منطق أرسطو للحديث عن شراح أرسطو من اليونان ومنهم جالينوس، منشورات الجامعة اللبنانية ، المجلد الأول بيروت ١٩٨٢ ص ٧٠ - ٧٢، وترجم الزميل د. إسماعيل عبد العزيز دراسة ريشر : جالينوس والقياس دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

وتكتمل هذه الدراسة بتقديمنا صورة جالينوس الأخلاقي أو عالم الأخلاق، الذى قدم عدداً من الدراسات أوجدت تياراً مهماً فى الدراسات الأخلاقية التى ربطت بين الطب (علم الأبدان) والأخلاق (طب النفوس). بل يمكن القول دون أدنى مبالغة - إن جهود جالينوس الأخلاقية أسهمت فى ظهور كتابات فى التحليل النفسى - الطبى للأخلاق^(١٠)، مما جعل من أعماله، وتأثيرها لدى اللاحقين عليه من الفلاسفة، منطلقاً لاتجاه فيزيولوجى متميز فى الدراسات الأخلاقية العربية ظهر بوضوح لدى: الرازى ومسكويه وأبى سعيد عبيد الله بن بختيشوع وغيرهما وذلك هو موضوع الفصل الرابع.

والفصل الخامس يعرض لجالينوس فى الدراسات الحديثة فى الفكر المعاصر. ونتناول فيه الجهود العملية مختلفة فى نشر وتحقيق أعمال جالينوس والاهتمام بأعماله الطبية وثالثاً الدراسات المعاصرة فى فكره الفلسفى والأخلاقي خاصة والدراسات الإنسانية عامة.

ونناقش فى الفصل السادس والأخير قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم عند جالينوس تحت عنوان الميتافيزيقا وطب جالينوس، متوقفين أمام سؤال أساسى حول دور الأفكار والأسس الفلسفية الميتافيزيقية فى صياغة نظريات جالينوس الطبية.

وقد الحقنا بالعمل الحالى دراسة ريتشارد فالتزر عن فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربى مكثف حديثاً.

(١٠) راجع رسالة أبوسعيد عبيد الله بن جبريل بن بختيشوع: فى الطب والأحداث النفسانية، تحقيق فليكس كلاين فرانكة، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

مدخل

مصادر معرفتنا بجالينوس

إن المتتبع لكتب التراث العلمى يوافقنا على القول، إنه لا يخلو مصدر من هذه المصادر التى تناولت: أصوله، ونشأته وتطوره ورجاله وطبقاته من بيان أثر جالينوس وأهميته، وكتابات، وترجماته، وتأثيرها والردود عليها، والرد على هذه الردود. وعلى الرغم من أن بعض هذه المصادر مفقود، فإن ماتبقى لدينا من مصادر متاحة حتى الآن يمكننا من تقديم تلك الصورة التى عرف بها جالينوس، وهى -كما سيتضح لنا- صورة مهمة ومؤثرة^(١).

(١) راجع كتاب حنين بن إسحق : تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيد مع كتاب ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٩٨٥، ويلى ذلك كتاب، حنين نودار الأطباء، وهو مجموعة مقتطفات من آداب وأقوال الفلاسفة والحكماء اليونانيين جمعها مؤلف مجهول من أقوال حنين، توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٧٥٦. وأدب الطبيب لإسحاق بن على الراوى (ق ٣هـ) الذى لم يصلنا بدوره، وسيرة الحكماء لأبى بكر الرازى، وهو ايضا لم يصلنا، وأخبار المتطببين وأخبار المنجمين لأحمد بن يوسف (ابن الداية) مفقود، ويشير إليه ابن أبى أصيبعة، ص ٧٥. وإذا كانت هذه المصادر مفقودة، فإن معظم مصادر القرن الرابع وما بعده متوفرة وفى مقدمتها "الفهرست" لابن النديم (حوالى ٣٧٧هـ) انظر التحقيق العلمى الدقيق له، الذى قام به الدكتور شعبان خليفة وزميله فى مجلدين ، العربى للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١. وكتاب صوان الحكمة للسجستانى (ق ٤هـ) وقد حققه د. عبد الرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل، ومناقب الاطباء لعبد الله بن جبريل بن عبد الله بن بختشروع، الذى ألفه عام ٤٢٢هـ، وإن كان لم يصل إلينا ، وطبقات الأئمة للقاضي صاعد الأندلسي، تحقيق حياة العيد بوعنوان، دار الطليعة، بيروت، لبنان ١٩٨٥، وبستان الأطباء وروضة الألباء لموفق الدين أسعد بن الياس بن المطران (ت ٥٨٧هـ) وهو مخطوط برقم ٨ مكتبة الجيش فى كليفلند بأمریکا، ومنه نسخة مصورة بمكتبة دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة. وكتاب المبشر بن فاثك : مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق د. عبد الرحمن بدوى، مدريد ١٩٥٨، وظهير الدين البهيكى : تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كردعلى، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ط ٢ ١٩٧٦ ثم كتاب القفطى : أخبار العلما بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر ببيروت د. ت. ثم تجمعت تلك الكتابات وكانت مصدراً للعمل الضخم لابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشرة نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

وتنقسم هذه المصادر إلى ثلاثة أنواع : المصادر القديمة اليونانية والسكندرية ثم السريانية والعربية، ثم المصادر الحديثة عربية أو غربية. وسنعرض لكل منها لبيان ملامح صورة جالينوس ليس فقط كطبيب بل أيضاً كفيلسوف.

والهدف الأساسى من تناول هذه المصادر ليس بيان ما ذكرته عن جالينوس فقط بل تأكيداً على ناحية مهمة وهى تكوينه العلمى والفلسفى، وبيان اهتماماته الأولى بالمنطق والرياضيات والفلسفة والبلاغة وكتاباتة في هذه المجالات المختلفة.

وأول هذه المصادر القديمة هو كتاب يحيى النحوى "تاريخ الأطباء". ويحيى النحوى شخصية مهمة فى التراث العلمى والفلسفى السكندرى، ترجع أهميته إلى كونه فيلسوفاً وطبيباً تتلمذ على كتابات جالينوس، وفسر بعضها، وأسهم في تصنيف جوامع جالينوس الستة عشر، وربما يرجع سبب اهتمام يحيى بجالينوس، أن كلا منهما لم يكن طبيباً فحسب، فقد كان يحيى النحوى قوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة، ولقوته فى الفلسفة الحق بالفلسفة لأنه أحد الفلاسفة المذكورين فى وقته^(٢)

ويأتى بعد ذلك "الفهرست" لابن النديم، الذى خصص فصلاً كاملاً لعصر جالينوس، وهذا الجهد الذى قدمه صاحب الفهرست ظل مسيطراً على تصنيفات كتب تاريخ العلم العربية، فالباب الخامس من كتابه الذى جعله فى الأطباء الذين كانوا فى زمن جالينوس وقريباً منه^(٣)، يجعل من جالينوس نقطة مرجعية يحدد من خلالها تواريخ الفلاسفة والأطباء^(٤).

(٢) يحتاج يحيى النحوى إلى دراسة مستفيضة توضح أهميته ودوره فى شرح التراث الفلسفى اليونانى وتأثيره فى العربية راجع إشارات د. عبد الرحمن بدوى إليه فى الأفلطونية المحدثه عند العرب، صفحات ٣٠ - ٣٦. وكذلك ما جاء عنه فى تحقيق د. أبو ريان لكتاب الشهرزورى: تواريخ الحكماء ص ٤٧٩. ويحيى النحوى لقب آخر هو فيلوبينوس أى المجتهد. وهو من جملة السبعة حكماء (السكندريين) المصنفين للجوامع الستة عشر. انظر ابن أبى أصيبعة ص ١٥٣.

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٥١ .

ويذكر لنا ابن جليل في "طبقات الأطباء والحكماء" مصدر ما يقدمه لنا من معلومات عن جالينوس من خلال كتب جالينوس نفسها^(٥)، ويقدم لنا صاحب "طبقات الأطباء والحكماء" ترجمة لجالينوس ضمن الطبقة الرابعة من "حكماء اليونان" يهمنها منها تأكيد على صورة جالينوس الفيلسوف^(٦)، ويبرز لنا الجانب المنطقي لديه سواء عند ذكر ترتيب كتب أرسطو المنطقية - حين يخبرنا في "الكلام على باري ارميناس - "أن لجالينوس تفسيراً له، أم حين يتناول كتب جالينوس^(٧). يوضح أيضاً الجانب الأخلاقي الذي عرفه العرب عن جالينوس؛ فقد ترجموا كتاباته المختلفة في الأخلاق مثل : كتاب في أن الطبيب الفاضل فيلسوف ، وكتاب تعرف المرء عيوب نفسه^(٨) وكتاب الأخلاق نقل حبيش، وكتاب انتقاع الأخيار بأعدائهم^(٩)

(٥) مثل : الأمراض العسرة البرء (ص ٤٣)، قاطاجانس (ص ٤٣) كتاب ينبغى للطبيب ان يكون فيلسوفاً (ص ١٧)، الادوية الطبية (٤٢)، وهو يستعين في حديثه عن اسقليبيوس بما ذكره جالينوس عنه في الحث على الطب، وفي المقالة الاولى من كتابه إلى أغلوقن الفيلسوف ، وفي صدر حيلة البرء (ص ١١) ويتناول قوله في كتابه : ينبغى للطبيب أن يكون فيلسوفاً " إن من طلب علم أبقراط فلنحتذوا حذوه في الفضل والرغبة في الفضيلة وتجنب الرذيلة (ص ١٩). ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

(٦) يقول فيها : "برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشر سنة، وله تواليف كثيرة العدد في فنون من العلوم، وكان جالينوس هذا عالماً بطريق البرهان خطيباً" (ص ٤١-٤٢)، كان في أيامه قوم ينسبون إلى علم أرسطوطاليس وهم المشائون، والمعروفون بأصحاب المظلة وهم الرواقيون، ألف فيهم كتاباً في الأسباب الماسكة ورد على كثير من القدماء، وناقض السوفسطائية، وألف في المنطق كتاب البرهان.. ولم يكن في زمانه أداب منه على قراءة كتاب فيما ذكره عن نفسه وكان يأخذ نفسه كل يوم بدراسة جزء من الحكمة"، المرجع السابق، ص ٤١-٥٠.

(٧) ومنها كتاب البرهان "وهذا جعله في خمسة عشرة مقالة و"كتاب المدخل الى المنطق" نقل حبيش مقالة، كتاب التفسير الثالى (التحليلات الثانية) نقل إسحق بن حنيس ثلاث مقالات.

(٨) عرف هذا الموضوع لدى الفلاسفة المسلمين وقد تناوله ابن سينا في كتاب السياسة، في كتاب لويس شيخو، مقالات فلسفية، مطبعة البستانى، القاهرة .

(٩) اعتمد عليه مسكويه اعتماداً كبيراً، ولخصه في تهذيب الأخلاق .

وتتضح معرفتنا بمكانة جالينوس العلمية، ليس فقط في الطب بل أيضاً في مجمل العلم الطبيعى والبرهان (المنطق) مما أورده القاضى صاعد الأندلسى فى "طبقات الأمم" الذى يرى أنه : "إمام الأطباء فى وقته، ورئيس الطبيعيين فى عصره، مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علوم الطبيعة وعلوم البرهان. وهو على المكانة والمنزلة بين العلماء، يمثل مع أبقرات القمة التى وصل إليها علم الطبيعة بعد أرسطو. يقول: " لا أعلم بعد أرسطو من "أعلم بعلم الطبيعة من هذين الفاضلين، أعنى أبقرات وجالينوس، والطبيعون سوى هذين.. أكثرهم ضعيف النظر، بعيد عن الصواب"، وقد نبه أرسطوطاليس وجالينوس فى كتبهما إلى خطئهم وردا عليهم آراءهم بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة^(١٠).

وقريب من هذه الصورة مانجده لدى المبشر بن فاتك (أواخر القرن الخامس الهجرى) الذى اعتمد على نواذر الفلاسفة والحكماء القدماء لحنين بن إسحق، والذى ترجع أهميته إلى اعتماد كثير من المؤرخين التالبيين له عليه مثل الشهرستاني والشهرزورى^(١١)، وجالينوس عنده هو خاتم الأطباء الكبار، لم يجرى بعده من الأطباء إلا من هو دونه منزلة ومتعلم منه.. كان حريصاً على التعلم وطلب العلم فى العلوم المختلفة. فقد سافر إلى أثينا وروما والإسكندرية وغيرها من البلاد فى طلب العلم، وتعلم من أرمينيس الطب وتعلم من جماعة مهندسين ونحاة وخطباء الهندسة واللغة والنحو^(١٢) وكان من صغره متهيئاً للعلم البرهائى، طالباً له شديد الحرص عليه والاجتهاد فيه والقبول له، ويبين أنه كان على دراية بمعظم الفرق والتيارات

(١٠) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلون، ص ٨٤-٨٥.

(١١) مثل الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) فى الملل والنحل، القسم الخاص بحكماء اليونان، والشهرزورى (ت ٦٤٨هـ) الذى ينقل معظم الفصول بحروفها فى "نزهة الأرواح وروضة الأفراح" بحيث يمكن أن نعد العاملين عملاً واحداً، انظر: الشهرزورى: نزهة الأرواح وروضة الأفراح، تحقيق د. محمد على أبو ريان: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣ صفحات ٤٦١-٤٨٨، والمبشر بن فاتك نشرة بدوى، ص ٢٨٨-٢٩٦.

(١٢) انظر : المبشر بن فاتك، ص ٢٨٩- الشهرزورى، ص ٤٦٣.

الفلسفة المعروفة حتى عصره، كما يتضح لنا ذلك من حياته ورحلاته ودروسه وكتابات.

فقد سافر إلى رومية وشرح برومية أمام بوثيوس ، وكان يحضر دروسه أوديموس Eudemos الفيلسوف من فرقة المشائين ، والإسكندر الأفروديسي^(١٣)، ويحيى الدمشقي، الذي قد أهل في ذلك الوقت ليعلم الناس في أثينا في مجلس عام علوم الحكمة على رأى المشائين ، وقد كان يحضرهم الذي كان يتولي في مدينة رومية وهو سرجيوس بن بولوس، المقصود هو [مارقس أورليوس]^(١٤) ومما يوضح اهتمامه الكبير بالفلسفة مذكره المبشر بن فائق من رواية احتراق كتبه - التي يبالغ فيها مبالغة لاندري حقيقتها في كون هذه الكتب بخط أرسطوطاليس وانكساجوراس- فقد احترق له في الخزانة التي كانت للملك كتب كثيرة واثاث له قدره، وكانت بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس وبعضها بخط انكسا جوارس واندروماخوس صحح قراءتها على معلميه الثقة وعلى مارواه من أفلاطون^(١٥)، تلك هي صورة الفيلسوف الموسوعي الذي ألم بالطب والمنطق ودرس الفلسفة وناقش الفلاسفة ورد عليهم.

ويؤكد القفطي على هذه الصورة لجالينوس في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" فهو "الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني"^(١٦)، وينقل لنا ماجاء في "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي من تعمقه في علم الطبيعة والبرهان ومثابرته على دراسة الفلسفة وجميع العلوم الرياضية^(١٧)

ويستعين ابن أبي أصيبعة في حديثه عن وجود صناعة الطب وأول حدوثها في الباب الأول من كتابه بما ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط، لبيان صعوبة البحث في هذا الموضوع، ذلك محور القضية

(١٣) يذكر القدماء أن الاسكندر الأفروديسي رأى جالينوس واجتمع معه، وأن بينهما مشاغبات ومخاصمات ، وأن للأفروديسي عدة كتب في الرد على جالينوس.

(١٤) ابن فائق ص ٢٩، الشهرزوري، ص ٤٦٦.

(١٥) ابن فائق، ص ٢٩٢.

(١٦) هذا هو تعريف القفطي لجالينوس في أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٥٨-٨٦.

(١٧) المصدر السابق، ص ٨٦.

الأساسية التي تهمنا في بحثنا هذا حيث يرد جالينوس نشأة الطب إلى الوحي الإلهي هنا تتدخل الميتافيزيقا والدين لتفسير مصدر وأساس علم الطب^(١٨)، ويذكر أقساماً مبدئية في هذه الصناعة [يقصد آراءً مختلفة في بيان نشأتها] كثير منها مستمد من جالينوس صراحة أو ضمناً.

ويبين اهتمام العرب بنقل ما كتب جالينوس أو شرح أو فسر من كتب أبقرات . ويصحح معرفتنا بكتابات أبقرات عن طريق ما عرف في العربية من كتب جالينوس عنه^(١٩)، فهو حجة من الثقافات في كتب أبقرات؛ لذا فإن ابن أبي أصيبعة حين يذكر كتب "أبيذيميا" أبقرات وفيها، يستشهد برأى جالينوس^(٢٠).

ويخصص الباب الخامس كلية للحديث عن جالينوس ، يناقش فيه اسمه وحياته، والاختلاف حول مولده ، وذلك بناء على ما ذكره جالينوس في كتابه "مراتب قراءة كتبه" وفيه نجد العناصر المختلفة التي كونت ثقافة جالينوس والتي تتضح فيها ملامح صورته الفلسفية ، يقول: " إن أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها

(١٨) فقد ذكر جالينوس أن البحث فيما بين القدماء عن أول من أوجد صناعة الطب، لم يكن بحثاً يسيراً (ص ١١) ويثبت رأى جالينوس في هذه القضية، وهو أن الله تعالى خلق صناعة الطب فلا يمكن في هذا العلم الجليل أن يستخرجه عقل إنسان : ويذكر لنا نص ما ذكره جالينوس (ص ١٣) ويضيف موقف ابن المطران من هذا الرأى، الذى يقول " هكذا كلام مشوش، كله مضطرب، وإن كان جالينوس قال في تفسير " العهد " إن هذه الصناعة وحيه إلهامية " ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٤.

(١٩) حيث يدعي البعض أن جالينوس فسر " الخمس والعشرين قضية في الموت التى لا يعلم العلة فيها " وهذا ما يستبعده ابن أبي أصيبعة؛ لأن ذلك غير حقيقى إذ " لو كان حقاً ووجد تفسير جالينوس لنقل إلى العربية، فكل كتب أبقرات التى فسرهما جالينوس نقلت بأسرها للعربية . نفس المصدر ص ٤٩.

(٢٠) الذى يقول : إلى وغيرى من المفسرين نعلم أن المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب مدلسه [منحولة] ليست من كلام أبقرات (ص ٥٥) كذلك كتاب قاطيطرون (أى حانوت الطبيب) الذى من الأفضل ترجمته - كما يرى جالينوس - كتاب الأشياء التى تعمل فى حانوت الطبيب (ص ٥٥).

الأحداث حتى انتهت في السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم إنه أسلمني في تعليم المنطق، وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها فرأى رؤيا دعتة إلى تعليمي الطب"(ص ١١٠)

وتتضح أهمية هذا المصدر فيما يورده لنا ابن أبي أصيبعة مما ذكره جالينوس في فينكس كتبه عن تكوينه الفلسفي مما يساعدنا على بيان دور الفلسفة في تكوينه يقول جالينوس: " ففى هذا الزمان جمعت كل ماجمعت عن المعلمين وماكنت استتبطته ، وفحصت عن أشياء كثيرة، ووضعت كتباً كثيرة لأروح بها عن نفسى فى معان كثيرة فى الطب والفلسفة" (ص ١١٤) ويذكر لنا ابن أبي أصيبعة كتابه فى الأخلاق ويستشهد به (ص ١١٤..١١٦) ويبين شغفه بعلم المنطق، "فقد كان جالينوس منذ صغره متهيئاً للعلم البرهائى طالباً له" (ص ١٢٥) ويفيض فى بيان سيرته اعتماداً على ما جاء فى كتبه^(٢١). ثم يحدثنا عن جالينوس وأخلاقه (١٢٩، ١٣٤) ويعرض لنا بالتفصيل مصنفات جالينوس "خاصة ماوجده منتشرًا فى ايدى الناس" وأغراض جالينوس فى كل كتاب وهو يعتمد على رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس وماترجمه غيره بمعرفته (ص ١٣٤-١٤٨)^(٢٢) ثم يضيف إلى ذلك ما هو منسوب إليه بنقل حنين بن إسحق وغيره، وليس له ذكر أصلاً فى رسالة حنين السابقة (ص ١٤٩) ويعددها لنا،^(٢٣) ويبين أن لجالينوس كتباً أخرى كثيرة مما لم يجده الناقلون منها ، ومما قد اندرس على طول الزمان ،

(٢١) "فينكس كتبه"، فى محنة الطبيب الفاضل ص ١٢٧، ١٢٨، "الأخبار من الناس يلتفتون بأعدائهم"، ابن أبي أصيبعة ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢٢) راجع هذه الرسالة فى بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٢٣) يقال إن حنين وضع مقالة صغيرة بالسريانية يكمل بها عمل جالينوس، ويذكر ماترك الأخير مستدركا عليه (ابن أبي أصيبعة ص ١٤٩) والرازي أيضاً، يذكر ابن النديم أن له فهرساً فى استدراك مابقى من كتب جالينوس ، انظر د . أحمد عبدالحليم عطية : علم البليوجرافيا عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ٢٤ - الفارابى : فى الرد على جالينوس فيما ناقض فيه ارسطوطاليس لأعضاء الإنسان ، فى بدوى، رسائل فلسفية، ص ٣٨-١٠٧.

وخصوصاً ما فى المقالة الثانية مما ذكره فى فهرست كتبه" ولذلك فمن كانت له رغبة فى النظر فى أسمائها، وفى أغراض كل واحد منها فعليه بالنظر فى ذلك الكتاب (ص ١٤٩).

ويعرض فى الباب السادس "طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان فى أزمئتهم من الأطباء النصارى وغيرهم" انطلاقاً من جهودهم فى تفسير وترتيب كتب جالينوس.

ويذكر فى الباب الثامن علاقة السريان بجالينوس (ص ٢٠١). ويشير إلى الأطباء العرب الذين تتلمذوا وكتبوا وشرحوا كتب جالينوس فى الباب العاشر من كتابه عن "طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر" وكذلك يفعل مع الأطباء الذين ظهروا فى بلاد العجم فى الباب الحادى عشر، والأمر نفسه مع الأطباء الذين ظهروا فى بلاد المغرب أو أقاموا بها فى الباب الثالث عشر، حيث يعرض لمن صنفوا وشرحوا ولخصوا كتب جالينوس.

تلك هى الملامح الرئيسة لصورة جالينوس فى مصادر تاريخ العلم العربى وهناك نوعية أخرى من المصادر المتخصصة التى تعرضت لجالينوس فى الفترة نفسها ونقلت عنه أوردت عليه فى مجالات محددة فى الفلسفة، الفارابى. وفى الأخلاق العامرى "السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية" (٢٤). ومسكويه "تهذيب الأخلاق" (٢٥) وفى المنطق بعض رسائل يحيى بن عدى (٢٦) بالإضافة إلى كثير من الردود عليه من: الرازى، وابن ميمون وغيرهما، ولن نتوقف أمام هذه الكتابات فى سياقنا الحالى، الذى يعرض لصورة جالينوس كما تحددت فى كتب تاريخ العلم مرجئين تناولها

(٢٤) العامرى: السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية، تحقيق د. احمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١ صفحات ٢٢، ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٥، ٩٩، ١٣٧، ١٤٥، ١٩١، ١٩٤، ١١٢، ٣٦١.

(٢٥) مسكويه تهذيب الأخلاق، تحقيق د. قسطنطين زريق، نشر الجامعة الأمريكية ببيروت. وراجع دراسة د. عبد العزيز عزت: مسكويه وفلسفته الأخلاقية، القاهرة ١٩٤٧.

(٢٦) راجع كتاب مقالات يحيى بن عدى، دراسة وتحقيق د. سحبان خليفات، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨، صفحات ٦٦، ٩٧، ٩٨، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٨.

حتى نعرض لها في موضعها عند الحديث عن الجوانب الفلسفية والمنطقية والأخلاقية التي عرفها العرب من جالينوس.

أما بالنسبة إلى المصادر الحديثة فهي مصادر عربية وغربية، تتمثل المصادر العربية في كتب تاريخ العلوم العربية؛ خاصة الطب والصيدلة والعقاقير أو التاريخ لمدرسة الإسكندرية، أما بالنسبة للمصادر الغربية فقد تنبه عدد كبير من الباحثين إلى أهمية دور العرب في حفظ مؤلفات جالينوس واستمرارية التراث الجاليني بفضلهم، نذكر من جهود هؤلاء ماكتبه: ماكس سيمون M. Simon عن "جالينوس عند العرب" ^(٢٧) و دونالد كامبل Campel عن "جالينوس وازدهار مدرسة الاسكندرية" ^(٢٨) وخصص ماكس مايرهوف عدة دراسات تعرض لمقتطفات من "السيرة الذاتية لجالينوس في المصادر العربية" ^(٢٩) و"المصادر الأصلية والمزيفة لجالينوس تبعا للمصادر العربية" ^(٣٠) و"الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس" ^(٣١) و"الصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس" ^(٣٢)، وأيضا واينبرج؛ تشريح الدماغ في

(27) cf. Max Simon: Zum arabischen Galen p.741-749

- أعمال تاريخ العلوم عند العرب، إشراف فؤاد سيزكين .
 (٢٨) د. دونالد كامبل : جالينوس وازدهار مدرسة الإسكندرية ، مع مراجع خاصة لكتابات التي ترجمت إلى العربية واليونانية واللاتينية والعربية ، ص ٢٠٢-٢٠٥ المصدر السابق المجلد الخامس
 (٢٩) ماكس مايرهوف : مقتطفات من السيرة الذاتية لجالينوس في المصادر العربية ، المصدر السابق المجلد السادس، ص ١١٨-١٣٢ .
 (٣٠) ماكس مايرهوف "حول مصادر أصيلة ومزيفة لجالينوس تبعا للمصادر العربية"، المجلد الخامس ص ٤٧٥-٤٩٠ .
 (٣١) وله أيضا : الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس " المرجع السابق ص ٢٨٣-٣٠١ .
 (٣٢) والصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس" الموضع نفسه ص ٣٠٣-٣٣٢ ، بالإضافة إلى عدة دراسات أخرى حول نفس الموضوع، مثل : حول كتب أصيلة لجالينوس كانت لاتزال متداولة عند العرب" ، المرجع نفسه ص ٤٧١-٤٧٤ . "واين ميمون ينتقد جالينوس"، المجلد السابع ص ٣٦٧-٣٧٢ ، " حول قطعة بقيت من كتاب جالينوس في الأسماء الطبية" نفس المصدر ، المجلد الخامس ٤٩١-٥١٤ وله بالاشتراك مع د. شاخت : كتاب الأسماء الطبية لجالينوس، المجلد السادس ص ١-٦٦ .

أعمال جالينوس وعلى ابن عباس المجوسى^(٣٣) و.ج. أروسل : "تشریح العین: ابن الهیثم وتقالید جالینوس"^(٣٤). إضافة إلى ما كتب عنه من مواد مختلفة في دوائر المعارف الإسلامية، ودائرة معارف القرن العشرين، والفصول المختلفة فيما كتب عن مدرسة الإسكندرية الفلسفية^(٣٥).

(٣٣) وينبرج : تشریح الدماغ فی أعمال جالینوس وعلى بن عباس المجوسى، أعمال تاریخ العلوم عند العرب، المجلد الرابع ص ١٩٥-٢٣٣. وبالنسبة لحياة على بن عباس المجوسى فنحن لانعرف سوى الخطوط العامة عنها وهو فى كتابه المعروف بالكتاب الملكى، وفيه ينتقد التألیف التى سبقته، ويناقش الاطباء اليونان خاصة جالینوس. انظر أ. بروان : الطب العربى ترجمة دواد سليمان على، مطبعة العائى بغداد ١٩٦٤ ص ٥٦-٥٧.

(٣٤) و.ج.أ. روسل : تشریح العین : ابن الهیثم وتقالید جالینوس. حيث تبين أن جهود ابن الهیثم فى ربط فيزياء الضوء بتشریح العين التى خلقت فسيولوجيا البصريات تمت داخل نطاق نظريات جالینوس : أبحاث المؤثر العلمى الثانى عن الطب الإسلامى، المجلد الثالث، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ١٩٨٢، ص ٢٢١.

(٣٥) أنظر كل من د. نجيب بلدى: تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢، ود. حربي عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى والدينى فى مدرسة الاسكندرية القديمة، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢، وكذلك مادة جالینوس فى موسوعة اعلام الفلسفة، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ الجزء الأول ص ٣٧١-٣٧٢. ومادة جالینوس فى جورج طرابيشى [معد] معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٣١.

الفصل الأول

جالينوس الطبيب

تمهيد: (١)

عرف جالينوس بوصفه طبيباً أساساً، بل ربما أهم شخصية طبية في تاريخ الطب، وعادة مايقرن بأبقراط على الرغم من القرون العديدة التي تفصل بينهما، أبقراط باعتباره أبا الطب وجالينوس أشهر من أحيا طب أبقراط^(٢)، فقد شرح كتبه، وطبب، وعالج، وحل معضلات كثير من الأمراض التي حار فيها غيره من الأطباء وصنف عدداً كبيراً من الكتب في جميع تخصصات الطب.

هو كلوديوس جالينوس بن نكون، يوناني عاش في العصر الروماني، يعد الشخصية الطبية الثانية بعد أبقراط في الأهمية، ولا يقربهما طبيب ثالث في تسلسل عظماء الطب في العصور اليونانية والرومانية. وقد وضع تفسيرات لبعض كتب أبقراط فهو اعرف بمؤلفاته الحقيقية والمنحولة. كتب

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على بحثين لنا: الأول عن "جالينوس وحنين ابن إسحق" قدم في المؤتمر الدولي للأدب المقارن الذي عقد بكلية الآداب جامعة القاهرة في الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٥، والثاني عن "موقف الأطباء العرب، من جالينوس" قدم في الندوة الدولية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب التي عقدت برأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، في الفترة من ١٦-٢٠ ديسمبر ١٩٩٦.

(٢) يخبرنا جورج سارتون في الفصل الرابع عشر من الجزء الثاني من كتابه تاريخ العلم عن الشروح الأولى لـ "مجموع المصنفات الأبقراطية"، إن أهم الشراح القدماء وأوسعهم عملاً هو جالينوس فقد وضع من الشروح على مؤلفات أبقراط ما قرب بين الاسمين حتى غدا الكثيرون من العلماء (غير الواقفين على تاريخ الطب) يتحدثون عنها معاً كما لو كانا أخوين توأمين وكأنهما يمثلان عصراً واحداً ومدرسة واحدة، وهذا أمر غير صحيح لأنه يفصل بين الرجلين ستة قرون من الزمان. ومن المؤلفات التي وضعها جالينوس كتاب يبحث في الصحيح والمنحول من كتب أبقراط De geniunis Soiptis hippacratidis وقد فقد، وأشار إليه حنين بن إسحق في رسالته المشار إليها. أنظر سارتون: تاريخ العلم، المجلد الثاني، دار المعارف القاهرة ط٣ عام ١٩٧٨، ص٢٤٩.

عن "أعمال أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة"، وكانت تفسيراته بديلاً عن كتب أبقراط.

ولد في برغامون، وكان أبوه رياضياً ومهندساً، ويحلم أن يكون ابنه طبيباً فتعلم أولاً الهندسة والرياضيات ثم درس التشريح على يد كل من بيلبوس Pelpos وتمسياس Nemisios وبعد ترحاله في آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين دخل الاسكندرية حيث أكمل دراسة التشريح على الحيوانات، ثم عاد إلى برجامون بعد غياب تسع سنوات، وعمل بها طبيباً في معتقل الأسرى ولحرجى المصارعين. سافر إلى روما مرتين في الأولى رحل بعد اشتهاره ونجاحه إلى الشرق حيث ضاق زملاؤه به، والثانية كان في خدمة الملك الفيلسوف ماركوس أوريليوس لمكافحة وباء الطاعون الذي داهم بلاده.

تفرغ جالينوس في روما بعد ذلك للتأليف والبحث العلمي وترك ممارسة الطب لانداده من الأطباء، تابع جهود الأطباء القدامى خاصة كتب: أبقراط، وإيراسترابوس وهيروفلس وديوسقوريدس وروفس وسورانس، فشرح آراءهم وزاد عليها من أعماله.

كان أكثر اهتماماً بالتجربة حيث كانت معلوماته التشريحية حصيلة أعماله المختبرية على الحيوانات، على عكس أرسطو الذي كان يميل إلى الاستدلال النظري. فهو ثانى طبيب بعد إيراستراتوس له جهود تجريبية واسعة في التشريح والفسيولوجيا. وإليه يرجع الفضل في بيان أن الجانب الأيسر من القلب وما يتصل به من أوعية مملوء بالدم لا بالهواء كما كان يعتقد العلماء الذين سبقوه، وأن عمل القلب لتوليد حرارة الجسم من احتراق الدم الذي فيه، وأن الدم الرئوي أكثر احمراراً من دم الجسم لاختلاطه بالهواء.. وأجاد في وصف صمامات القلب والأوعية الكبيرة المتصلة به إلى حد كبير^(٣) وجالينوس ليس أول من عمل بالتشريح المقارن فقد بدأ به قبله

(٣) د. كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، الجزء الأول، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٧٢-١٧٤.

أنبادوقليس (ق الخامس ق.م) ثم أناكساجوراس المعاصر لأوائل حياة أبقرات وأرسطو الذى يعد أهم العلماء فى هذا المجال، وأيرستراتوس الذى عاش قبل جالينوس بأكثر من ثلاثة قرون. فجالينوس أعاد التشريح المقارن إلى الحياة كما بعث فيه روحاً جديداً فى دقة العمل وسعة البحث.

وقد امتاز تأليفه فى الطب بالجمع بين مختلف المذاهب السائدة فى جميع المدارس الطبية اليونانية منذ أبقرات حتى عصره^(٤). وقد ارتبط الطب عنده بالفلسفة وقد جمع فى تأثره بالفلسفة بين أفلاطون وأرسطو والرواقية، لكنه كما يرى نجيب بلدى لم يكن ملفقا بل كان رابطا مركباً ومبتكراً فى ربطه هذا لمذهب متكامل فى الطب. كان يعمل بوجه عام على معارضة التفسيرات الميكانيكية لأحوال البدن من صحة ومرض فيلجاً إلى العلل الغائية، كما كان يعارض منكرى وجود الله والعناية الربانية ولعل هذه المعارضة المزدوجة كانت من أسباب اعتماد الفكر الإسلامى والفكر المسيحى الوسيط على مواقفه فى العلم. وإن كان بلدى يرى أن هذه الصفة الفلسفية المنطقية نفسها هى ما أدت به فى بعض الأحيان إلى مناقضة التجربة والمنهج التجريبي الدقيق. ومهمتافى هذه الدراسة بيان الحدود والعلاقات بين الأسس الفلسفية والنظريات العلمية لطب جالينوس، لذا فإننا نخصص هذا الفصل الأول لبيان صورة جالينوس الطبيب، وهو الجانب المعروف عنه، على أن نخصص الفصول التالية للجوانب الفلسفية له.

وسوف نتناول ثلاثة مواقف متميزة من طب جالينوس وهى على التوالى :

- موقف النقل والترجمة، ويقوم فى الأساس على التعامل الببليوجرافى
- موقف التأييد، ويغلب عليه الطابع الطبى التعليمى.
- موقف نقدى يغلب عليه التعامل الفلسفى.

(٤) يتضح ذلك بصورة جلية فى كتابه فرق الطب للمتعلمين، الذى يعرض فيها لمواقف الفرق المختلفة بأفاضله وكأنه يقدم كتاب فى مناهج البحث الطبية. حيث جعل لممثل كل من المدارس الثلاث نصيب فى الحوار. ويذكر طرق أصحاب القياس وأصحاب الحيل. راجع جالينوس : كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين، نقل حنين بن إسحق تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣٤، ص ٤٠.

أولا : النقل والترجمة وتطورات الدراسات الجالينوسية :

يقدم لنا حنين بن إسحق (١٩٤-٢٦٤هـ) نموذجاً للتعامل الحضارى بين الثقافة العربية الإسلامية من جهة، والحضارة اليونانية من جهة أخرى فى العلوم المختلفة، ليس على مستوى الترجمة فقط بل أيضا على مستوى الشرح والتعليق والتحليل والإضافة^(٥)، فقد قدم للعقل العربى أرقى صورة لإنجازات العلم فى هذا العصر، وقد كان حنين واعيا بهذه المهمة، وهذا الدور الذى يقوم به، فهو صاحب أشمل مشروع للترجمة فى الحضارة العربية، وقد قام بمفرده بما تعجز عن القيام به الهيئات والمنظمات والمعاهد العلمية الحالية على الرغم من إمكاناتها المتطورة.

"كان فاضلاً فى صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية، زار البلاد فى جمع الكتب القديمة"^(٦) ونفس الوصف نجده لدى كل ما تناوله بالدرس فهو "إمام وقته فى صناعة الطب، وأنه يجيد لغة اليونانيين إجادة تامة . وكان أشد الجماعة اعتناء بتعريب "كتب اليونان" . ولا يوجد بعده فى الأزمنة بعد الإسكندر أعلم منه باللغة العربية واليونانية^(٧) . فقد أصبح - على مايقول مايرهوف فى مقدمة تحقيقه لكتاب العشر مقالات من العين - زعيم المترجمين العرب والسريان بلامنازع^(٨) "وهو أحد أئمة الترجمة

(٥) لقد سبق حنين فى ترجمة جالينوس سرجيوس الراسعيني وقد أشار حنين نفسه إلى ستة وعشرين كتاباً لجالينوس قام بترجمتها سرجيوس إلى السريانية، الذى كان حسب شهادة حنين أول من ترجم كتب جالينوس الشهيرة فى الطب والتشريح. وتعد لنا ترجماته نينا بيغوليفسكايا فى كتابها: ثقافة السريان فى القرون الوسطى، ترجمة د. خلف الجراد، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠ ص ٢٣١، ٢٣٥، نقول: "لقد صاغ سرجيوس نظريته الطبية التى اقتبسها من جالينوس بصورة واضحة ودقيقة الأمر الذى جعلها تتميز جذرياً عن الآراء والأساليب الكيميائية الغامضة التى انتشرت فى العهد المتأخر من العصر الوسيط، المصدر نفسه، ص ٢٤١، وأدوار پروان، الطب العربى، ص ٢٥.

(٦) ابن النديم : الفهرست، ص ٥٨٩.

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، الجزء الثانى، دار الثقافة، بيروت د. ت. ص ٢١٧.

(٨) ماكس مايرهوف : مقدمة تحقيق كتاب حنين بن إسحق، العشر مقالات فى العين، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٨، ص ٢٩.

بالاسلام^(٩). وإذا عدنا إلى رسائل حنين، خاصة رسالته فيما ترجم من كتب جالينوس نجد مبلغ عنايته الشديدة بالبحث عن كتب الرجل، مثل بحثه عن كتاب " البرهان " فى المنطق، وكان يسعد بالحصول على أحد كتب جالينوس النادرة مثل " الأدوية التى يسهل وجودها"، التى لم يستطع أحد من الناس أن يحصل عليها^(١٠) ويوضح لنا المنهج الدقيق الذى يلزم به نفسه فى الترجمة ليقدم لنا نسخة دقيقة من كتب جالينوس كما فعل فى كتاب " الفرق إلى المتعلمين"^(١١) ومن المهم هنا أن نضيف إلى سعى حنين الدائب للحصول على أصول الكتب ودقته فى ترجمته لها، منهج حنين فى التحقق من صحة نسبة كتب جالينوس إليه، حتى يتضح لنا مقدار العناية العلمية والدقة المنهجية التى يوليه حنين لعمله.^(١٢) ويمكننا القول إن ما قام به حنين من تقديم لجالينوس فى العربية، وهو عمل من أهم الأعمال التى قام بها يعتبر المرحلة الثالثة المهمة من مراحل الدراسات الجالينوسية . وتتمثل المرحلة الأولى فى كتابات جالينوس نفسها التى حددها لنا فى "فينكس كتبه" و"مراتب قراءة كتبه".

وتتمثل المرحلة الثانية فى تطور الدراسات الجالينوسية فى جهود الاسكندرانيين الذين قاموا بالعمل على شرح وتفسير وترتيب كتابات

(٩) صاعد الأندلسى : طبقات الامم ، ص ٥٥ .

(١٠) روزنتال: مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ترجمة د. أنيس فريحة، ط٤، الدار العربية للكتب، تونس ١٩٨٣، ص ٥١.

(١١) المرجع السابق، ص ٧٣. ولود أن نشير إلى أن هذه الدقة فى الترجمة ليست مقصورة على عمل حنين بن إسحق ، فابن أبى أصيبعة يقدم لنا مثالا لهذه الدقة بأستاذه يعقوب بن سقلاب ، الذى كان يفوق معاصريه وذلك لدقته وأمانته فى النقل عن جالينوس، وكان ابن أبى أصيبعة متيقنا من دقته فقد كان يقول : "هذا ذكره جالينوس فى كذا وكذا ورقه من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس ويسميه ويعطى به النسخة التى عنده، وذلك لكثرة مطالعته إياها، انظر روزنتال، المرجع السابق، ص ٦، ١٠٧-١٠٦.

(١٢) ويمكن أن نعطى مثالا على ذلك بمحاولة تحقيق حنين من صحة نسب كتاب النبض الكبير لجالينوس، الذى ذكره صاحبه فى فينكس كتبه، حيث ثبت لدى حنين أن الناحية اللغوية وبعض محتويات الكتاب منحولة، فما عثر عليه من مخطوطات الكتاب لا تدل على تأليف من المستوى الرفيع، ولذا حكم عليه بأنه لا يمكن أن يكون لجالينوس، وإزاء ما ذكره المؤلف يفترض حنين أن جالينوس ذكر ذلك فى حديث شفوى قبل أن يؤلف الكتاب، ثم بدل رأيه فيما بعد وتخلّى عن مشروعه هذا، أو أن ما ذكره جالينوس يمكن تعليقه بشكل آخر، فقد يكون جالينوس ألف الكتاب الكبير فى النبض فعلا ولكنه فقد فيما بعد، والكتاب الذى تحدر إلينا كتب لى محل النسخة التى فقدت.

جالينوس، وتوسيع نطاق قراءتها وتدريسها، وهى تلك الجهود التى عرفت من خلال كتابات يحيى النحوى، والتى قدم لنا على بن رضوان صورة واضحة عنها هى أقرب إلى دستور دراسة الطب، وذلك من خلال ترتيبه كتب جالينوس. ثم المرحلة الثالثة والتى لا تبالغ أن قلنا إنها تتساوى فى القيمة والأهمية مع المرحلة الأولى، وهى مرحلة نقل وتقديم جالينوس إلى الحضارة العربية، تلك التى نهض بها حنين والنحوى حتى يحق أن تسمى مرحلة حنين، ويمكن فيها أن يقارن عمل حنين بالنسبة إلى جالينوس بجهد جالينوس نفسه فى شرح كتابات أبقرات وإحيائها، فلاشك أن الترجمة العربية إحياء للعلم اليونانى^(١٣) ومن هنا يمكن أن نضع أسماء أبقرات وجالينوس وحنين على نفس المستوى، والسؤال الآن ماذا قدم حنين حتى يجعلنا نضعه على هذا المستوى مع جالينوس؟ هل يرجع ذلك إلى قيامه بترجمة الطب اليونانى إلى العربية، وشرح وتلخيص كتب جالينوس حيث لم يكن مترجماً فقط بل أيضاً طبيباً ممارساً، أو أن جهد حنين يتعدى ذلك إلى تأسيس عصر جديد للعلم العربى بتدشين عهد الترجمة لكل العلوم والفلسفات والمدارس والاتجاهات مما جعل العقل العربى متفتحاً أمام الحضارات المختلفة مستوعباً لها، فى البداية، ثم مطوراً مبدعاً بعد ذلك؟

(١٣) والحقيقة أن العودة للتراث العلمى والفلسفى العربى، والكشف عن الترجمات والشروح العربية يعطى صورة واضحة، ليس فقط للتراث العربى ولكن للتراث الإنسانى، فقد حفظت لنا هذه الترجمات النصوص اليونانية بعد أن فقدت أصولها بحيث يمكن الحديث عن أثر العرب فى التراث اليونانى، انظر العنوان ذا الدلالة الذى أعطاه بدوى لأحد كتبه "شروح على أرسطو مفقودة فى اليونانية" ببيروت ١٩٧١، يقول بدوى فى موضع آخر: "إن أهمية هذه الشروح لخطيرة لأن أصولها اليونانية مفقودة ولم يبق إلا هذه الترجمات العربية لها أو ماسيقام عليها من ترجمات إلى لغات أخرى مثل العبرية واللاتينية . وهذا من شأنه أن يزيد فى أهمية البحث فى التراث العربى بوصفه مصدراً مزدوجاً أعنى للفكر العربى واليونانى معا "بدوى : أرسطو عند العرب، القاهرة ١٩٤٧ ص ٧ ، ٨. وعن هذا العصر انظر كتابات الدكتور رشيد الجميل: حركة الترجمة والنقل فى الشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى للهجرة منشورات جامعة قاربونس، ليبيا. د. ت. وحركة الترجمة فى الشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الشؤون الثقافية ببغداد ١٩٨٦، ود. أحمد عثمان : من اليونانية إلى اللاتينية عبر اللغة العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الثانى، القاهرة ١٩٩٢ ص ٣٥.

لقد أراد حنين تعلم الطب، فدرس اليونانية وتمهر فيها، ونقل عنها أمهات كتب الطب، وصنف عدة مؤلفات خاصة به تظهر فيها آثار أبقراط وجالينوس، والحقيقة أن اهتمام حنين بجالينوس يرجع في جانب كبير منه - بالإضافة إلى طبيعة العصر وتطلع الدولة الإسلامية لنقل العلم اليوناني - إلى تشابه اهتمامات كل منهما "فقد كان اهتمام حنين ونشاطه وكتاباته وترجماته تدور حول الطب والفلسفة والمنطق والنحو بوجه عام^(١٤) وهي المجالات نفسها التي صنف فيها جالينوس . وتعد رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وماترجم غيره، وثيقة مهمة توضح الدور الذي قام به المترجم الأول في تعريب جالينوس .

ويقدم لنا أبو ريان - وزملاؤه - في تحقيق كتاب حنين " المسائل في الطب " بياناً شاملاً إحصائياً لترجمات حنين عن جالينوس مصححاً قائمة ماكس مايرهوف . فقد ترجم حنين من مؤلفات جالينوس إلى السريانية وحدها ثمانية وخمسين مصنفاً، وإلى العربية وحدها اثني عشر مصنفاً، وإلى السريانية ثم العربية اثنتين وعشرين مصنفاً، وبذلك يصير مجموع ماترجمه من مصنفات جالينوس وتفسيراته باللغتين السريانية والعربية اثنتين وتسعين مصنفاً.

يذكر لنا محققو كتاب " المسائل في الطب " آثار حنين الطبية، التي يتضح منها مقدار تأثره وأخذ ه عن جالينوس^(١٥).

لقد ترجم وشرح ولخص حنين كتابات جالينوس، واعتمد عليه في كثير من الآراء والنظريات التي نادى بها .

والعلاقة وثيقة بين أعمال حنين وبين طب جالينوس حيث نجد التشابه الشديد بين كتاب العشر مقالات في العين المنسوب إلى حنين وجالينوس . فقد أشار هيرشبرج أستاذ طب العيون في جامعة برلين في كتابه "تاريخ طب العيون" إلى أن هذا الكتاب يوجد تحت اسم مستعار في ترجمتين لاتينيتين أحدهما باسم "كتاب جالينوس في العين" Galeni liber de Oculis Translatatus a

(١٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ص ٢٥٧.

(١٥) أبو ريان : المصدر السابق، ص ١٩.

demetria liber ويشير ماكس مايرهوف في سياق حديثه عن المصنفات العربية الأولى في أمراض العيون إلى أن كتاب جوامع كتاب جالينوس في الأمراض الحادثة في العين ربما كان تلخيصاً لكتاب جالينوس "في تشخيص أمراض العين" الذي فقد، وما يؤكد هذه العلاقة هو إن عنوان النسخة الأصلية للكتاب جاء على النحو التالي "كتاب حنين بن إسحق في تركيب العين وعللها وعلاجها على رأى أبقراط وجالينوس، وهو عشر مقالات". ومن هنا يمكن لنا أن نعتمد على ما جاء في هذا الكتاب باعتباره مصدراً من مصادر معرفتنا بآراء جالينوس. ويمكننا أن نشير إلى اعتماد حنين بن إسحق (صاحب كتاب العين) في موضوع الإبصار على رأى جالينوس لبيان مدى تأثره به، على الرغم من معرفته برأى أرسطو في الضوء والإبصار. فشرح حنين لعملية الإبصار شرح فلسفى محض، وقد تطرق حنين في هذا الشرح الفلسفى إلى المفاهيم الرياضية البصرية المعروفة آنذاك، والتي كان جالينوس قد قال بها (ص ١٦)، وقد اجتهد في أن يقرب رأى جالينوس في الإبصار (ص ١٧)، وسوف نتناول هذه العلاقة بالتفصيل في الفصل الخامس لبيان أثر الأفكار الفلسفية على نظريات جالينوس الطبية في الإبصار.

هذا عن الموقف الأول. موقف التأسيس والنقل والترجمة، والذي تبعه تبني آراء جالينوس، كما يظهر في الموقف الثانى الذى نجده لدى العديد من الأطباء الذين أخذوا بنظريات جالينوس الطبية وأسسوا عليها آراءهم ودافعوا عنها ضد خصوم جالينوس كما يظهر ذلك لدى رئيس أطباء مصر على بن رضوان، الذى اتخذناه مثالا لهذا الموقف.

ثانيا : مرحلة التأييد والدفاع عن جالينوس :

يمثل هذه المرحلة الثانية أصدق تمثيل الطبيب العربى المصرى على بن رضوان^(١٦) (٣٧٦-٤٦٠هـ/٩٨٦-١٠٦٧م) الذى تحمس تحمساً شديداً لطب جالينوس. وكان من أكبر الداعين له، المدافعين عنه، الناشرين لكتبه،

(١٦) انظر عنه دراسة الدكتور سلمان قطاية : الطبيب العربى على بن رضوان : رئيس أطباء مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٤.

المفنديين شكوك منتقديه، تعلم على كتاباته واعتمد عليها وكانت بالنسبة له أساس تعليم الطب، أكد على شرف صناعة الطب اعتماداً على أقوال جالينوس في تفسير عهد أبقراط^(١٧)، شرح له سبعة عشر كتاباً نجد قائمة بها لدى ابن أبي أصيبعة نقلها عنه ماكس مايرهوف وأشار إليها سلمان قطاية بين تعاليم جالينوس في عدد كبير من مؤلفاته. والمتتبع لثقافة الطبيب العربي يجدها تتشابه مع ثقافة جالينوس الموسوعية؛ فقد أهتم كل منهما بالإضافة إلى الطب بالفلسفة والأخلاق والمنطق.^(١٨)

يتضح ذلك من مؤلفات ابن رضوان في الفلسفة والأخلاق والمنطق مثل: كتاب الانتصار لأرسطو، وهو كتاب التوسط بينه وبين خصومه المناهضين له في السماع الطبيعى، في تسع وثلاثين مقالة، ورد عليه موفق الدين عبداللطيف البغدادي في اختلاف جالينوس عن أرسطو، مقالة في فضيلة الفلسفة. وفي المنطق كتب: كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصناعات (ثلاث مقالات) "وقد حققه ونشره مع دراسة لفكر ابن رضوان المنطقي الدكتور أحمد عرفات القاضي في الذكرى الألفية للفيلسوف وصدر بالقاهرة عن دار النهضة المصرية، ١٩٩٨ وتعليق فوائد مدخل فرفيوس" وفي الأخلاق: تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس في الفضيلة، رسالة في التطرق بالطب إلى السعادة، مقالة في سبيل السعادة وهي السيرة التي اختارها لنفسه، رسالة في بقاء النفس بعد الموت، مقالة في الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والعطب، مقالة في السعادة، تذكرته المسماه بـ "الكامل الكامل والسعادة القصوى غير كاملة."

وقد أوضح ابن رضوان مثل جالينوس العلاقة الوثيقة بين المنطق والطب^(١٩)، تعلم بقراءة كتب الطب حيث عول على أن يقرأ بنفسه كتب جالينوس فوق في يده كتاب في "آراء أبقراط وأفلاطون" فوجد أنه لا يفهم

(١٧) المرجع السابق، ص ١١٥.

(١٨) راجع قائمة مؤلفاته في سلمان قطاية، ص ٣٤-٤١.

(١٩) يشير نيقولا ريشر في كتابه تطور المنطق العربي إلى العلاقة الوثيقة بين المنطق والطب، وتلك مسألة سوف نتوقف أمامها بالتحليل في الفصل الرابع.

كلامه (أى كلام أبقراط) إلا من تدرب فى الهندسة أو المنطق^(٢٠) ويفسر أهمية علم المنطق لأن من عرف المنطق أمكنه فهم ما فى كتب جالينوس، وأن يضع من تلقاء نفسه لكتب جالينوس جوامع وشروح . ويخبرنا سلمان قطاية، أن ابن رضوان يضع كتب أبقراط وجالينوس فى المقام الاول، ويعتقد أن من ارتاض على المنطق تمكن من فهم كتبهما^(٢١). وقد أكد فى "مقالة فى شرف الطب" مثملاً فعل جالينوس أن على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوف^(٢٢).

مثل جالينوس البؤرة المرجعية لجميع كتابات ابن رضوان، فهو بالنسبة له المصدر الأساسى، والحجة القوية، والسلطة العليا لكل أمور الطب، شرح مؤلفاته، ورجع إليه فى جميع أعماله بحيث لا يكاد يوجد كتاب من كتبه إلا اعتمد فيه على جالينوس وأشار فيه إليه، ويأتى فى مقدمه هذه الأعمال "الكتاب النافع فى صناعة الطب" الذى نجد فيه إشارات عديدة إلى طريقة كل من أبقراط وجالينوس وحكام مدرسة الإسكندرية فى تعليم الطب^(٢٣).

وينتقد ابن رضوان فى كتابه، الكنائش والكتب المختصرة ويعتبرها لاتصلح للتعليم، ومفسدة للمتعلمين، وينصح بالاعتماد على مؤلفات أبقراط وجالينوس^(٢٤)، وفى هذا الكتاب يبدو ابن رضوان - كما فى كتبه الأخرى - متأثراً بأفكار جالينوس إلى حد كبير، وهو يعدّ هذا الطبيب سيد الأطباء علماً وسلوكاً، ومؤلفاته مثالية لانقص فيها ولانقض عليها، ومن فرط إعجابه واعتماده على أفكار جالينوس فى الطب أنه كان يرجع إليه حتى فى أحلامه^(٢٥).

(٢٠) د . سلمان قطاية : المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢١) المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢٢) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢٣) وقد حقق الدكتور كمال السامرائى كتاب على بن رضوان : النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص ١١.

(٢٤) مقدمة تحقيق د . كمال السامرائى، المرجع السابق، ص ١٩.

(٢٥) وقد استشاره ذات ليلة فى علاج صداع أزم من عليه وأفقده الراحة فنصح جالينوس فى تلك الرؤيا أن يفصل القمحودة (الجزء الخلفى الناتئ من عظم الرأس) ليبراً من شكواه ففصدها حين أصبح وبراً.

ويخصص الباب الخامس من كتاب "النافع في كيفية تعليم صناعة الطب" لبيان كيفية تعليم جالينوس "والثامن" في اقتصار الإسكندرانيين على عشرين كتاباً أربعة من كتب أبقراط، وستة عشر من كتب جالينوس. ويلاحظ أنه على الرغم من أن ابن رضوان قد شرح كتب جالينوس فهو لا ينصح الطالب بالعودة إلى شروحه، بل يصر على العودة إلى كتب أبقراط وجالينوس، ويذكر لنا ترتيب قراءة كتب جالينوس^(٢٦)، وينتقد حنين بن إسحق، ويرجع دوماً في هذا النقد إلى كتب جالينوس ويعدها مصدراً^(٢٧) ويدافع عن جالينوس دفاعاً مجيداً ضد أرسطوطاليس وغيره، وينصح باتباع آرائه وتعاليمه دوماً^(٢٨)

ويعتمد ابن رضوان على جالينوس اعتماداً كبيراً في "شرف الطب وآداب الطبيب" ويسرد مقطعاً له من كتاب "حيلة البرء" يقول فيه لأشياء أقبح ولا أشنع من أن تكون قادراً على فعل الخير فتتوانى عنه^(٢٩). ويذكر في كتاب "مقاله في شرف الطب" ما قاله جالينوس في هذا الموضوع من أنه على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفاً.

ويربط الطب بالأخلاق في كتاب "التطرق بالطب إلى السعادة"، ثم يقول إن صناعة الطب هي فعل الخير. ويذم من يعرف ذلك ولا يقوم به مستشهداً بأقوال اليونان وعلى رأسهم جالينوس^(٣٠). وفي الفصل الثالث عشر في كتابه "دفع مضار الأبدان بأرض مصر" يرى أن نصائح أبقراط وجالينوس هي ما يدفع ضرر الأمراض الوافدة بأرض مصر^(٣١). ويشير في

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٠٢، وقد أورد ماهر عبد القادر في كتابه عن حنين بن إسحق ترتيباً على ابن رضوان لقراءة كتب جالينوس، ص ١١٥-١١٨.

(٢٧) كتاب النافع في كيفية صناعة الطب، ص ١٠٢.

(٢٨) المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢٩) د. سلمان قطاية، ص ٦٤.

(٣٠) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣١) على بن رضوان: رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر، تحقيق رمزية الأطرقي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد د. ت. الفصل الثالث عشر، ص ٧٦ وما بعدها.

مقالته في "التنبية" على ما في كلام المختار بن الحسن الطبيب البغدادي من الأغاليط " مبينا خطأ المختار في قوله ان الفروج أحر من الفرخ معتمدا على تميزا جالينوس بين الطبيب والمتطبب وهو تمييز يؤكد فرضيتنا الأساسية التي تمثل محور هذا البحث، وهي الارتباط الوثيق بين الفلسفة والعلم في أفكار جالينوس وكتاباتة، فالطبيب فيلسوف كامل وأنه من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب، والفيلسوف الكامل هو الذي قد حصل له العلم التعليمي والطبيعي والإلهي والمنطقي^(٣٢).

ويقدم لنا سلمان قطاية في تحقيقه كتاب "الكفاية في الطب" المنسوب إلى علي بن رضوان عدة نصوص منها، فوائد علقها من كتاب حيلة البرء وفوائد علقها من كتاب تدبير الصحة، وفوائد علقها من كتاب الأدوية المفردة وكلها لجالينوس^(٣٣).

ويتضح موقف ابن رضوان المؤيد لجالينوس في أنه - على الرغم من انتقاده اللاذع لغيره من الأطباء - لا يقبل أن ينتقد أحدهم جالينوس^(٣٤)، وعلى سبيل المثال نجده على الرغم من احترامه وتقديره للرازي كان يختلف معه في بعض الأمور، وخاصة حينما كان الرازي ينتقد رأى جالينوس ومن المعروف أن الرازي الذي لقب بجالينوس العرب وضع كتابا في الشكوك على جالينوس، بينما نجد ابن رضوان مخلصا أشد الإخلاص لآراء جالينوس، فحين يقدم الرازي آراء تيساليوس Thesalus على آراء جالينوس نجد ابن رضوان يهاجم الرازي بعنف^(٣٥)، ويستمر في الهجوم على الرازي مقارنا بين كتابه "الحاوي" وكتاب جالينوس ويتبنى موقف جالينوس ضد تيساليوس وأصحاب القياس^(٣٦).

(٣٢) د. سلمان قطاية، ص ١٣٠.

(٣٣) كتاب الكفاية في الطب، المنسوب إلى علي بن رضوان، تحقيق د. سلمان قطاية، دار

الرشيد للنشر، العراق ١٩٨١.

(٣٤) سلمان قطاية : علي بن رضوان، ص ٧٩.

(٣٥) المرجع السابق.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

ويمكننا أن نشير بإيجاز إلى موقف الرازي المتميز من نظريات جالينوس^(٣٧). فالرازي كما أشرنا ألف في الشكوك على جالينوس رسالة مهمة أثارت كثيراً من الردود على الرغم من أنه لقب بجالينوس العرب، فإنه نقد جالينوس في كتابه الذي ضمنه ثمانية وعشرين خطأ علمياً وقع فيها جالينوس، كما نقد ما في كتاب البرهان لجالينوس من عمل العين في الإبصار وتكيف حدقتها في حالتها في النور والظلمة^(٣٨) لقد اعتمد الرازي على التشريح المحدود لجالينوس وأضاف إليه من خبرته في تشريح الحيوانات^(٣٩) وهو ينقض - كما يرى سلمان قطايه - كلام جالينوس بجرأة معتمد على خبرته وعلى المنطق، كما يتضح في الجزء ١٩ من الحاوي^(٤٠) يعرض الرازي لأقوال جالينوس في كتابه الحاوي، ويعلق عليها، ويعرف القولنج في كتابه الذي يحمل نفس الاسم بشكل أكثر تحديداً من تعريف جالينوس الذي فشل في تشخيص ألمه "إن تشخيص القولنج ليس دوماً بالأمر السهل، فجالينوس نفسه قد أخطأ فيه"^(٤١) والرازي خلافاً لجالينوس لا يخلط بين الأعراض والأمراض، بل يحاول إثبات خاصيات واستقلال كل مرض على الرغم من تشابه الأعراض، وذلك في دراسته التفريقية بين الجدري والحصبة^(٤٢).

والموقف نفسه وإن يكن بغير هذا الحسم والوضوح نجده لدى ابن سينا الذي يعد من أهم أطباء المسلمين، كما يتضح خاصة من كتابه القانون في

(٣٧) د. محمد منصف المرزوقي: الطب الإسلامي وجالينوس، أعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، نشره الطب الإسلامي، العدد الأول ط ٢، الكويت ١٩٨١، ص ١٠٥.
(٣٨) الرازي: الشكوك على جالينوس تحقيق د. مهدي محقق، ص ٩ وأيضاً أبو بكر الرازي وأثره في الطب العربي (كتاب تذكاري) مركز إحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ١٩٨.

(٣٩) المرجع السابق لأوبكر الرازي وأثره، ص ٣٠.
(٤٠) الرازي، الفروق بين الأمراض، تحقيق د. سلمان قطايه، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٧٨، المقدمة، ص ٢٩٠.

(٤١) الرازي: كتاب القولنج، تحقيق د. صبحي محمود حماني، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ومعهد المخطوطات العربية، ١٩٨٣، ص ٣٦، ص ٨١.

(٤٢) د. محمد منصف المرزوقي، مصدر سابق، ص ١٠٥.

الطب، والذي عده البعض قرين جالينوس فى الطب وأنه اعلى منه كعباً فى الفلسفة^(٤٣).

ويتضح موقف ابن سينا من جالينوس فى رسائله الطبية، فهو فى كتاب الحيوان من طبيعات الشفاء الذى شاء فيه أن يحاكي كتاب الحيوان لأرسطو يقدم لنا دراسة مستقلة صاغها على نحو خاص، وتأثر فيها بمؤثرات مختلفة. والذى لانزاع فيه أنه أفاد كثيراً من دراسته الطبية ومن آراء جالينوس وبحوثه البيولوجية، وقارب كل المقاربة بين الطب وعلم الحيوان وفيها إفادة كبيرة من بحوث جالينوس فى التشريح^(٤٤). يستشهد فى الفصل الثانى الفقرة (ب) "فى الأعضاء الكلية" بتحديد جالينوس للأعضاء . ويخالف آراء فاضل الأطباء جالينوس، ويعرض لآرائه الشخصية معقياً إن هذا القول يخالف قليلاً بل كثيراً جالينوس (ص ١٦). ويرى فى المقالة الثالثة من الفن الثامن من جملة الطبيعات الفصل الأول : فى تشريح الأعضاء الباطنة والخلاف بين الفلاسفة والأطباء : "أن مبعث كل القوى النفسانية القلب، ويرفض قول جالينوس الذى بالغ فى البرهان على أن مبادئ العروق والعصب ليست من القلب" (ص ٤٠) .. وفى موضع آخر يبين أن شيئاً مما يقوله فاضل الأطباء ليس بضرورى (ص ٤٣) وأحياناً ينتصر لأرسطو ضد نقد جالينوس له وذلك فى الفصل الثانى من المقالة التاسعة : فصل فى احتجاج جالينوس على الفيلسوف ونقض ذلك الاحتجاج وتسخيفه (ص ١٤٧-١٥٧).

لقد أخذ عن جالينوس كثيراً إلا أن علاقته بنظريات هذا الأخير تحدت عبر موقفه من نظريات أرسطو حيث نجد لديه ميلاً مع تردد إلى قبول آراء جالينوس مع الإضافة إليها والتعديل فيها، فهو يكرر كثيراً عبارة "يقول

(٤٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادى أبوزيدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ١٨٧.

(٤٤) ابن سينا : الشفاء الطبيعىات ٨- الحيوان تحقيق د. عبد الحليم منتصر، سعيد زايد، عبد الله إسماعيل، وتصدير الدكتور إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة: ١٩٧٠، المقدمة.

جالينوس وأقول...^(٤٥) يتضح هذا الموقف السينوى ليس فى الطب فقط بل أيضاً فى مجال المنطق والأخلاق^(٤٦) والفلسفة^(٤٧).

ثالثاً : مرحلة النقد والتعقيب على جالينوس

إذا تحدثنا عن الانتقال من مرحلة الترجمة والنقل إلى مرحلة الإضافة والإبداع، وعرضنا للموقف الثالث الذى لا يكتفى بالشرح والتلخيص بل يمتاز بالنقد والتفنيد لآراء جالينوس، فإن أفضل من يمثله هو الوليد بن رشد فهو وإن كان قد تأثر بجالينوس فقد عارضه، ورسائله الطبيه التى نشرت أخيراً خير شاهد على ذلك^(٤٨). والحقيقة أن هذا الموقف النقدى ينبع من ثقافة فلسفية عميقة.

ويهمنا أن نقف عند ابن رشد الطبيب لتناول أعماله وبيان موقفه من طب جالينوس. وأول هذه الأعمال وأهمها هو كتاب الكليات^(٤٩). وقد سبق أن نشر خرستوف بورجل Burgei السويسرى إحدى فصول الصحة بكتاب الكليات (الكتاب الثانى) بعنوان "القول فى آلات التنفس" ويحتوى هذا الفصل

(٤٥) الموضوع السابق.

(٤٦) راجع فى الفصول القادمة حديثنا عن موقف ابن سينا من منطق جالينوس ، وكذلك من كتابات جالينوس الأخلاقية وراجع أيضاً الأخلاق، ابن سينا، معرفة الأخلاق وسياستها فى تيسير شيخ الأرض : المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار، بيروت، د.ت. ص ٣٣٧، ٣٤١، سياسة الرجل نفسه، ص ٥٠٥ - ٥٠٧.

(٤٧) فيما يتعلق بالنفس وحدثها عند ابن سينا وكيفية هذا الحدث يخبرنا الألوسى أن فى كتب ابن سينا حلاً أشبه مايكون بموقف جالينوس، انظر حسام الدين الألوسى: حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ ص ١٩٦.

(٤٨) د. سعيد شيبان، د. عمار الطالبي محققا كتاب ابن رشد : الكليات، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الاتحاد الدولى للأكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ ص ٣.

(٤٩) صدرت لكتاب الكليات أربعة طبعات هى على التوالى : طبعة نيودلهى ١٩٨٤، وطبعة القاهرة ١٩٨٩ وطبعة ثالثة بتحقيق م.م. فورتياس، ك. الباريت دى موراليس فى جزئين المجلس الأعلى للبحوث العلمية فى مدريد عام ١٩٨٧. وطبعة محمد عابد الجابرى، مشروع نشر أعمال ابن رشد مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.

على نقد لجالينوس كإسهام فى بيان مكانة جالينوس عند العرب، فالكتاب ملئ بنصوص رشدية تنتقد جالينوس. ومما يوضح موقف ابن رشد النقدى أن بورجل تناول فى مقدمته النقاط التالية :

- نقد جالينوس فى العالم الإسلامى فى العصر الوسيط.

- نقاط الاختلاف بين ابن رشد وجالينوس فى الكتاب الثانى من الكليات.

- مصادر الفصل الخاص بالتنفس، أى الاخبار العربية الخاصة بكتب أرسطو وجالينوس فى التنفس^(٥٠).

وقد قدم لنا جورج قناتى فى كتابه "مؤلفات ابن رشد" ١٩٧٨ حصرا بالأعمال التى تتناول رسائل جالينوس الطبية المخالفة وهى: تلخيص الأسطقات، تلخيص كتاب المزاج، تلخيص القوى الطبيعية، تلخيص كتاب الحميات، كلام فى اختصار العلل والأمراض، مقالة فى أصناف المزاج، مقالة الترياق، مقالة فى حفظ الصحة، فى حيلة البرء^(٥١). وبعد تسع سنوات نشر قناتى هذه الرسائل بالاشتراك مع سعيد زايد تحت عنوان "رسائل ابن رشد الطبية"^(٥٢).

وقد سبق أن قام م. كونثييثون بانكيث دى بنينيو بتحقيق هذه الرسائل وحرر نصها العربى المستشرق الأسباني سالبادور غوميث نوغالييس وصدرت بعنوان "تلخيصات ابن رشد إلى جالينوس" فى مدريد ١٩٨٤.

توضح لنا هذه الرسائل والكتابات الطبية المشروع العلمى لابن رشد، وتبرز فى الوقت نفسه مكانة جالينوس لدى الفيلسوف العربى وموقفه النقدى منه. لقد كان لجالينوس منزلة خاصة عند ابن رشد قد تفوق منزلة غيره ممن كان له تأثير ما أو إسهام فى تشكل مشروعه العلمى الفلسفى فى

(٥٠) الأب جورج شحاته قناتى : مؤلفات ابن رشد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨، ص ٢٣٩.

(٥١) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٥٢) الأب قناتى، سعيد زايد محققا رسائل ابن رشد الطبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

صورته الأولى. لقد اتجه ابن رشد عند نهاية مشروعه الفلسفى - كما يخبرنا جمال الدين العلوى - إلى إنجاز مشروع علمى آخر تجلى فى تلخيص بعض مؤلفات جالينوس فى الطب ، وهذا المشروع ليس منفصلا عن المشروع الفلسفى وإنما هو نتيجة من نتائجه، أعنى أنه لما كان الطب صناعة علمية ترجع فى أصولها إلى العلم الطبيعى كان لابد من مراجعة الطب الجالينوسى على ضوء ما انتهى إليه ابن رشد بصدد الأصول الطبيعية التى تؤسس القول الطبى.

إن ابن رشد قد أفصح فى غير موضع من تلاخيصه الطبية هذه أنه يريد من تأليفها أن تقوم مقام كتب جالينوس؛ وذلك إما لأن فى هذه الكتب طولا ربما يكسل المهتمين بصناعة الطب، وإما لتصحيح بعض ماورد فيها مخالفا للأصول الطبيعية، وإما للتنبيه أن كثيرا مما استعمل فيها من أقاويل لايرقى إلى مستوى القول البرهانى العلمى. وأبو الوليد لا يكتفى بتلخيص معانى مؤلفات جالينوس بل يحرص فى كثير من المواضع على بيان فساد ماذهب إليه أو بيان تعارضه والأصول الطبيعية المقررة، أو تعارضه مع الأصول التى قررها جالينوس نفسه^(٥٣).

حرص ابن رشد فى تلخيص كتاب القوى الطبيعية على بيان الأسباب التى دعت إلى هذا التلخيص فأكد على سوء فهم جالينوس لمذهب أرسطو فى الكيفيات الأربعة. وتفصح خاتمة التلخيص عن المنزلة التى ينزل فيها مؤلفات جالينوس على الرغم من تأكيده أن تعلم الطب على المجرى الصناعى إنما هو فى كتب هذا الرجل. وكما جاء فى الخاتمة " فهذا كله مما ينبغى أن يفرد الفحص عنه ويتقصى النظر فيه إلى أن يبلغ مرتبة البرهان. وأما الأقاويل المثبتة فى هذا الكتاب فهى إقناعية لا تتجاوز فى الإقناع رتبة الأقاويل الجدلية، وربما ساد فى بعضها الأقاويل البلاغية^(٥٤).

(٥٣) جمال الدين العلوى : المتن الرشدى . مدخل لقراءة جديدة، دار توبقال للنشر، الدار

البيضاء، ١٩٨٦، ص ١١١.

(٥٤) المرجع السابق، ص ١١٤.

واختتم ابن رشد تلخيص كتاب الحميات باستدراك طويل على جالينوس كما جرت بذلك عادته في التلاخيص الأخرى، لكنه أوضح حدود هذا الاستدراك الطويل بقول ينم عن موقف آخر يضاف إلى ما سبق قال : "وهذا كله على الأصول التي يقررها جالينوس، لكن ليس بمنكر على الناظر أن يؤصل أصولاً في علم ثم يسهو عن تلك الأصول في موضع من المواضع ولذلك ينبغي أن يتطرق إلى العلماء في أمثال هذا المواضع، وخاصة إذا كانوا هم الذين أفادونا الأصول التي بها وقفنا على سهوهم في هذه المواضع" (٥٥)

ومن هنا يتبين أن أبا الوليد لا يرفض الأصول التي يقررها جالينوس في صناعة الطب، ولكن شريطة ألا تكون مناقضة للأصول الطبيعية التي يقررها جالينوس أو ما يراه هو أصولاً في العلم الطبيعي نظراً لما هنالك من صلة بين الطبيعيات من حيث هي علم نظري وصناعة الطب من حيث هي صناعة عملية.

يتبع ابن رشد طب جالينوس، ولكنه كان يتبع أرسطو حينما يخالف جالينوس، وإذا اختلفا الاثنان فهو يختار الانحياز لأرسطو (٥٦) ويوضح سعيد شيبان وعمار الطالبي موقفين لابن رشد تجاه جالينوس فهو - أولاً - يعترف بفضل جالينوس في علم الطب وتفوقه على جميع الأطباء، كما يتضح في قوله عن الأدوية " والأشهر ما شهد به جالينوس فإنه الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة ". وهو - ثانياً - لا يذهب في الغلو في تفضيل جالينوس على جميع الأطباء إلى أن يكون ذلك في كل زمان بل جعله محدوداً بعصره وبمن جاء بعده من الأطباء (٥٧).

(٥٥) ابن رشد : تلخيص كتاب الحميات ، طبعة مدريد، ص ١٩٩.

(٥٦) مقدمة تحقيق الطبعة الأردنية لكتاب ابن رشد الكليات، وحدة البحث العلمي لكنهو، المجلس المركزي للبحوث في الطب اليوناني، نيودلهي ١٩٨٤ ص : ح .

(٥٧) د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبي، المصدر السابق، ص ١١. وانظر أيضاً بحثنا ابن رشد طبيباً، ندوة الطب والصيدلة عند العرب، مركز تحقيق التراث، جامعة الاسكندرية. ٢-١ أبريل ١٩٩٨ و "تسريح النص الطبي الرشدي" وهو بحث القى في الندوة الدولية عن "ابن رشد واشكالية المنهج" بقسم الفلسفة بجامعة تونس الأولى في ٣-٥ ديسمبر ١٩٩٨.

ويخبرنا ابن رشد في مقالته في " المزاج " أن الذي حركه إلى هذا البحث هو جالينوس، ويرفض أن يوجد المزاج المعتدل في الأطراف المتضادة وهو ما يجوزه جالينوس في الطب^(٥٨). وقد رد عليه في ذلك في تفسير ما بعد الطبيعة^(٥٩) كذلك يشير إليه عدة مرات في "تهافت التهافت" وهي إشارات لن نتوقف أمامها هنا لأنها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الطب^(٦٠)، إلا أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى دفعه لابن زهر أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت ٥٥٧هـ) إلى تأليف كتاب "التيسير في المداوة والتدبير" ليكون تفصيلاً لما جاء في كتابه الكليات في الطب.

ويبدو أن ابن زهر لم يؤلف كتابه هذا إلا بعد أن نضج علمه واكتملت اختبارهاته" ولذا عد أفضل كتبه وأشهرها؛ ومع أنه كان جالينوسى المذهب، إلا أنه كانت له شخصيته المستقلة، وتجراً على الانحراف عن كثير من أساليب التشخيص والمعالجة التي وضعها جالينوس^(٦١). ويخبرنا منصف المرزوقى في دراسته عن الطب الإسلامى وجالينوس عن الاستقلال والمنهجية العلمية عند ابن زهر الذى كان يشرح الموتى غير مقتنع بتشريح جالينوس للحيوان. وقد أكد مراراً على أهمية التجربة والملاحظة وتفوقها على الآراء الدوجماتيقية التي تركز على حديث جالينوس (ص ١٠٥-١٠٦) وكتابه هذا بالإضافة إلى ما كتبه ابن رشد يمثل الموقف النقدي من طب جالينوس.

ويوضح لنا روزنتال "أن الأطباء المسلمين كثيراً ما كانوا يرفضون الأخذ بنظريات أبقراط وجالينوس الطبية لخطأ يجدونه فيها، إما بناء على

(٥٨) ابن رشد : في المزاج، ضمن كتاب جمال الدين العلوى : رسائل فلسفية : مقالات في المنطق والعلم الطبيعى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٣، ص ٢٤٥.

(٥٩) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق الأب بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٦ صفحات ٨٨٤، ١٣٦١.

(٦٠) ابن رشد : تهافت التهافت، تحقيق الأب بويج، دار المشرق، بيروت ط ٢، ١٩٨٦ صفحات ١٢٧، ١٥٥، ٢١٢.

(٦١) أبو مروان عبد الملك بن زهر : كتاب التيسير في المداوة والتدبير، تحقيق ميشيل الخورى . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، سوريا، ١٩٨٣ ص ٢٤٧.

اختياراتهم الشخصية أو بناء على تفكير منطقي. ويقدم لنا أمثلة عديدة لذلك بكثرة النقد الذي قدمه الأطباء المسلمون يقول: "لو أردنا أن نذكر جميع الأمثلة المتوفرة لدينا لاقتضى ذلك كتابة تاريخ الطب العربى من أوله إلى آخره"^(٦٢).

ونضيف إلى ذلك موقف ابن النفيس من جالينوس. فقد كان الطبيب العربى يغض من كلام جالينوس ويصفه بالعى والإسهاب الذى ليس تحته طائل^(٦٣) وقد رفض ابن النفيس قبول نظرية جالينوس الخاطئة فى الدور الذى تلعبه الرئتان فى نقل الدم من تجويف القلب الواحدة إلى الأخرى"^(٦٤)

ويشير د. يوسف زيدان إلى نظرية جالينوس فى العلاج موضحا أن الأطباء العرب هم أول من تناولوا مؤلفات جالينوس بالنقد والمخالفة القائمة على المشاهدة والتجريب^(٦٥) ويوضح ان ابن النفيس كان كثير الهجوم على جالينوس ويستشهد بقوله فى شرح فصول أبقراط "هذا ظاهر كلام جالينوس وما ذكرناه أكثر فائدة" وبقوله فى "شرح تشريح القانون" إذ يشتد ابن النفيس على جالينوس عند تناوله لمسألة تشريح الأسنان قائلا : "وقد شنع جالينوس على من يجعلها عظاما وجعلهم سوفسطائية واستدل هو على أنها عظام بما هو عين السفسطة"^(٦٦).

وقد أكد البغدادي (حوالى ١١٦٢-١٢٣١) على أهمية التجربة والملاحظة ضد سلطة جالينوس بقوله : "ومن العجيب ما شاهدناه أن جماعة

(٦٢) ويقدم لنا مثالا لذلك بنقد ابن ميمون لنظرية جالينوس المتعلقة ببويضة الأنثى يقول ابن ميمون "لست أدري كيف وقع جالينوس على هذه النظرية، هل كان ذلك وحيا هبط عليه أو أنه حصل له ذلك عن طريق القياس المنطقي؟ أما إذا كان قد توصل إلى هذه المعرفة عن طريق القياس المنطقي فإنه أمر لا شك يدعو إلى الدهشة. روزنتال : المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢.

(٦٣) على القيم : ابن النفيس الدمشقي ، دار دمشق ١٩٨٨ ص ٢٢٩.

(٦٤) روزنتال : المرجع السابق ص ١٥٣.

(٦٥) د. يوسف زيدان : مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس : المختار من الاغذية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٣.

(٦٦) د. يوسف زيدان مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس، رسالة الأعضاء، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ١٩٩١، ص ٥٣-٥٤.

ممن يتعاطون الطب وصلوا إلى كتاب التشريح لجالينوس فكان يعسر إفهامهم لقصور القول عن العيان فأخبرنا أن في المقطم تلاً عليه رمم كثيرة فخرجنا إليه فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسقها وأوضاعها ما أفادنا علماً لا نستفيده من الكتب، أما إنها سكنت عنها أو لا يفى لقطعها بالدلالة عليه أو يكون ما شاهدناه مخالفاً لما فيها، والحس أقوى دليلاً من السمع، فإن جالينوس وإن كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فإن الحس أصدق منه". إن هذه الثقة بالملاحظة التي نجدها في كتابه الإفادة والاعتبار، هي التي مكنت عبد اللطيف البغدادي من إثبات بعض أخطاء جالينوس كالقول بأن عظم الفك الأسفل عظمان جمعا بمفصل وثيق. فالبغدادي لا يخشى من نقد المعلم فاضل الأطباء فأن الحس أصدق منه كما نرى في قوله: "والذي شاهدناه من حال هذا العظم أنه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلاً اعتبرناه ما شاء الله من المرات في أشخاص كثيرين تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجد إلا عظماً واحداً في كل ما شاهدناه منه وما حكيناه"^(٦٧).

والأمثلة كثيرة لا تحصى عن موقف الأطباء العرب من جالينوس، فهي جديرة كما يقول فالترز Walzer بأن تشكل باباً عظيماً في أي تاريخ يكتب مستقبلاً عن الطب، وبين لنا أن الدراسات التي كتبت عن جالينوس في أوروبا في القرون الوسطى وعصر النهضة تدين بالكثير إلى ما قام به العرب وإلى ما ترجم من جالينوس إلى العربية. ويضيف أن الدراسة المفصلة لكتاب الطب العربي سوف تكشف عن نصوص أخرى لجالينوس وتيسر السبيل إلى كتابة تاريخ مهم جداً عن أثره في تطور الطب العربي^(٦٨).

(٦٧) راجع كتاب عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، المنشور ضمن كتاب بول غليونجي عن البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٤٩-١٥٠.

(٦٨) ريتشارد فالترز: مادة جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، طبعة دار الشعب، القاهرة، المجلد العاشر، ص ٤٢٢-٤٢٥.

تعقيب :

فى ختام الفصل الأول عن جالينوس الطبيب نود أن نقدم بعض الملاحظات المتعلقة بتوجهات جالينوس الطبية، يأتى فى مقدمتها أن الطب الذى كان الشغل الشاغل له بحثاً وممارسة أرتبط بكل من الفلسفة والعلم الطبيعى والبرهان. كما أن جهد جالينوس الطبي، خاصة فى مجال التأليف والكتابة دار حول تفسير وشرح كتابات أبقراط. وأن أهمية جالينوس التاريخية والعلمية فى مجال الطب تأتى من كونه الشارح والمفسر لكتب أهم شخصية فى الطب وهو أبقراط.

والملاحظة الثانية هى فهم جالينوس العميق لجهود الأطباء السابقين عليه وعرضه لمختلف نظرياتهم وتحليله لهذه الأعمال ونقده لعدد كبير منهم، لكن اللافت للنظر هو تحديده لمواقف المدارس الطبية المختلفة ومناهجهم فى التشخيص والعلاج كما يتضح. ذلك جلياً فى كتابه "فرق الطب للمتعلمين"، الذى يعرض فيه لآراء كل فرقة من هذه الفرق مما يوضح السمة التعليمية التى تغلب على كتاباته وتحديده الدقيق للفرق بين الفرق.

والملاحظة الثالثة هو تصنيفه لأعماله وترتيبه لكتبه؛ تيسيراً لطلاب الطب وقد اجتهد الاسكندرانيون فى هذا المجال خاصة فى كتبه الستة عشر، وترتيبها وقد اتبع الأطباء العرب هذا الترتيب.

لقد عرف العرب وترجموا كتاباته الطبية وغيرها فى أكثر من ترجمة واعتنوا بذلك عناية بالغة بحيث حفظوا التراث الجالينى بصورة شبه كاملة يعز أن توجد فى أية لغة أخرى حتى اليونانية، التى فقدت معظم أعماله منها ولم توجد إلا فى ترجماتها العربية. وأن هذا لا يصدق على أعماله الطبية فقط بل وغير الطبية مما يؤكد فضل العرب على هذا التراث الإنسانى إلهام ومما يجعل تسمية "جالينوس العربى" *Galenus Arabus* تسمية صحيحة. وهذه الصورة لجالينوس تتسع لتشمل إلى جانب الطب الفلسفة والمنطق والأخلاق وهم موضوع الفصول القادمة.

الفصل الثانى

جالينوس الفيلسوف

تمهيد :

قد يثور السؤال حول مشروعية الحديث عن جالينوس الفيلسوف. وقد يبدى البعض دهشته أمام تناول الطبيب الفاضل فى إطار الفلسفة، ومن ثم التساؤل حول أصالته الفلسفية، أو ما قدمه من أفكار تجعلنا نعرض له ولدوره الفلسفى وتأثير هذا الدور، وقد سبق أن أشرنا فى سياق حديثنا عن مصادر معرفتنا بجالينوس عن تكوينه الفلسفى والمنابع التى نهل عنها علوم الفلسفة المختلفة كذلك معرفة القدماء بأعمال جالينوس الفلسفية وتأثيرها على علمه بالطب، واختلافهم فى تقييم هذا الأثر. مما يجعلنا نتوقف أمام جهوده فى هذا المجال، تمهيدا لمناقشة علاقة الفلسفة بالطب عنده.

إن الحديث عن جالينوس الفيلسوف يتأسس على مقدمتين : الأولى هى أن الفلسفة فى العصور القديمة وربما حتى ديكارت كانت تضم فروع العلم المختلفة، فهى تبحث حسب تعريفها فى الوجود ككل، وبالتالي فإن كل إسهام فى علم من العلوم هو إسهام فلسفى، والمقدمة الثانية هى أن الطب يرتبط بالعلم الطبيعى، وهو أحد العلوم الرئيسية الثلاثة التى تبحثها الفلسفة، والطبيب الذى يتعمق الأسس النظرية للطب هو عالم طبيعى، وهذا ما كانه جالينوس من خلال إسهاماته. كما يؤكد على ذلك فالنزر فى دراسته عن فلسفة جالينوس الأخلاقية.

لقد عرف جالينوس لدى العرب بفاضل الأطباء وذلك لأنه ربط الطب والفلسفة وأكد فى واحدة من أبرز كتاباته على أنه: ينبغى على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفا. وعرض له ثقات مؤرخيه باعتباره فيلسوفا، فهو بالإضافة إلى كونه مشرحا، وعالما، وطبيباً ممارسا، وجراحا. وصيدلانيا، عرف أيضا بأنه فيلسوف له أثره، وإن لم يكن من أئمة الفلاسفة^(١). وذلك

(١) فالنزر: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، الجزء العاشر، ص ٤٢٢.

هو حكم ريتشارد فالترز R. Walzer عليه فيما كتبه عنه فى دائرة المعارف الإسلامية، والذي أكد عليه أيضا فى دراسته "أضواء جديدة على فلسفة جالينوس الأخلاقية"، حيث يقول: "لقد عرف جالينوس أعظم أطباء العصر القديم كفيلسوف، وقد حظى فى نهاية حياته بنجاح كبير فى هذا المجال، وإن كان اللاحقين عليه لم يقدروا أعماله الفلسفية نفس التقدير الذى أسبغوه على إنجازاته الطبية"^(٢)

وتلك هى الصورة نفسها التى يقدمها لنا أبو سليمان المنطقى السجستانى فى "صوان الحكمة" حين يقول: "لقد تعرض جالينوس فى زمانه حين كثرت تصنيفاته لأن يوصف بالحكمة، أعنى أن ينقل عن لقب الطبيب إلى لقب الحكيم" فهزأوا به وقالوا: عليك بالمراهم والمسهرات وعلاج القروح والحميات فإن من شهد على نفسه بأنه شاك فى العالم أقديم هو أم محدث؟ وفى المعاد أحق هو أم باطل؟ وفى النفس أجوهر هى أم عرض؟ لمتضع الدرجة عن أن يسمى حكيما"^(٣). ومن الواضح أن للرجل آراءه الفلسفية التى عرفت عنه، والتى أكد عليها السجستانى، فلم ينف أحد من السابقين أن للرجل فلسفة، وإن كان البعض أنكر عليه ما قدمه من آراء مخالفة لغيره من الفلاسفة، فهذا الموقف النقدى هو موقف مخالفه كما يتضح من الفقرة السابقة فى "صوان الحكمة"، فما أورده السجستانى ينسب للأفردويسى شارح أرسطو، الذى يرى أن جالينوس تعب بصناعته المأخوذة من القياسات والتجارب المأخوذة من الحس وعمل منها أشياء ينتفع الناس بها انتفاعا كبيرا، حتى إنه ليس فى المعمورة أحد ليس لجالينوس عليه منة. ولكنه لم يرم مع تحققه بصناعته، وبراعته فيها بلوغ الدرجة العليا من الحكمة والنظر فى العلوم الشريفة التى تسمى الحكمة على الإطلاق^(٤). لم ينكر أحد على جالينوس إنجازاته الطبية ولا إسهاماته الفلسفية، فهو حكيم وإن لم يبلغ

(2) R. Walzer, New light on Galen's Moral philosophy. The Classical Quarterly XLIII, 1949, PP. 82-96, in his, Greek into Arabic, Oxford, 1962, 1962, P. 142-163.

(٣) أبو سليمان المنطقى السجستانى: صوان الحكمة وثلاث رسائل، حققه وقدم له الدكتور عبدالرحمن بدوى، طهران، ١٩٧٤ ص ٨٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٦.

الدرجة العليا من الحكمة. وذلك الرأى الذى يؤكد على الجوانب الفلسفية لدى فاضل الأطباء له أهميته لأنه يأتى من معارضيه، لا من تابعيه، وهو يتفق مع رأى فالتزرر كما قدمنا" الذى ينهى دراسته السابقة بالتأكيد على أن جالينوس قد حافظ على روح العلوم والطب وكان ممثلاً له على مدى ألف سنة من الحضارة الأوروبية، وقد ظهرت أصالته فى أنشطة أخرى للروح يقصد الفلسفة" وإن كان لم يحظ أبداً بتقدير كفيلسوف من الدرجة الأولى مثل أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين^(٥).

وقد اهتم الباحثون المحدثون بالجوانب المختلفة من فلسفته كما فعل ديلاسى أوليرى فى "تأثير جالينوس فى الفلسفة العربية"^(٦). ونيقولاريسر الذى اهتم بالجوانب المنطقية لديه^(٧) وفالتزرر الذى درس ونشر كثير من أعماله خاصة فيما يتعلق بجوامع أفلاطون^(٨) كما خصص عدة دراسات عن فلسفته الأخلاقية. فقد كتب عنه فى دائرة المعارف الإسلامية، وأشار إليه عدة مرات فيما كتبه عن الأخلاق فى هذه الموسوعة^(٩) بالإضافة إلى تعليقه على النص العربى لمختصر الأخلاق^(١٠) وعاد إلى هذا الموضوع فى دراسة ثانية عن جالينوس.^(١١)

والمتتبع لكتابات جالينوس التى أوردها لنا فى فهرست كتبه، ونقلها عنه حنين بن إسحق، يستطيع ان يدرك إسهام جالينوس الفلسفى، والذى يتسم بالتنوع والكثرة ويضم مؤلفات فى العلم الإلهى والطبيعى والمنطق والأخلاق. وسوف نخصص الفصلين التالين للإسهام الذى قدمه فى المنطق

(5) R. Walzer, Ibid., P. 163.

(6) Delacy O. Leary: the influence of Galen on Arabic philosophy, Journal of Indian History Vol. 2, 1922-1923 Pp. 233-338.

(٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ترجمة د. إسماعيل عبدالعزيز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

(8) . Walzer, P. Kraus: Galeni Compendium Timaei platonis warburg, London 1951.

(٩) فالتزرر. الأخلاق، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثانى.

(10) R. Walzer, Greek into Arabic. PP. 142-163.

(11) R. Walzer: A diatribe on Galen "Haeward theological Review, XLvii, 1954, pp. 243-54, and Greek into Arabic P. 164-174; Walzer: Galen On JEWS and Christians, Galen on Oxford Uni., Press, 1949 Medical Experience, Oxford Uni., Press 1944.

والأخلاق، بينما يدور هذا الفصل حول إسهام جالينوس الفلسفى فى مجال العلم الطبيعى والإلهى.

وقد عرف جالينوس فيلسوفا كما عرفت كتاباته الفلسفية، وهذه المعرفة مهمة للغاية وتحتاج إلى بحث ودراسة لبيان أثره من جهة، وكيفية تعامل الفلاسفة اللاحقين عليه مع كتاباته من جهة أخرى؛ تلك الكتابات التى ساعدت على تأكيد المعرفة بفلسفة أفلاطون وتدعيم نفوذه فى الفلسفة الإسلامية مما جعله يراحم المعلم الأول أرسطو - الذى كانت له السيطرة فى مجال المنطق والطبيعات - بتلخيصه لجوامع أفلاطون وهجومه على طبيعيات أرسطو، وكما عرف العرب كتابات جالينوس الفلسفية عرفوا كذلك موقف شراح أرسطو منه، وردهم عليه، خاصة الاسكندر الأفردويسى الذى قدم ردودا عديدة عليه والذى تبعه كثير من فلاسفة المشائية العربية.

إن الدراسة التفصيلية عن تأثير جالينوس على الفلسفة العربية الإسلامية مهمة وضرورية. وقد سبق أن قدم ديلاسى أوليرى بحثا حول هذا الموضوع بعنوان أن تأثير جالينوس على الفلسفة العربية.^(١٢)

أولاً : مؤلفات جالينوس الفلسفية :

عرف إسهام جالينوس الفلسفى من خلال مؤلفاته التى أوردها لنا فى الجزء الأخير من فهرست كتبه، وهى تشمل كل ما عدا المؤلفات الطبية، مثل الفلسفة، والأخلاق، والمنطق. وهذه المؤلفات الفلسفية هى :

- كتاب فى أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا، مقالة واحدة.
- كتاب فى أن المتحرك الأول لا يتحرك مقالة واحدة^(١٣). وفيه ينحو منحى أرسطو، وقد رد عليه الإسكندر الأفردويسى.

(12) Delecy O'leary: The influence of Galen on Arabic philosophy, journal of indian History Vol. 2, 1922 - 1923, pp. 233-338.

(١٣) ذكره حنين فيما ترجم من كتب جالينوس، ص ١٧٨، وابن أبى أصيبعة، ص ١٤٧ وقد رد عليه الإسكندر الأفردويسى. وقد نشر كل من نيقولا ريشر وميشيل مرجر مع ترجمة إنجليزية ومقدمة وتعليقات تحت عنوان The Refuta by Alexander of Aphrodisias of galen's الإسلامية، أسلام آباد، باكستان د.ت.

- كتاب في العادات،^(١٤) مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التي ينبغي أن ينظر فيها، وبه تفسير ما أتى به جالينوس من الشهادات من قول أفلاطون بشرح أبرقلس.

- كتاب في آراء أبقراط وأفلاطون، عشر مقالات، وغرضه فيه أن يبين أن أفلاطون في أكثر أقاويله موافق لأبقراط من قبل أنه أخذها عنه، وأن أرسطو فيما خالفهما فيه قد أخطأ. ويبين فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التي بها يكون الفكر والتوهم والذكر. ومن أمر الأصول الثلاثة التي فيها تنبعث القوى التي بها يكون تدبير البدن، وغير ذلك من فنون شتى.

- جوامع كتب أفلاطون^(١٥) في ثمانى مقالات، يخبرنا حنين أنه وجد منه أربع مقالات : فى المقالة الأولى منها جوامع خمسة من كتب أفلاطون. وهى كتاب أقراطليس فى الأسماء، وكتاب سوفطيس فى القسمة، وكتاب بوليطيقوس فى المدير، وكتاب برمنيدس فى الصور وكتاب أوثيذيمس. وفى المقالة الثانية جوامع الست مقالات الباقية من كتاب السياسة، وجوامع الكتاب المعروف بطيماوس فى العلم الطبيعى، وفى المقالة الرابعة جمل معانى الاثنى عشر مقالة فى "السنن"^(١٦) لأفلاطون.

- كتاب فيما ذكره أفلاطون فى كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب وهذا الكتاب جعله فى أربع مقالات ترجمه حنين إلى السريانية، وترجم المقالة الأولى منه إلى العربية وأكمل إسحق المقالات الباقية العربية، وهو يختلف - فيما يبدو - عن جوامع كتاب طيماوس.

(١٤) وقد نشر F. Klein Frnake النص العربى لمقالة جالينوس في العادات، راجع J.S.A.I. المجلد الأول ١٩٧٩ ص ١٢٥-١٥٠.

(١٥) انظر رسالة حنين بن إسحق فيما ترجم من كتب جالينوس في بدوي: دراسات ونصوص. ص ١٧٧-٧٨. وقد نشر كراوس وفالتزر مختارات من هذه الجوامع فى

Plato Arabus، فسادن د،ت

(١٦) فى النص الذى أورده بدوى (السير) والصواب ما أوردهنا.

- كتاب فى أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن هذا الكتاب مقالة، واحدة وقد نشره بدوى.

- كتاب جالينوس فيما يعتقد رأيا . مقالة واحدة يصف فيها، ما علم وما لم يعلم. والذي يظهر فيه موقفه الشاك فى وجود العالم، وقد رد عليه الرازى فى القضايا التى وردت فيه.

وفىما يتعلق بكتابات جالينوس الفلسفية التى يظهر فيها أثر الرواقية والسفسطائية فلم تعرف فى العربية ويخبرنا حنين أنه لم يقع على شىء منها. وبالتالى لم تترجم إلى العربية أو السريانية. أما بخصوص كتاباته المنطقية فسوف نعرض لها بالتفصيل فى الفصل القادم.

لقد درس جالينوس الفلسفة، والمنطق، والرياضيات، وألم بفلسفة أفلاطون، وأرسطو، والرواقية، والسفسطائية فقد برع فى الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشر سنة، وله تواليف كثيرة العدد فى فنون من العلوم.. وكان عالما بطريق البرهان خطيبا.. كان فى أيامه قوم ينسبون إلى علم أرسطو وهم المشاءون، واصحاب المظلة وهم الرواقيون، ألف فىهم كتابا فى الأسباب الماسكة، ورد على كثير من القدماء وناقض السوفسطائية، وألف فى المنطق كتاب البرهان .. ولم يكن فى زمانه أدأب منه على قراءة الكتب فيما ذكره عن نفسه، وكان يأخذ نفسه كل يوم بدراسة جزء من الحكمة^(١٧) يقول عن نفسه - كما يخبرنا ابن أبى أصيبعة - فى هذا الزمان جمعت كل ماجمعه عن المعلمين وماكنت استنبطته، وفحصت عن أشياء كثيرة، ووضعت كتب كثيرة لأروح بها عن نفسى فى معان كثيرة فى الطب والفلسفة.^(١٨)

وكما يتضح مما سبق فقد كان جالينوس على دراية عميقة باتجاهات الفلسفة ومذاهبها المختلفة دراسة وتدريسا وتأليفا، فبعد مرحلة الدراسة

(١٧) ابن ججل : طبقات الأطباء والحكماء، ص ٤١-٤٢.

(١٨) ابن أبى أصيبعة، ص ١١٤.

والتلقى طاف بكثير من البلدان يعلم الفلسفة، يخبرنا صاحب "مختار الحكم ومحاسن الكلم" أنه شرح في روما أمام بوثيوس وكان يحضر دروسه عديد من الفلاسفة مثل دانيالوديموس، والإسكندر الأفردويسى ويحيى الدمشقى^(١٩) فهو "الحكيم الفيلسوف الطبيعى اليونانى إمام الأطباء فى وقته ورئيس الطبيعيين فى عصره، مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علوم الطبيعة"^(٢٠)

نستنتج من ذلك أن صورة جالينوس الفيلسوف، صورة مهمة وهى تنبثق من جالينوس الطبيب وأورد مؤرخى العلم ملامح هذه الصورة، ففاضل الأطباء جمع بين الطب والفلسفة، بل إنه أثار العديد من القضايا حول هذه العلاقة فى الثقافة والفكر العربى، فالمجتمع الذى نشأ فى القرن التاسع، الثالث الهجرى كما أوضح دى بور فى "تاريخ الفلسفة فى الإسلام" يوجب على الطبيب معرفة الفلسفة.. وكان عليه (الطبيب) أن يمارس فنه طبقا لمناهج رياضية، منطقية.. يقول: "ولم يكن انصار الثقافة فى القرن التاسع (الثالث الهجرى) يقنعون بأن يسير الإنسان فى لغته وعقيدته وأفعاله طبقا للقياس المبنى على المنطق الصحيح، بل يجب عليه أيضا فى رأيهم أن يتداوى بمقتضى القياس وكانت أصول الطب تبحث فى مجالس العلم بقصر الواثق (٧٢٢-٧٣٢هـ) إلى جانب مسائل الكلام والفقه. وقام بحث بمناسبة كتاب جالينوس عما إذا كان الطب يستند إلى السنة الماثورة عن القدماء، أو إلى التجربة، أو يدرك بأوائل العقل، أو هو يؤخذ من قضايا الرياضيات والعلم الطبيعى بطريق القياس المنطقى".^(٢١)

(١٩) المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم، ص ٢ ٢٩١.

(٢٠) صاعد الأندلسى، طبقات الأمم، ص ٨٤-٨٥.

(٢١) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٩٣٨) ص ٨٩. ولعل دى بور يقصد هنا كتاب فرق الطب للمتعلمين" الذى يناقش فيه جالينوس أساليب ومناهج الفرق الطبية المختلفة فى التشخيص والعلاج، والذى ترجمة حنين بن إسحق، انظر تحقيق د. محمد سليم سالم لهذا العمل، الذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨.

ثانياً : مصادر فلسفة جالينوس :

علينا إذن إن نعرض للنواحي الفلسفية عند جالينوس موضحين السمات العامة التي تميز تفكيره الفلسفي، والمشكلات التي أهتم بها سواء ما يتعلق بالكون والفساد وطبيعة الوجود، العالم قديم أم محدث، حقيقة الزمان، المعرفة والإدراك.

وسنشير الآن بإيجاز للعناصر المكونة لفكره أو مصادر فلسفته، وهي عناصر أفلاطونية، رواقية، أرسطية وغيرها. فقد نهل جالينوس من مصادر العلم المتاحة في عصره والمذاهب الفلسفية المختلفة. وكان أقرب إلى الفلسفة الأفلاطونية، بل ربما أمكننا القول أن تأثيره اللاحق يرجع في أحد جوانبه لأفلاطونيته.

المصدر الأفلاطوني :

إن جالينوس فيلسوف أفلاطوني شرح وفحص كتب أفلاطون. وله كتب عديدة تنحو هذا المنحى، عرفها العرب باسم جوامع أفلاطون وترجموها وقد أورد بدوى عدداً من النصوص المنقرقة لجالينوس مأخوذة من: السياسة، النواميس، فيدون، وأقريطون^(٢٢). ويتناول فالتزر فلسفة جالينوس ومصادرها ويؤكد على كونه فيلسوفاً أفلاطونياً وإن كان ليس في مرتبة أفلاطون وأرسطو.

ونحن نعلم من حنين أنه ترجم إلى العربية جوامع جالينوس للكتب العشرة للجمهورية. وقد اعتمد ابن رشد فيما كتبه عن السياسة كما نعلم على أفلاطون، ويبدو أنه مصدره في ذلك هو تلخيص جالينوس للجمهورية.

(٢٢) د. عبدالرحمن بدوى : أفلاطون في الإسلام. دار الأندلس ط ٣ ١٩٨٢ ويتناول فيها جوامع جالينوس لكتاب طيماوس في العلم الطبيعي ص ٨٥-١١٩ وقد سبق لكل من كرواس وفالتزر أن نشره في المجلد الأول من Galeni Compendium timaei
 platonis: Plato Arabus 14. G. Bergstrasser: Humain Ibn Ishaq al Berdie Syrichen und arabschen Galen Ubr Setz ugem, leipzig 1925, 50 Aralic text.
 نقلا عن عبدالرحمن بدوى أفلاطون في الإسلام ص ١٩٧.

وكذلك شرح جالينوس طيماوس لأفلاطون، هذا الشرح الذى لم يبق إلا بالعربية " يقول فى المقالة الثامنة من كتاب "آراء أبقرات وأفلاطون" أن كتاب "طيماوس" قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا فى ذلك حتى جازوا المقدار الذى ينبغى ما خلا الأقاويل الطبية التى فيه فإنه كل من رام شرحها لم يحسن فيما كتب فيها ومن هنا مصدر اهتمام جالينوس بطيماوس ويظهر لنا جالينوس فى مقدمة جوامع كتاب طيماوس فى العلم الطبيعى تفضيله أفلاطون على أرسطو وبيان وضوح فلسفة أفلاطون وغموض وضيق معانى أرسطو فى كتاباته إلا أن أفلاطون فى هذا الكتاب فى غاية الانجاز وبعيد من ضيق أرسطوطاليس وأغماضه^(٢٣)

وتظهر النزعة الأفلاطونية واضحة فى كتاباته الأخلاقية خاصة كتاب أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن وكتاب الأخلاق.

والحقيقة أن اهتمام جالينوس بأفلاطون وشرحه لطيماوس قد وجد قبولاً لدى الفلاسفة اصحاب الاتجاه الأفلاطونى فى الاسلام، وفى مقدمة هؤلاء الرازى الذى لقب بجالينوس العرب فى مجال الطب وعرف عنه نزعة الأفلاطونية فى مجال الفلسفة^(٢٤)، ولانكون مخطئين إذا افترضنا أن المصدر الأول فى معرفة الرازى بمذهب أفلاطون هو كتاب طيماوس، ويؤيد هذا الافتراض اسم كتاب الرازى "كتاب العلم الإلهى على رأى أفلاطون: وكتاب تفسير أفلو طرخس فى كتاب طيماوس". وكثير ما يذكر الرازى فى كتبه الطبية شرح جالينوس على طيماوس^(٢٥).

(٢٣) جالينوس : جوامع كتاب طيماوس فى العلم الطبيعى، نشره ريتشارد فالنزر، ص ٣.
(٢٤) يوضح، د. ناجى التكريتى فى مقدمة دراسته: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام معالم تيار أفلاطونى فى الفلسفة الإسلامية أشار إليه من القدمات الشهرستانى، ومن المعاصرين المستشرق الألمانى بيلس والعربى محمود الخضيرى يقول: إن المسلمين عرفوا أفلاطون كما عرفوا أرسطو، وإن أفلاطون نفذ فى معظم المدارس الإسلامية الفلسفية وأثر فيها، على الرغم أن هناك مدارس كانت أفلاطونية خالصة كمدرسة أبى بكر الرازى، ومدرسة السهروردى الإشرافية من الذين كانوا يرون أفلاطون رئيسهم وإمامهم، ص ٦.

(٢٥) بيلس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهند، نقله محمد عبدالهادى أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٦، ص ٧١

ويربط يحيى بن عدى بين جالينوس وأفلاطون ويجعلهما مصدرا لفلسفة الرازى فى قوله : إن الزمان له طبيعة موجودة وهو جوهر قائم بنفسه، وإنما الحركة تمسحه أو تقدره، كما يمسح الماسح الأرض. فإن جالينوس حكى عن الإسكندر فى المقالة التى ناقضه فيها فى أمر المكان والزمان. أنه يرى هذا رأى ورد ذلك عليه الإسكندر. وذلك أن جالينوس يرى أن الزمان قديم بنفسه وليس يحتاج فى وجوده إلى الحركة ويقول إن أفلاطون حكى مثل رأيه فى ذلك، أعنى أنه كان يرى أن الزمان جوهر، لا يريد بذلك المدة وإنما الحركة بمسحها وتقديرها.^(٢٦)

أفلاطون كما يظهر هو مصدر أفكار جالينوس عن الزمان يقترب منه بقدر ما يبتعد عن أرسطو فى مفهومه عن الزمان، وفيما يتعلق بالرأى الذى كان يذهب إليه جالينوس فى أمر تعريف أرسطو للزمان يرجعنا س. بينس إلى شرح ثامسطيوس على طبيعة أرسطو، وكتاب الطبيعة لسميليوس^(٢٧). لقد حاول جالينوس كما ذكر كل من إلى ثامسطيوس. وسميليوس أن يثبت أن التفكير المتصل حتى بشيء لا يتحرك بالكلية لا يمكن أن يتم دون حركة لأن كل فعل للعقل فهو من حيث هو حركة، هذا الدليل الذى ذكره ابن رشد أيضا باسم جالينوس فى الشرح الكبير على الطبيعة، ويضيف بينس أنه مما قد يكون لافتا للنظر أن مذهب الرازى فى المكان متأثر أيضا بجالينوس^(٢٨).

وإذا كان تأثير جالينوس الإيجابى يبدو واضحا لدى الرازى من الفلاسفة ذوى الاتجاه الأفلاطونى، فإن تأثيرات عديدة لفلسفة جالينوس تظهر لدى عدد من الفلاسفة المسلمين ومنهم مسكويه، وعلى الرغم من أن التأثير الأكبر لجالينوس يبدو بوضوح فى أعمال مسكويه الأخلاقية فيمكن أن نرى هذا التأثير فى أعماله الفلسفية المختلفة نذكر منها كتابه الفوز الأصغر، الذى يذكر فيه جالينوس فى سياق تناوله إثبات الصانع فى أنه تعالى أبدع الأشياء كلها لا من شيء، لظنه أنه لا يكون شيء إلا من شيء " يقول: " ظن قوم لادربة لهم بالنظر أنه لا يكون شيء إلا من شيء .. ولجالينوس الطبيب

(٢٦) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٩.

(٢٨) المرجع السابق، ص ٧٣.

فيه كلام" (٢٩)، ويشير لنا مسكويه في الفصل السادس من المسألة الثانية في اقتصاص مذاهب الحكماء والوحدة التي أثبتوا منها أن النفس لا تبطل ولا تموت أنه شرح واختصر كلام جالينوس في ذلك" (٣٠). هذا بالإضافة إلى تأثيره في مجال الأخلاق على ما سيأتي في الفصل الرابع.

المصدر الرواقى :

يرتبط بالمصدر الأفلاطونى الذى أشرنا إليه التأثيرات الرواقية المختلفة التى نجدها سارية فى كتابات جالينوس الفلسفية، والتى تظهر بوضوح عند تحليلنا أعماله المنطقية والأخلاقية، خاصة كتابه عن الأخلاق، المقالة الرابعة الذى يوضح فيها أن الشر والفضائل الأخلاقية تكون عادة نتيجة الميل الأخلاقى. حيث يقدم عرضاً موجزاً لسيكولوجيا العقل تأثر فيه إلى حد كبير بالرواقية (٣١). وإذا تساؤلنا عن أى من الرواقيين أخذ جالينوس؟ لوجدنا الإجابة فيما يقدمه لنا فالترز الذى يشير مرات عديدة إلى بوزيدنيوس (٣٢). الذى يظهر تأثر الطبيب الفاضل به فى كتابه عن الأخلاق، كذلك فى كتاب "أراء أبقراط وأفلاطون" الذى يعد أهم مصادرنا للفلسفة الأخلاقية عند بوزيدنيوس (٣٣). ويرى فالترز أننا يمكن أن نعيد صياغة أراء بوزيدنيوس من خلال ما جاء فى كتاب جالينوس الأخلاق. ويؤكد إن كتاب الأخير عن المسرات Deplacitis عرض اقتباسات واضحة وصريحة من بوزيدنيوس (٣٤) وإن ما يشير إليه جالينوس عن الاختلافات الفطرية الطبيعية تتفاوت بين البشر يعد صدقاً لأخلاق يونيطيوس أستاذ بوزيدونيوس (٣٥)

(٢٩) مسكويه : الفوز الأصغر، حققه وقدم له د. صالح عضيمة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧، ص ٥٨.
(٣٠) المرجع السابق، ص ٨٣.

(31) Walzer. p

(٣٢) راجع فالترز المصدر السابق، صفحات ١٤٤-١٤٨-١٤٩.

(33) Ibid, p. 144.

(34) Ibid, p. 151.

(٣٥) المصدر السابق وكذلك فى دراسته "موعظة جالينوس" ١٦٤، ١٧١.

إن مجمل نظرية الأخلاق واستنتاجاتها مبنى على التجديد الذى قام به بوزيدونيوس لسيكولوجيا أفلاطون فى مواجهة أفكار كروسبوس عن الجانب اللاعقل فى الإنسان، والدليل على ذلك كتاب جالينوس : عن المسرات" خاصة ما يتعلق بسيكولوجيا الأطفال المبكرة فى الثلاثة أعوام الأولى.

ومن هنا يمكن القول إن كل من جالينوس وبوزيدونيوس فيلسوفين متقاربين إلى حد كبير. والفرق بين بوزيدونيوس الذى يعد رائد الأفلاطونية الحديثة وجالينوس العالم الشاك فى الميثافيزيقا، إن الأول كان من طراز. Cleombrotus the lacedaemonion بينما جالينوس كان متأثرا بقدرته على الإستقصاء فى القضايا. وعلى ذلك فإن أفلاطونية جالينوس فى الأخلاق قد تأثرت بقوة ببوزيدونيوس⁽³⁶⁾

المصدر الأرسطى :

إن تأثر جالينوس بأرسطو يتخذ شكلا أكثر تعقيدا ، ويحتاج إلى دراسة مستفيضة، فالأول وإن كان أكثر ميلا إلى آراء أفلاطون الطبيعية، إلا إنه تعمق فلسفة أرسطو سواء فى المنطق أم الطبيعة أم ما بعد الطبيعة. لقد شرح عدد من أعمال أرسطو المنطقية، وأضاف إليها وفصل فيها. نشير إليها بالتفصيل فى الفصل الخاص بالمنطق، وكذلك نجد فى دراسته عن الأخلاق أشارات إلى المعلم الأول. ويذكر لنا حنين بن إسحق الكتب المختلفة التى نحا فيها جالينوس منحى أرسطى، حيث جمع فى كتاباته كما أوضح أكثر الباحثين فى فلسفته بين أفلاطون وأرسطو والرواقية. ويمكننا أن نجد تأثير أرسطو واضحا عليه فى كتاب الأسطقسات على رأى أبقرراط حيث ينتقد موقف الطبيعيين الأوائل مما يكشف عن معرفة فلسفية عميقة بأرائهم لعلها مستمدة من كتابات المعلم الأول خاصة السماع الطبيعى". فقد كان أرسطوطاليس أيضا قد استعمل فى كلامه ذلك المذهب الذى سلكه

(36) Ibid., p. 162

أبقراط^(٣٧). وهو يشير إلى نقد أرسطو لكل من ميليسوس وبرمنيدس في قولهم أن الوجود واحد. وذلك أن أبقراط قد بين أنه من زعم أن أسطقس الأشياء وأصلها واحد يبطل صناعة الطب أصلاً. يقول : "إن من ادعى أن الموجود شيء واحد يبطل أصول العلم بالطبائع كما ذكر أرسطوطاليس وأصول الطب كما ذكر أبقراط^(٣٨). وربما يرجع سبب استشهاده بأرسطو هنا، هو أنه يرى أن كل من أرسطو وأبقراط يذهبان في قولهما مذهبا واحدا^(٣٩).

ومع هذا فإن جالينوس وجه بعض الانتقادات إلى فلسفة أرسطو وشراحه، لذا فإننا نجد أن مواقف الفلاسفة ذوي الاتجاه المشائي الأرسطي تنتقد جالينوس أنتصارا للمعلم الأول. ويرجع هذا الموقف إلى الإسكندر الأفردويسى الذى عاصر جالينوس وكانت بينهما مجادلات " مشاغبات ومخاصمات " وقد قدم لنا الأفردويسى عدة مؤلفات فى الرد على جالينوس فيماخالف فيه أرسطو، هذه المؤلفات وهى:

- مقالة فى الرد على جالينوس فى المقالة الثامنة من كتاب البرهان.

- مقالة فى الرد على جالينوس فى مادة الممكن.

- مقالة فى الرد على جالينوس فيما طعن على قول أرسطو أن كايمايتحرك فإنما يتحرك عن محرك^(٤٠).

هذا الموقف الذى بدأ بشارح أرسطو الأول استمر ساريا فى الفلسفة بحيث نجد تياراً فلسفياً قويا يمثل اتجاها نقديا لجالينوس، لدى الفلاسفة: الفارابى، وابن رشد، وابن ميمون. وسوف نعرض لموقف كل من الأول والأخير بعد أن تناولنا موقف ابن رشد منه فى الفصل السابق.

(٣٧) جالينوس : كتاب جالينوس فى الإسطقسات على رأى أبقراط، نقله إلى العربية حنين ابن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ ص ٦١.

(٣٨) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٣٩) المصدر نفسه ص ٦٥.

(٤٠) ابن أبى أصيبعة ص ١٠٧.

فقد كتب الأول "في الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطو طاليس لأعضاء الإنسان" (٤١) وهي مقالة مهمة ينحاز فيها المعلم الثانی للفلسفة والعلم الطبيعي ضد الطب. فقد ألف جالينوس كما تشير فهرس مؤلفاته كتاباً "في منفعة الأعضاء" ترجم إلى اللاتينية بعنوان *de asusge des partied* وبالفرنسية إلى *de usu partium* وقد شرحه كسبار هوفمان - Hofmann شرحاً دافع فيه عن أرسطو ضد جالينوس (٤٢) كما فعل الفارابي.

ويبدأ الفارابي كتابه ببيان هدفه من تأليف هذا الكتاب، وهو بيان ما اشترك في الفحص عنه جالينوس وأرسطوطاليس من أمور أعضاء الإنسان.. وأن طريق وغرض كل واحد منهما فيما اشتركا فيه غير طريق الآخر وغرضه، فإن طريق جالينوس طريق طبي وغرضه فيه غرض طبي، وطريق أرسطوطاليس طريق العلم الطبيعي وغرضه فيه كمال النظر (٤٣) وتستمر المقارنة بين آراء كل منهما طوال الكتاب، وهي مقارنة ينتصر فيها الفارابي لآراء أرسطو ضد جالينوس.

وإذا ما انتقلنا من المشرق إلى المغرب نجد أن هذا الموقف النقدي يتضح بأجلى ما يكون لدى ابن ميمون القرطبي الذي عاش وتلفس في ظل الحضارة العربية الإسلامية، وكتب في ظلها مؤلفاته الشهيرة وأهم ما وصل إلينا منها "فصول القرطبي" أو فصول موسى... وتشتمل على (١٥٠٠) قانون استخلصها من مصنفات جالينوس وغيره. والكتاب يقع في خمسة وعشرين فصلاً، تحتوى عدة موضوعات، ويناقش في نهايته جالينوس وما ورد عنه من التناقض في آرائه مناقشه دقيقة لا تخلو من أدب جم وإعجاب به، ويذكر أيضاً لموسى بن ميمون كتاب "المختصر" لكتب جالينوس..

(٤١) الفارابي: الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطوطاليس لأعضاء الإنسان، نشره د. عبدالرحمن بدوي، في كتاب رسائل فلسفية، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي ١٩٧٣ ص ٣٨-١٠٧.

(٤٢) د. عبدالرحمن بدوي: رسائل فلسفية، ص ٢١.

(٤٣) الفارابي: الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطوطاليس لأعضاء الإنسان ص ٣٨.

ويعتقد ولفنسون أن مختصر جالينوس كان السبب المباشر في إخراج فصول القرطبي "لأنه كان يدرس لنفسه في البدء تعاليم جالينوس الطبية" ويذكر لنا رأى عبد اللطيف البغدادي أن كتاب فصول القرطبي يعتمد على نظريات جالينوس قبل كل شيء، وعلى الرغم من صحة ما يذكره البغدادي فإن الفصول يحتوى أيضا نقدا لجالينوس أو شك على آرائه^(٤٤).

وقد قدم لنا ابن ميمون نقدا مهما لجالينوس في الفلسفة والعلم الإلهي في المقالة الخامسة والعشرين من كتاب الفصول.

يوضح لنا القرطبي في البداية أن نقده لا ينصب على الطب : قال موسى هذه الشكوك التي أذكرها لم أقصد فيها قصد الرازي كما يتبين للمتأمل، لأن الرازي لم يشك بل أخذ يرد عليه في أمور لا مدخل لها في صناعة الطب أصلا، وحتى الأمور التي تتعلق بصناعة الطب لم يشك عليه في استدلالاته عليها وتبين أن هذا ليس بدليل وقد عني ابن زهر وابن رضوان بحل تلك الشكوك. فأنا لم أعرض لشيء من هذا الغرض ولا أقول أيضا شيئا لا فيما زعم أنه شك، ولا فيما زعم أنه حل شك^(٤٥) ويحل لنا ابن ميمون أسباب خطأ جالينوس وشكه في أقواله، يشبه ما أطلق عليه فرنسيس بيكون فيما بعد أسم "أوهام المسرح" فالعالم الحجة في تخصصه لا يمكن بسبب ذلك أن يكون حجة في علوم أخرى فهو يرى أن جالينوس ارتاض في رياضيات، وقرأ منطقا، وقرأ كتب أرسطو في الطبيعيات والإلهيات، ولجودة ذهنه وذكائه الذي صرفه إلى الطب، وكونه وجد ما عرفه من بعض أحوال النبض والتشريح والمنافع والأفعال أصبح مما ذكره أرسطو في كتبه، فدعاه ذلك إلى الكلام في أمور وهو مقصر فيها جدا، وتضارب المهرة فيها فرد على أرسطو في المنطق، وتكلم في الإلهيات

(٤٤) إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦، ص ١٤٢، ١٤٥.

(٤٥) د. يوسف شاخنت، د. ماكس مايرهوف : رد موسى بن ميمون القرطبي على جالينوس في الفلسفة والعلم الإلهي، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧، ص ٧٧-٨٨.

والطبيعيات مثله، وتحدث في الحركة والزمان والمكان والمحرك الأول، ويأتى في جميع ذلك بما هو معلوم عند أهل هذا الشأن وانتهى به ذلك إلى أن ألف كتابه المشهور "فى آراء أبقراط وأفلاطون"، وكذلك ألف كتابه فى البرهان، وزعم أنه لا يكمل الطبيب فى الطب إلا بمعرفته^(٤٦). ويخرج ابن ميمون مما سبق أنه لا شك فى أن جالينوس قرأ كتب أرسطو فى المنطق وفهمها أكثر من فهم غيره ممن هو دونه، لكنه تخيل أن فهم صناعة المنطق وجميع الصنائع النظرية كفهم صناعة الطب وأن مهارته فى تلك العلوم كلها كمهارته فى الطب، فيعرض لكل ما يعرض له^(٤٧).

كانت تلك مقدمة ينطلق منها القرطبى إلى مناقشة فاضل الأطباء. ويتوقف ابن ميمون أمام موقف جالينوس من موسى عليه السلام فى المقالة الحادية عشرة من منافع الأعضاء، ويستتكر هذا الموقف كذلك يرفض موقف جالينوس الشاك فى مسألة حدوث العالم وقدمه ويرد ذلك إلى القول بقدم العالم "فهو إذن يعتقد فى قدم المادة كقدم الله وأنهما مبدآن لخلق كل ما خلق وهذا هو القول بقدم العالم^(٤٨)". وهو ما يرفضه ابن ميمون.

ويعرض ابن ميمون لجالينوس فى.. "دلالة الحائرين" حيث يشير إليه عدة إشارات وهو بصدد تناول مشكلة الزمان، و"مهرة الفلاسفة قد حيرهم أمر الزمان (وبعضهم) لم يعقل معناه، حتى إن جالينوس قال هو أمر إلهى لا تدرك حقيقته^(٤٩) ويشير محقق دلالة الحائرين إلى نقد الفارابى لجالينوس فى مسألة حدوث وقدم العالم ويعرض قول الفارابى: "لذلك لم يهتد جالينوس الطبيب إلى طريق البرهان على هذا المطلوب خاصة وظن أنه لا برهان عليه وأن البراهين فيه متكافئة.. ويرى ابن ميمون أن الفارابى قد أخطأ فى طعنه على جالينوس بأنه يرى أن الأدلة على قدم العالم وحدثه متكافئة، وأن

(٤٦) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٨١.

(٤٨) المرجع نفسه ص ٨٨.

(٤٩) ابن ميمون دلالة الحائرين، تحقيق حسين أنائى، نشر كلية الإلهيات بجامعة، أنقرة،

١٩٧٤، ص ٢٠٢.

الفارابي استخف جالينوس لعدم ترجيحه أدلة قدم العالم على حدوثه. وهذا الفهم كما يرى محقق الدلالة ليس بصواب لأن الفارابي لم يطعن في جالينوس لعدم اعتقاده بقدم العالم كما فهم ابن ميمون بل لعدم اعتقاده بحدوثه^(٥٠).

ثالثاً : خصائص تفكير جالينوس الفلسفي:

١- إذا أردنا أن نحدد خصائص تفكير جالينوس الفلسفي بعد أن تناولنا مؤلفاته ومصادر فلسفته، ظهرت لدينا عدة خصائص أساسية يأتي في مقدمتها الاتجاه التوفيقى. فقد نهل جالينوس من كل المصادر السابقة عليه سواء الأفلاطونية أم الرواقية أم الأرسطية تلك التى أشرنا إليها وهى أهمها، كذلك تعمق فى دراسة الفلسفات الطبيعية الأولى للسابقين على سقراط والفيثاغورية التى أثرت فى نظرياته، خاصة الطبية تأثيراً كبيراً فمن إعجابه الشديد بفيثاغورس أنه كان يكتب رسائله بالذهب إجلالاً لها^(٥١) ونحن نستطيع أن نتبين بعض نظريات هذه الفلسفة فى نظريته عن الطبائع الأربعة التى يفسر على أساسها الصحة والمرض. وقد أشار معظم من كتب عن جالينوس إلى هذه السمة التوفيقية سواء كانت توفيق ومزج بين المذاهب الفلسفية أم بين الطب والفلسفة أم بين التجريب والميتافيزيقيا.

٢- وتقلنا هذه النزعة العامة المهيمنة على توجهات جالينوس إلى النزعة الميتافيزيقية التى تسرى فى أعماله على الرغم من اتجاهه التجريبى فى الطب وفى العلم الطبيعى، إن جالينوس فى مجال العلم الطبيعى أقرب إلى أفلاطون توقف عند فلسفته الطبيعية فى طيماسوس. وقد أدخل جالينوس الفروض الميتافيزيقية فى تفسير نشأة العالم ونشأة علم الطب

(٥٠) المصدر السابق - المقدمة، ص XXXIII-XXXII

(٥١) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٠٦.

وتفسير الصحة والمرض، فقد كان يعمل على معارضة التفسيرات الميكانيكية لأحوال البدن من صحة ومرض فيلجأ إلى العلل الغائية كما كان يعارض منكرى وجود الله والعناية الربانية^(٥٢).

ويتضح ذلك من ميله لتفسير كافة العمليات الفسيولوجية عن طريق الروح فقد كان يعتقد أن الروح على نوعين: روح طبيعية. Natural وهى المسئولة عن فعالية الجسم الداخلية ونموه وروح حيائية أو حيوية Vital وهى المسئولة عن حركات الجسم وعقلانياته واعتقد أيضا أن الروح الطبيعية تدخل عن طريق التنفس (الرئة) إلى الوريد الأجوف ومنه تصل إلى بطين القلب الايسر حيث تختلط بالدم. وجالينوس فى كلامه عن الروح بهذا الأسلوب كأنه يتكلم عن الأوكسجين الذى يحمله الهواء إلى الدم بواسطة التنفس^(٥٣).

ويمكن تفسير استخدام جالينوس لمثل هذه الفروض بالعوامل الدينية المحيطة فى الوسط الثقافى الذى ازدهرت فيه أعماله وعاش به عدد من السنوات، حيث انتشار المسيحية فى الإسكندرية وموقف رجال الدين من العلماء الوثنيين، فكان الطبيب الفيلسوف يدخل فى عمله "بعض اللمسات ذات النغمة السماوية" فارض بذلك علماء المسيحية، وتقبلوه كباحث فى العلوم الطبيعية، وصار له بذلك قدر من الحرية فى العمل بموضوع التشريح لم يتييس لغيره من الباحثين^(٥٤). وسنعود للحديث عن هذه النزعة الميتافيزيقية وعلاقتها بالطب فى الفصل الخامس من هذه الدراسة.

٣- وقد عرف جالينوس فى تاريخ الدراسات الكلاسيكية بالفيلسوف الشاك وهى سمة ارتبطت باسمه أشد الارتباط، أكد عليها ريتشارد فالترز ومعظم مؤرخى العلم العربى. وربما كانت هذه السمة هى السبب

(٥٢) د. نجيب بلدى : تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها، ص ٤٨.

(٥٣) د. كمال السامرائى : مختصر الطب العربى، ص ١٧٦.

(٥٤) المصدر السابق، ص ١٧٣.

المباشر فى عدم بلوغ جالينوس المرتبة العليا فى الفلسفة. لقد أشار السجستاني إلى هذه النزعة التى قللت من مكانة جالينوس الفلسفية بقوله: "من شهد على نفسه بأنه شاك فى العالم : أقديم هو أم محدث؟ وفى المعاد أحق هو أم باطل؟ وفى النفس أجوهر هى أم عرض؟ لمتضع الدرجة عن أن يسمى حكيما"^(٥٥).

شك جالينوس فى القضايا الميتافيزيقية الكبرى فى الفلسفة، وهى القضايا المتعلقة بقدم العالم وحدوثه، وحقيقة المعاد، وجوهر النفس. وهى قضايا اختلف موقف جالينوس منها من كتاب لآخر. نشير فقط إلى موقفه من قضية قدم العالم وحدوثه، وهى القضايا التى شغلت الفلاسفة المسلمين. فهو يروم فى كتابيه : " ما يعتقد جالينوس رأيا" و"الصناعة الطبية" أن يبرهن ببرهان أنه لايمكن أن يعلم أقديم العالم أم محدث؟

ويناقش الرازى رأى جالينوس هذا فى كتابه الشكوك، اعتمادا على ما جاء فى المقالة الرابعة من كتاب البرهان من أن العالم لا يفسد، وما لا يفسد ليس بمكون (محدث). فإذا كان هذا الرأى صحيح، فهو يناقض شكه وتوقفه عن الحكم فى كتبه السابق الإشارة إليها بخاصة "ما يعتقد جالينوس رأيا"^(٥٦). يقول الرازى: إذا كان هذا الرأى يدعو إلى سرمدية العالم لأنه يجعله (أى العالم) لم ينفك من مادته ولم يتأخر قد ذكر فى آخر هذين الكتابين " ما يعتقد رأيا"، و"التجربة الطبية" أنه لايمكن القضاء على العالم بقدم أو حدوث. وفى الآخر أنه لايدرى هو ما يختار من هذين القولين^(٥٧)... ويضيف وأكثر من ذلك إن كان قد علم وتيقن أنه لايعلم ذلك البتة إن كان قد تيقن قدم العالم فلم يكن ينبغى له أن يأخذها على أنه أوائل بل على أنها نتائج. إن الرازى يتوقف فى شكوكه أمام أحكام جالينوس المختلفة "فهو

(٥٥) السجستاني : صوان الحكمة، ص ٨٥.

(٥٦) الرازى : الشكوك على جالينوس، ص ٤.

(٥٧) الرازى، ص ٦ - ٧.

يتشكك في حدوث العالم وقدمه وقد كان يصرح بأن قدم العالم شيء بين نفسه ولا يحتاج إلى برهان^(٥٨).

ونفس الأمر يقال في شكه في النفس. فقد قال: إنه لا علم له البتة بأن النفس جوهر أم عرض، ثم يرى أن النفس هي بخار الدم والروح الذي في بطون الدماغ أو في جرم الدماغ^(٥٩).

٤- والسمة الرابعة التي تميز تفكير جالينوس الفلسفي هي السمة التاريخية، فهو يميل مثل أرسطو إلى النزعة التعليمية مع اختلاف جوهري، هو أن جالينوس لم يكن له مدرسة واتباع وتلاميذ يلقي عليهم دروسه، لكن كتاباته تمتاز بهذه السمة التعليمية التي تتضح في عدد من عناوين كتبه الموجهة إلى المتعلمين مثل: فرق الطب إلى المتعلمين، ومثل شروحه على كتب أبقراط، حيث يعرض لتاريخ الموضوع الذي يتناوله ويتوقف أمام رأى الفلاسفة والأطباء السابقين عليه والمعاصرين له عارضا محلا ناقدا لهذه الآراء مما يوضح تعمقه الشديد لموضوعه وإلمامه بتاريخ ومشكلات الفلسفة المختلفة.

وإذا كنا قد أشرنا إلى مصادره المختلفة من أفلاطونية ورواقية وأرسطية فإن معرفته بغيرهم من الفلاسفة يتضح في بعض كتبه التي يعرض فيها لآراء السابقين على سقراط، وذلك في كتاب جالينوس في الأسطقات على رأى أبقراط، والمعروف أن أبقراط ليس له كتاب عنوانه في الأسطقات، إلا أن كتابه في طبيعة الإنسان هو الذي تحدث فيه عن العناصر الأولى. والأسطقس هو أقل جزء مما هو له أسطقس. "إن الأسطقس بالطبع إنما هو الجزء الذي يظهر لكل واحد أنه أقل الأجزاء وأبسطها"^(٦٠)

يعرض جالينوس لمآل به كل من أبيقور وديمقريطس في الجزء الذي لا يتجزأ وينقد آراء هؤلاء وغيرهم كما في قوله: "وماتقدم فبين من أمرا

(٥٨) المصدر السابق، ص ١٤.

(٥٩) المصدر السابق، ص ١٥.

(٦٠) جالينوس: كتاب جالينوس في الأسطقات على رأى أبقراط، ص ١٢

إستحالة الجوهر فى جملة أنه قد بطل أن يكون ما يظهر من استحالة الأجسام إنما هى اجتماع وتفرق كما ظن أببقور وديمقريطس وكما ادعى من جهة أخرى انكساجوارس وأنبادوقليس. أما انكساجوارس فدعواه الأجسام المتشابهة الأجزاء، وأما أنبادوقليس فظنه أن الأسطقسات الأربعة غير قابلة للتغير^(٦١)

ومقابل رأى هؤلاء يعرض الرأى المقابل الذى يتبناه هو وأبقراط، وهو رأى أرسطو وثاوفرسطس "فإن جميع الأشياء التى تناقض أقاويل القوم الذين يرون أن الجوهر لايقبل التأثير ويخلطون فيه الخلط بعضها قد وصفه أرسطوطاليس وثاوفرسطس وبعضها سئصفه نحن إذا قصدنا لمناقضة كل واحدة من الفرق. ويذكر لنا جميع من كتب فى هذا الموضوع مثل اسقليداس الطبيب والقدماء الذين عنونوا اسم الموضوع "فى الطبيعة" كما لدى ميليسوس وبارمنيدس وأنبادوقليس وكتب ألقمايون وغيرجس وبروديقوس القدماء. فأما أرسطوطاليس فجعل قوله فى الأسطقسات فى كتابه "فى السماء والعالم" وفى كتابه "الكون والفساد" وكروسبس جعل كلامه فى الأسطقسات فى كتابه "الجوهر"^(٦٢) ويذكر كذلك آراء كل من : لوقيوس^(٦٣) وطاليس وانكسيمانس وانكسمندريس وهرقليطس الذى ادعى كل منهم أن كل واحد من العناصر الأربعة هو أسطقس الأشياء وأصلها.^(٦٤)

ويعرض الرازى فى كتابه الشكوك لموقف كل هؤلاء، ويفيض فى بيان رأيهم فى هذه الجواهر الفردة أو الأجزاء التى لاتتجزأ أو يذكر لنا موقفهم من العلة فى اتصالها والتحام بعضها ببعض فمنهم من يجعله النفس ومنهم من يجعله البارىء والنفس ومنهم من يجعله الخلاء.^(٦٥)

(٦١) المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٦٢) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٦٥) الرازى: الشكوك على جالينوس، ص ٣٧.

والسمة الخامسة التي نراها في كثير من أعمال جالينوس وتمثل سمة أساسية في جهده العلمي والفلسفي فنستطيع أن نحددها في الدقة في تحديد المصطلحات والمفاهيم تحديدا منطقيا. يظهر ذلك في كتبه الطبية والفلسفية معا كما في كتابه "في الأسماء الطبية" الذي جعله في خمس مقالات، وغرضه فيه أن يبين الأسماء التي استعملها الأطباء، وعلى أى المعانى استعملوها^(٦٦). وكذلك كتابه، "في ألفاظ أبقرات" وغرضه فيه أن يفسر غريب الفاظ أبقرات في جميع كتبه^(٦٧).

ويمكن أن نعطي أمثلة تفصيلية بكتاب جالينوس إلى غلوغن في التأتى لشفاء الأمراض، حيث يتناول مصطلح "الطبيعة" على مختلف الأنحاء التي يقال عليها، فإسم الطبيعة يجرى في كلام أبقرات على أربعة أوجه : إحداها مزاج البدن، والثانى هيئة البدن، والثالث القوة المدبرة للبدن، والرابع حركة النفس. ويعطى أمثلة لذلك بقوله إن الطبائع منها ما هى فى الصيف صالحة، ومنها ما هى فى الشتاء صالحة وإنما يريد بذلك المزاج، وحيث يقول: "إن من الطبائع ما الصدر منها ضيق، ومنها الساقان منها دقيقتان، وإنما يريد بذلك هيئة البدن، وحيث يقول إن الطبيعة هى الشافية للأمراض إنما يريد بذلك القوة المدبرة للبدن"^(٦٨).

التوفيق بين المذاهب الفلسفية مع توظيف الأفكار الميتافيزيقية داخل النسق الطبي، والميل إلى التوقف عن الحكم، والشك فى القضايا الكبرى مع التعمق فى مذاهب القدماء وتحليلها ونقدها قبل بيان موقفه، مع الميل إلى تحديد المعانى والمصطلحات بدقة تمثل سمات تفكير جالينوس الفلسفى، يضاف إلى ذلك سمات المنهج العلمى لديه الذى يقوم على الملاحظة

(٦٦) حنين بن إسحق: فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، ص ١٧٥.

(٦٧) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٦٨) جالينوس: كتاب جالينوس إلى غلوغن فى التأتى لشفاء الأمراض تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٧.

والتجريب والذى يظهر بوضوح فيما قدم من ملاحظات على الأطفال والحيوان فى دراسته عن الأخلاق .

تعقيب :

وفى ختام هذه الفقرة، وهذا الفصل علينا أن نعرض لاهتمام جالينوس الكبير بالفلسفة" واعتبارها أساس العلوم، وضرورة إلمام الأطباء بها واتباعها فى علمهم وعملهم بإيراد بعض فقرات رسالته "فى أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفا" ترجمة حنين بن إسحق، والتى أوردها د. أحمد صبحى فى ختام كتابه المشترك "فى فلسفة الطب". يرى جالينوس إنه ينبغى على الطبيب الفاضل أن يؤثر سبل الحق والاستقامة، كما ينبغى أن يتدرب على صناعة المنطق حتى يستطيع تصنيف الأمراض إلى أنواعها وأجناسها حتى يستخرج من كل منها نوع العلاج، فمادام بقى للطبيب مما يجب حتى يكون فيلسوفا ، مادام يحدوا حذو أبقرات فيوجب على نفسه معرفة طبيعة البدن وأصناف الأمراض والاستدلال على العلاج، ومادام قد ارتاض علم المنطق واستخف بالأموال وألزم نفسه شظف العيش ولم يقصر فى استيعاب جميع أجزاء الفلسفة؛ المنطقى منها والطبيعى ثم الجزء المصلح للخلق من علم الأخلاق. وهو وإن راعى بعض الفضائل فلا بد أن تكون معه جميع الفضائل لأنها كلها منظومة واحدة. ولا أرى أحدا يحتاج إلى إقامة البرهان له على حاجة الأطباء إلى الفلسفة كما يكون استعمالهم لصناعتهم على ما ينبغى. أما أهل الثروة من الأطباء فليسوا أطباء على الحقيقة ولكنهم مخادعون يستعملون صناعة الطب لضد ما قررت له.

أفترأك بعد هذا تنازعنى القول ونقول: ينبغى أن يكون الطبيب ضابطا لنفسه عفيفا عازفا عن الأموال عدلا ولكنه لا يحتاج إلى أن يكون فيلسوفاً، وأنه يكفيه أن يعرف طبيعة البدن ووظائف الأعضاء وأصناف الأمراض والاستدلال على العلاج، ولكنه لا يحتاج إلى أن يتدرب فى علم المنطق، أولى لك أن تراجع عقلك لأن هذا قول من لا حياء معه.

إنه ينبغي لنا أن نستعمل الفلسفة أولاً إن كنا نريد أن نتقبل قول
أبقراط على الحقيقة، فإن فعلنا ذلك لم يمنعنا مانع أن نصير أندادا لأبقراط
بل أفضل منه إذا نحن تعلمنا منه جميع ما أثبتته في كتبه على ما ينبغي ثم
استخراجنا لأنفسنا ما كان قد بقي علينا^(٦٩)

ومما سبق يتضح لنا أن لجالينوس إسهاما كبيرا في مجال الفلسفة،
وأن العرب قد عرفوا هذا الإسهام، عرفه الرازي، ومسكويه وتأثرابه وكان
لهم موقف منه سواء كان بالقبول أم المناقشة والرد خاصة لدى أصحاب
الاتجاه المشائي^١ الفارابي، ابن ميمون وابن رشد. وهذا الموقف هو ما يظهر
أيضا في كل من المنطق والأخلاق وهما موضوع الفصلين التاليين.

(٦٩) جالينوس : في أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفاً نقلاً عن د. أحمد محمود
صبحي د. محمود زيدان: في فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،
١٩٩٥، ص ١٦٨-١٦٩.

الفصل الثالث

جالينوس المنطقي

تمهيد :

على الرغم من الاهتمام الشديد بالكتابات الطبية لجالينوس كما اتضح لنا من الفصل الأول، فالجهد الأكبر للباحثين خاصة العرب كان لاختبار أعماله المنطقية، وذلك بفضل عمل حنين ومدرسته، الذى ساعد على جعل كتاباته متاحة فى العربية. ويهمنا أن نؤكد هنا على أن كتابات جالينوس كانت متوفرة للأجيال الأولى من المناطق العرب، وأنها كما لاحظ المهتمين بتاريخ المنطق العربى - كما يرى نيقولا ريشر، لعبت دوراً نقدياً مهماً فى تطور المنطق^(١). بل يمكن القول إنه قد توفرت لهم التعاليم المنطقية الخاصة بجالينوس أفضل مما نأمل نحن المعاصرين^(٢).

يؤسس جالينوس كتاباته الطبية على المنطق. ويجعل من أصحاب القياس أهم فرق الطب "فهم فى طلب استخراج الأشياء الخفية يمدحون التشريح والاستدلال - من الشيء على ما يحتاج إليه - وعلم المنطق^(٣) وفى كتاب الاسطقسات على رأى أبقراط "يؤكد أنه لا يمكن أن يثبت قول من الأقاويل أصلاً إلا بعلم المنطق"^(٤) فالقضية الأساسية التى يعرض لها والتى يبنى عليها الكتاب عند أبقراط هو أن الأشياء تتركب جميعاً من أسطقس واحد. وبعد أن يعرض لتدليل أبقراط، يقول: "وقد بان أن أبقراط قد أحسن فى القياس الذى استعمله"^(٥).

(١) راجع نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٣٣، ومقدمه المترجم، ص ٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) جالينوس: كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين، نقل حنين بن إسحق، تحقيق وتعليق د. محمد سليم سالم - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، ص ٤٠.

(٤) جالينوس: كتاب جالينوس فى الاسطقسات على رأى أبقراط، نقل حنين بن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٧٥.

(٥) المرجع السابق ص ٢٦.

أولاً : اهتمام جالينوس بالمنطق ومؤلفاته المنطقية :

لقد اهتم جالينوس بالمنطق اهتماماً كبيراً ودرس فيه وبرع فيه لقد تعمق كتب أرسطو المنطقية وتمهر فيها، و"لايشك في أن جالينوس قرأ كتب أرسطو في المنطق وفهمها أكثر من فهم غيره ممن هو دونه، لقد كان يطنب في مدح المنطق في جميع كتبه، ويذكر أن آفة أهل عصره من الأطباء وعلة تقصيرهم إنما هو قلة خبرتهم بالمنطق، وأن علة مهارته هو كونه تأدب بالمنطق ويروم دائماً أن يظهر حاجة الطبيب إلى المنطق.^(٦) لقد ألف كتاب "البرهان" وزعم أنه لا يكمل الطبيب في الطب إلا بمعرفته، وأنه نافع للطبيب جداً، واقتصر من المقاييس على ما يحتاج إليه في البرهان بزعمه أن تلك المقاييس هي النافعة في الطب.^(٧)

المنطق إذن جزء من ثقافة جالينوس الفلسفية وقد عرف عنه هذا الجانب وأشاد به العديد من الباحثين. ولقد أشارت المصادر التي تناولت حياة جالينوس أنه كان منذ صغره متهيناً للعلم البرهاني، طالباً له شديد الحرص عليه والاجتهاد فيه والقبول له" وذلك لأهمية المنطق في دراساته الطبية، يشير بدوى في تحقيقه لكتاب ابن رشد "البرهان" أن جالينوس في كتبه الطبية يستطرد أحياناً إلى مسائل في المنطق ففيما يتصل بموضوعنا هنا وهو البرهان، نجده في كتاب "اختلاف النبض" يذكر أنه أفاض في القول في شرحه على "التحليلات الثانية" في موضوع التعريف^(٨) لقد جعل من المنطق أساساً للطب، وكان يعتقد أن دراسة البرهان هي أساس فهم كتب أبقراط، وتبعه في ذلك شراحه من الأطباء المسلمين. وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد تناول أعمال جالينوس المنطقية.

لقد عرفت كتابات جالينوس في المنطق وذكرها لنا حنين بن إسحق. وفي مقدمة هذه الكتابات، كتاب "البرهان" ويعرض لنا مترجم جالينوس ما يتعلق بالكتاب، وهدفه، وعدد مقالاته، وما هو موجود منها" فهو يتكون من

(٦) ابن ميمون: رد موسى بن ميمون القرطبي على جالينوس، في الفلسفة والعلم الإلهي، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧.

(٧) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٨) بدوى: مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد شرح كتاب البرهان، الكويت، ١٩٨٤، ص ٢٦.

خمس عشرة مقالة، وغرضه فيه أن يبين كيف الطريق في تبين ما يبين ضرورة...؟ وذلك كان غرض أرسطوطاليس في كتابه الرابع من المنطق، إلا أن الكتاب لم يعرف كاملاً في العربية، حيث لم يقع إلى هذه الغاية أي أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية^(٩) وتلك هي المشكلة الأساسية التي تواجه الباحث في منطق جالينوس، وهي مشكلة قديمة، فقد حاول الأوائل - من المترجمين - معرفة الكتاب، وسعوا في البحث عنه إلا أنهم لم يظفروا إلا بأجزاء منه.^(١٠)

ومقابل هذا الاهتمام الكبير بمنطق جالينوس، الذي تمثل في نقل وترجمة مؤلفاته ومناقشة إسهامه، فإن هناك موقفاً آخر يعارض هذا الإغلاء من أهمية منطق جالينوس، يتضح في قول صاحب "صوان الحكمة": "إن كتاب البرهان لم يرتضه أهل البراعة المنطقيين (وإن) حنين بن إسحق أظهر لهذا الكتاب تعصباً عظيماً جاوز فيه الحد"^(١١). وهذان التعميمين يعبرا عن مشكلة أساسية نجدها لدى المناطق العرب الذين انقسموا إلى مؤيدين لمنطق جالينوس وإلى من لم يروا فيما قدمه شيئاً جديداً يضاف لمنطق أرسطو.

(٩) حنين بن إسحق، رسالة حنين بن إسحق إلى يحيى بن علي فيما ترجم من كتاب جالينوس. في بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، ص ١٧٦.

(١٠) لقد سعى جبرائيل "ابن بختيشوع" في طلبه وعنى بذلك عناية شديدة، وطلبه حنين كما أخبرنا غاية الطلب وبحث عنه في بلاد الجزيرة والشام كلها، وفلسطين، ومصر إلى أن بلغ الإسكندرية فلم يظفر منه شيء إلا بدمشق، حيث وجد نحو من نصفه، وللأسف لم تكن مقالات متوالية، ولا تامة، وقد ترجم حنين ما وجدته إلى السريانية - فلم تطب نفسه إلى ترجمة شيء منها إلى العربية إلا باستكمال قراءتها، لما هي عليه من النقصان والاختلال وللطمع وتشوق النفس إلى وجود تمام هذا الكتاب - وما ترجمه هو جزء يسير من المقالة الثانية وأكثر المقالة الثالثة، ونحو نصف المقالة الرابعة من أولها والمقالة التاسعة خلا شيء من أولها. أما المقالات الأخرى (من الخامسة) فوجدت إلى آخر الكتاب خلا المقالة الخامسة عشرة. ترجم عيسى بن يحيى ما وجد من المقالة الثانية إلى المقالة الحادية عشرة. وترجم إسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة إلى المقالة الخامسة عشرة. إلى العربية، الموضع السابق.

(١١) السجستاني: صوان الحكمة، تحقيق د. عبدالرحمن بدوي، طهران ١٩٧٤، ص ٨٦.

- وسوف نعرض لهذه القضية لاحقاً بعد عرض بقية مؤلفاته حيث يذكر لنا حنين أن له بالإضافة إلى البرهان :
- كتاب فى القياسات الوضعية "مقالة واحدة"
 - كتاب المدخل إلى المنطق. وهذا الكتاب مقالة واحدة بين فيها الأشياء التى يحتاج إليها المتعلمون وينتفعون بها فى علم البرهان. وقد ترجمه حنين إلى السريانية وحبيش إلى العربية.
 - كتاب فى عدد المقاييس، مقالة واحدة.
 - تفسير الكتاب الثانى من كتب أرسطو، بارى أرميناس، ثلاث مقالات وقد وجد له حنين نسخة ناقصة.

ويذكر له بدوى عدة رسائل وشروح منطقية فى البرهان والشروح على التحليلات الثانية، وهى "فى البرهان" فى "المقالة الأولى من التحليلات الثانية" "مقالة فى الضروريات فى البرهان"، "مقالة فى الاستقراء"، "فيمما هو بحسب الوضع"، "مقالة فى الفكر الضرورى"، "موجز فى نظرية البرهان"، "مقالة فى استحالة البرهان". ويشير إلى أنه لم يصلنا من الأصل اليونانى من سائر مؤلفات جالينوس المنطقية - غير كتاب واحد، هو (المغالطات فى القول)، أى^(١٢) "الجدل". فقد نشر مينوديس عام ١٨٤٤ كتاب جالينوس المدخل إلى الجدل،^(١٣). ويعطينا نيقولا ريشر "بياناً تفصيلياً بأعمال جالينوس المنطقية التى ترجمت إلى العربية ومترجميها، فقد قام أبو القاسم الرقى (ح ٧٨٠-٨٤٠م) بترجمة كتاب جالينوس فى المنطق من السريانية إلى العربية^(١٤) وترجم حنين إلى السريانية والعربية كتب جالينوس المنطقية، ومن ترجماته: كتاب البرهان والمدخل إلى المنطق، ويذكر له ريشر كتاباً ثالثاً هو "الحدود"^(١٥) وهو كتاب لم أجد أية إشارة له فى الكتب العربية. وقام حبيش بن الحسن (٨٣٠-٨٩٠) - وكان تلميذاً لحنين ومساعداً له فى بيت الحكمة، خاصة فى ترجمة جالينوس - بعمل ترجمة عربية عن ترجمة

(١٢) بدوى: مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد شرح كتاب البرهان، ص ٢٦.

(١٣) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٣٧.

(١٤) نيقولا ريشر: تطور المنطق العربى، ترجمة د. محمد مهران رشوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٤٧.

(١٥) المصدر السابق ص ٢٧١.

سريانية لحنين لكتاب المدخل إلى المنطق "والحقيقة أن حبيش كان متخصصاً في ترجمة النصوص الطبية، نصوص جالينوس أساساً، ولم يتعرض لترجمة الأعمال المنطقية إلا بوصفها جزءاً من هذا الجهد الطبى أساساً، وقدم إسحق ابن حنين ترجمة عربية لشرح جالينوس لكتاب العبارة، وترجمة عربية لأجزاء من نقل سرياني لحنين لكتاب البرهان وقام عيسى بن يحيى (٨٥٠-٩١٠م) بترجمة الأجزاء من الأول إلى الحادى عشر، وقام حنين بترجمة الأجزاء من الثانى عشر إلى الخامس عشر، وقدم ترجمة عربية لترجمة حنين السريانية لكتاب جالينوس فى "عدد الأقيسة" عدد المقاييس. وكان عيسى بن يحيى مترجماً للنصوص الطبية، وهو الذى ترجم نصاً منطقياً لجالينوس لكونه جزءاً من هذا الجهد الطبى^(١٦)

ويتضح للمتابع، أن موقف المناطق من جالينوس تحدد فى المقام الأول من خلال موقفهم الفلسفى والمنطقى من أرسطو. فمن خالفوا المعلم الأول وجدوا فى منطق جالينوس ما يساعدهم على رفض بعض آراء أرسطو فأنحرف جالينوس عن أرسطو كان معروفاً ومناقشاً من جانب الباحثين العرب، خاصة الذين أرادوا أن يتخلصوا من أحد جوانب أرسطو الفلسفية والبحث عن كتابات جالينوس لتأييد ذلك^(١٧). ويظهر اختلاف جالينوس عن أرسطو فى ما يتعلق بالشكل الرابع للقياس. فجالينوس هو أول من فكر فى جعل الضروب التى أغفلها أرسطو مكونة لشكل مستقل، فأرسطو لم يذكر سوى الأشكال الثلاثة الأولى، ولم يتحدث عن شكل رابع، وهذا الشكل ينسب إلى جالينوس ويطلقون عليه الشكل الجالينوسى تمييزاً له عن أشكال أرسطو الثلاثة. ويقدم لنا نيقولا ريشر فى كتابه "جالينوس والقياس" محاولة لرد الاعتبار لجالينوس ودوره البارز فى الاكتشاف المنطقى للشكل الرابع للقياس. وهو فى هذا يعتمد على المصادر العربية، وعلى ابن رشد الذى ينسب هذا الشكل صراحة إلى جالينوس^(١٨).

(١٦) المصدر السابق، ص ٢٨٠-٢٨١.

(١٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٥٠.

(١٨) سوف نتناول فى فقرة لاحقة موقف ابن رشد بالتفصيل من إسهام جالينوس فى المنطق ويمكن مراجعة هذا الموقف فى: ريشر، جالينوس والقياس، ص ٢١، وزكى نجيب محمود: المنطق الوضعى الجزء الأول، طه الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣ ص ٢٨١.

ثانيا : منطق جالينوس والرواقية :

والقول بتمايز جالينوس عن أرسطو في المنطق يقربنا كثيرا من آراء الرواقية، حيث نجد من الباحثين من يخبرنا أن جالينوس وهو مشائى أكثر منه رواقى (إلا أنه) كثيرا ما يضمن آراءه نظريات رواقية يقول: "كان جالينوس فى القرن الثانى الميلادى يشرح نظريات أرسطو باستخدام أفكار رواقية"^(١٩). ويهمنى الإشارة إلى هذا المصدر فى منطق جالينوس، أعنى المصدر الرواقى، وهو مصدر يميزه عن أرسطو. يقول ريشر أنه على الرغم من القول بابتكار جالينوس للشكل الرابع يمكن القول إنه تأثر فى ذلك بالمصادر الرواقية حتى فى هذا الشكل نفسه.^(٢٠)

ويمكن أن نشير إلى نقاط الاتفاق بين جالينوس والرواقية فيما يلى :

- رفض المفاهيم الكلية وقبول التصورات الفردية التى تخلفها الأحاسيس فى النفس.
- رفض فكرة الجوهر والجنس والنوع، فما يميز الشخص ليس مدى مشاركته جوهرأ أو جنسا أعلى، بل ما يوصف به من كفيات وعوارض حسية. إن القضية لاتعبر عن علاقة بين مفهومين كعلاقة المائت بالإنسان، بل تعبر عن علاقة أفعال أو أحداث تجرى فى الزمن (مثل أن هذا الإنسان ماشى)
- والقضايا : بسيطة مثل الوقت ليل، ومركبة وهى الشرطية المتصلة والمنفصلة.

لقد كان جالينوس على معرفة بكتابات الرواقيين وقد اطلع على المنطق الرواقى وهو يفخر بقراءته بعض رسائل منطقية لكروسيوس (٢٢٧ ق.م)^(٢١) بل إننا نستقى أقوال كروسيوس نفسه من كتابات جالينوس^(٢٢) والعرب وقفوا على الرواقية وتأثروا بها أحيانا عن طريق جالينوس^(٢٣).

(١٩) د. محمود زيدان: المنطق الرمضى نشأته وتطوره، ط٣ مؤسسة شباب الجامعات الاسكندرية ١٩٧٩ ص٤١.

(٢٠) فيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص٣٧.

(٢١) د. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٧.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٢٩٥.

ونحن يمكننا أن نلاحظ وجود أثر رواقى لدى كل من فخر الدين الرازى، ولدى ابن تيمية فى الرد على المنطقيين^(٢٤) خاصة فيما يتعلق بإنكار الرواقيين وجود الكليات فى الخارج، حيث لم يستبقوا فى دائرة الوجود سوى الأشياء المشخصة وحدها. كذلك عرفوا نظريتهم فى التعريف، فالتعريف عندهم هو التعريف الناقص أو ما يسمى بالرسم، وهو تعريف لم يهتم به أرسطو، لكن الرواقيين أكثروا من استعماله، كما استعمله بعد ذلك جالينوس، ولعل ما نجده عند جالينوس باسم أبوجرافى هو الأصل فى الاسم العربى الرسم^(٢٥) ويؤكد سانتلانا فى محاضراته بالجامعة الأهلية أن جالينوس قد استمد فكرة التعريف بالرسم من الرواقيين إذ إن رسائله المنطقية كانت معروفة فى العالم الإسلامى^(٢٦) فما موقف المنطقة من منطق جالينوس؟

ثالثاً : موقف المنطقة العرب من جالينوس :

نستطيع أن نميز موقفين أساسيين للمنطقة العرب تجاه جهود جالينوس المنطقية، الأول موقف منطقة مدرسة بغداد النقدى، والثانى موقف ابن سينا وأتباعه. لقد انتقدت مدرسة بغداد (الفارابى وتلاميذه) جالينوس، كما يتضح من إشارة ابن ميمون فى معرض شرحه الكبير على التحليلات الأولى، حيث يرى أن الفارابى قدم نقداً شاملاً لآراء جالينوس حول القضايا الموجهة والأقيسة الموجهة^(٢٧). ويلاحظ ريشر أن مناقشات الفارابى النقدية لآراء جالينوس المنطقية كانت عدائية بشكل خاص^(٢٨).

(٢٤) راجع عن وجود أثر رواقى فى فكر الرازى د. على سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ص ٤٢، وعثمان أمين الفلسفة الرواقية، ص ٢٨٤، ومبارك قاسم البطاطى أثر الفكر الرواقى المنطقى والأخلاقى فى الفكر الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ١١٥ وعن هذا الأثر فى ابن تيمية، الرد على المنطقيين، المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٧، ٢٥. عثمان أمين: المرجع السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢٥) د. عثمان أمين : المرجع السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢٦) سانتلانا: تاريخ المذاهب الفلسفية، مخطوط بجامعة القاهرة، ص ٢١٢.

(٢٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٦.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٥١.

ينتقد الفارابي آراء جالينوس في كتاب البرهان، وذلك في الفصل الرابع من شرحه لكتاب أرسطو في العبارة، فبعد أن يورد تقسيم أرسطو للموجودات إلى: موجودات بالقوة، موجودات بالفعل، وأخرى بالقوة والفعل، يرى أن بذلك يزول ما قاله جالينوس في كتابه البرهان. فالفارابي هنا يستخدم مبادئ أرسطو الفلسفية في الرد على جالينوس، ويدور نقد الفارابي لجالينوس في إطار فكرة الممكن، فالموجودات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضرورية فقط وممكنة فقط، وممكنة حيناً، وضرورية حيناً، وهي التي من طبيعة الممكن إلا أنها قد حصلت بالفعل، وهي التي يسميها الوجودية "إن جميع الأشياء المنظور فيها والمفحوص عنها هي هذه الثلاثة فلذلك يزول ما قاله جالينوس". ويتناول الفارابي الضروري والممكن ويتحدث عن ثلاثة أصناف للضروري ويحددها لنا، ويرى أن هذه الأقسام ظنها جالينوس واحدة، وجعل هذه القسمة فضلاً ومما بالعرض، ولم يتميز له أنها طبائع متغايرة. والذى غلط فيه جالينوس من كليات الضروري. وذلك أنها كلها سواء في ضرورة تلازمها في الذهن. فظن أن وجودها خارج الذهن كذلك فغلط أشد الغلط"^(٢٩)

ويخبرنا ابن باجة في "تعليقات على كتاب العبارة للفارابي" أن أبا نصر لم يعرض لإثبات الممكن، كما يظن كثير ممن يقرأ كلامه، لأن هذا ليس من صناعة المنطق، فإن هذا من المعلومات الأولى، ونفسر لماذا ذلك، لأنه عرض لجالينوس في هذا ما عرض لبرمنيدس في الموجود، فإنه ارتاب بالحس من أجل لازم القول. وكذلك كما وضع جالينوس أن المتناقضتين تقتسمان الصدق والكذب دائماً، لازم عن ذلك إبطال الممكن. لأنه إن ثبت الممكن لم تقتسما^(٣٠). إن جالينوس كما يشرح ابن باجة لم يقصد أن يبطل الممكن هكذا وإنما لازم من أقاويله في المناقضين ارتفاع الممكن من حيث لم يقصد ولا يتعرف فإنه لو تأمل ما كتبه، ورأى اللازم عن قوله لاعتراف بحاله.

(٢٩) الفارابي : شرح كتاب أرسطو في العبارة، تحقيق ولهم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي ط ٢ دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٩٣.

(٣٠) ابن باجة: تعليقات على كتاب العبارة للفارابي، تحقيق د. محمد سليم سالم، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص ٥٣-٥٣.

ويستشهد الفارابي كثيرا بجالينوس في كتابه الخطابة وإذا كانت الخطابة كما يعرفها في بداية كتابه صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس العشرة، وما يحصل من تلك الأشياء في نفس السامع من القناعة هي الغرض الأقصى لأفعال الخطابة^(٣١) والأشياء التي يكون بها الإقناع - كما يخبرنا - منها الضمائر والتمثيلات، ومنها بيان فضيلة القائل ونقيصة خصمه فإن هذا مما يوقع التصديق بما يقوله القائل، ويبين الفارابي أنه كثيرا ما يغلط قوم فيستعملون هذه العلوم عند معاندتهم لمخالفين لهم في آرائهم، كما فعل جالينوس عندما يروم مناقضة مخالفه. أو في الأشياء آخر خارجة عن الأمر الذي فيه يتخاطبون كما فعل جالينوس في أن يفضل نفسه بذكر فضيلة أبيه وبلده وينتقص خصومه.^(٣٢)

ومنها كما يذكر الفارابي استنهاض السامعين واستفزاز القائل آرائهم نحو تصديق قوله: بالأقاويل الخلقية، وهذا الضرب خطبي، وقد يستعمل في السوفسطائية وليس يدخل في الجدل إلا غلطا أو مغالطة. وقد استعمل هذا جالينوس حين يقول: إنما يفهم قولي أو يستحسنه ويقبله ما كان من الأحداث ذكيا موثرا للحق، وكان على فطرته لم يستعمل بهوى. ولافسد ذهنه بالآراء الكاذبة، وأشباه هذه الأقاويل ومنها الاستشهاد بالسنن المكتوبة، كما التمس جالينوس أن يبين أن القوة الشهوانية في الكبد، بأن السنة كانت في بلادهم أن تجعل عقوبة الزاني نزع كبده^(٣٣).

(٣١) الفارابي: الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٧.

(٣٢) كما ذكر في كتاب "حيلة البرء" حين ناقض تاسلس بأن ذكر خسارة صناعة أبيه، وكما فعل في المقالة الأخيرة من كتابه "في آراء أبقراط وأفلاطون" حين ناقص (ميودتس) الذي رد عليه شيئا مما في كتابه". المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣.

(٣٣) ومنها أيضا الشهادات، وهي أن يستشهد الإنسان لقوله بإنسان يركن إلى قوله أو يقوم يركن إليهم متى شهدوا على ما قاله، أو كان اللازم من أقاويل أولئك ما يشدد قوله ويزيف قوله خصمه. كما استشهد جالينوس في كتاب أخلاق النفس، أن العقل في الدماغ يقول الناس في من استحقوه، إنه لادماغ له، واحتج هناك أيضا أن الشجاعة في القلب بقول الناس لمن يصفونه بالجبن إنه لا قلب له. [المرجع السابق ص ٣٧]. وانظر ص ٣٤-٣٥.

وقد اهتم يحيى بن عدى الذى صار رئيس المدرسة الأرسطية فى العالم العربى منذ ٩٥٠ وحتى وفاته ٩٧٤م - بالقضايا نفسها المثارة فى عصره مثل: عدد المقولات، العلاقة بين المقولات، طبيعة الجهة، القضية الممكنة، فقد كانت المسألة الخاصة بجهة الإمكان (العرض) موضع اهتمام المناطق العرب فى القرن العاشر بسبب نغمتها الدينية المتصلة بالحثمية والمعرفة الإلهية المسبقة.. وقد كتب يحيى ابن عدى دحضا لأولئك الذين يرفضون هذه الجهة مثل جالينوس^(٣٤).

ويثير ابن رشد فى كتاباته المنطقية قضية مهمة تتعلق بجهود جالينوس المنطقية التى تضيف إلى ما قدمه أرسطو واضع علم المنطق. وابن رشد كما يبين ريشر فى كتابه "جالينوس والقياس" هو الذى رسخ فى تاريخ المنطق بأن جالينوس هو صاحب الشكل الرابع الذى عده مختلفا عن الأشكال الثلاثة الأولى. "فمن أهم نظريات جالينوس ماسمى بالشكل الرابع، وهو مكون عنده من الضروب الخمسة التى أضافها ثاوفرسطس وأديموس إلى الشكل الأول عند أرسطو الذى كان قد أشار إليها فى الضروب غير المباشرة".^(٣٥)

ويتناول ابن رشد هذه المسألة فى كتاب "القياس" حيث يقول: إن الشكل الرابع الذى يضعه جالينوس ليس بشكل طبيعى، وهو أن يكون الحد الأوسط محمولا على الطرف الأعظم، وموضوعا للأصغر، لأنه ليس تعمله فكرة بالطبع^(٣٦). والقياس الحملى ينحصر فى أشكال ثلاثة حيث يكون الحد الأوسط إما موضوعا للطرف الأكبر محمولا على الأصغر (وهذا هو الشكل الأول). وإما محمولا عليهما (الشكل الثانى) أو يكون موضوعا لهما (الشكل الثالث) : أما أن يؤخذ الحد الأوسط محمولا على الأكبر وموضوعا

(٣٤) ومن بين أعمال يحيى بن عدى التى حققت ونشرت أخيرا فى مقالات يحيى بن عدى الفلسفية "أجوبة بشر اليهودى عن مسائله" وهى تبدو كما يخبرنا المحقق امتحانا ليحيى بن عدى فى الفلسفة الأرسطية، وما يمكن أن يثار حولها من شكوك من وجهة نظر جالينوس، والمسائل يكشف عن معرفة واسعة بكتب أرسطو وجالينوس. راجع د. سحبان خليفات: مقالات يحيى بن عدى الفلسفية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨، ص ٦٦.

(٣٥) جبرار جهامى : مقدمة تحقيق منطق ابن رشد، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧١.

(٣٦) ابن رشد: كتاب القياس، نقلا عن جبرار الجهامى، ص ٧١.

على الأصغر. فذلك أمر مستهجن لأن المحمول على الأكبر محمول على الأصغر إذا كان الأكبر محمولا في الطلب بالطبع على الأصغر فيكون الشيء بعينه محمولا على نفسه وذلك مستحيل.^(٣٧) لذلك فإن ابن رشد يقر: "إن عد هذا التأليف شكلا رابعا كما يصفه جالينوس فإنما يكون صنفا من أصناف الشكل الأول على مطلوب غير مفروض لا شكلاً رابعاً^(٣٨)

ومن هنا فهو يؤكد على أن هذا الشكل لا يوجد في كلام قياسي ولا برهاني، ولا ظني، ويرى محقق تلخيص ابن رشد للقياس إن جالينوس لم يفعل إلا أن أفرد للضروب غير المباشرة في الشكل الأول شكلاً قائماً برأسه جعله الشكل الرابع. وهو رأى فاسد تماماً كما أثبت ذلك ابن رشد^(٣٩) ورغم ذلك فإن ريشر يشير إلى أنه على الرغم من هذا توجد فقرات عدة في الشرح الأوسط لابن رشد للتحليلات الأولى تثق بجالينوس في تقديم الشكل الرابع^(٤٠).

ومقابل هذا الموقف الذي اتخذته الفلاسفة المشاءون العرب أنصار أرسطو نجد موقف ابن سينا ومدرسته الذين تبنا آراء جالينوس مع ومقابل آراء أرسطو. بحيث يمكننا القول إن الآراء التي تغلغت في المنطق العربي من الرواقيين أو جالينوس كانت موجودة بفضل أتباع ابن سينا. إن ابن سينا الذي ابتعد عن أرسطو اتجه إلى ذلك غير مستقل تماماً بل تحت تأثير سلطة القدماء المنافسين لأرسطو وخاصة سلطة جالينوس والرواقيين^(٤١).

(٣٧) المصدر السابق ص ٧٢.

(٣٨) ابن رشد : تلخيص كتاب القياس، تحقيق د. محمود قاسم أكمله وعلق عليه بترورث وأحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣ ص ١٩٢-١٩٣ وانظر أيضا العمل نفسه، ص ٧٨، ص ١١٠.

(٣٩) د. عبدالرحمن بدوي: مقدمة تحقيق تلخيص ابن رشد للقياس الكويت، ١٩٨٨، ص ١٨.

(٤٠) ويسرى هذا الموقف النقدي لدى عدد كبير من المناطق العرب حيث كتب عبداللطيف البغدادي (حوالي ١١٦٢-١٢٣١) مقالة تفصيلية بعنوان "مقالة في تكذيب الشكل الرابع" نشرها شريف الدين بلنقايا، حيدر آباد ١٣٥٨هـ-١٩٢٩م. وقد عرض ابن العسال (ح. ١١٩٠-١٢٥٠) في مقالته في المنطق صراحة للشكل الرابع وإن كان أيضا يرى أنه طبيعي إلى حد بعيد. نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٢٢.

(٤١) المصدر السابق، ص ١٥.

ونستطيع بالرجوع إلى الفصل الذى عقده ابن سينا للقياس من منطق الشفاء أن نتعرف على موقفه، حيث ميز بين الأشكال المختلفة للقياس على أساس موقع موضوع ومحمول النتيجة فى المقدمات (كموضوع أو كمحمول) ونجد أن ابن سينا يصل إلى أربعة أشكال ممكنة نظريا بطريقة معروفة وينسب ذلك صراحة إلى جالينوس. وإن كان يرى إن فى إثبات حجته كلفة مضاعفة.^(٤٢)

وهذا ما يلاحظه محقق كتاب القياس حيث يرى أن ابن سينا يبعد قليلا بتقسيمه هذا لأشكال القياس عن المعلم الأول الذى حاول حصر أشكال القياس على أساس مدى انطباق الحد الأوسط على الطرفين.. فليس ثمة أشكال، إلا ثلاثة ليس من بينها الشكل الرابع، ويشير ابن سينا إلى أن جالينوس أو فاضل الأطباء كما يسميه يذكر الشكل الرابع. ويؤثر هو إلا يعرض له وإلا يدخل فى تفاصيله، والتزم ذلك فى منطق الشفاء وفى كتبه المنطقية الأخرى. فهو لم يجهله ولم يغفل الإشارة إلى موقف جالينوس منه^(٤٣) ولم يهاجمه.

تعقيب :

علينا فى ختام هذا الفصل أن نشير إلى العلاقة القوية التى أوجدها جالينوس بين المنطق والطب حيث كان المنطق جزءا لا يتجزأ من الدراسات الطبية خاصة فى مدرسة الإسكندرية، وبسبب تأكيد على أن دراسة الرياضيات والمنطق شرط لفهم الكتب الطبية، فإن جالينوس هو مؤسس ما يسمى بالتقليد الطبى المنطقى. فقد تناول بقدر من التفصيل هذه العلاقة، وبين كيف ينبغى على الطبيب أن يكون منطقيا، ذلك لأنه يفسر الأمراض وأعراضها وسبل الشفاء منها تفسير منطقيا، لهذا يعده نيقولا ريشر ممثلا لمدرسة الإسكندرية فى التقليد الطبى المنطقى. فهو يعرف الطب تعريفا منطقيا فى كتبه المختلفة. ويتحدث عن القياس فى أكثر من موضع فى كتابه

(٤٢) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤٣) ابن سينا: الشفاء، المنطق ٤ - القياس، تحقيق سعيد زايد، الهيئة المصرية لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٠-١١.

"التجربة الطبية" حيث يناظر بين أصحاب القياس وأصحاب التجربة، يقول: "إذا رجعت إلى قبول قول القدماء من حذاق الأطباء وأدقهم وذوى الفضل من الفلاسفة أقول: إن صناعة الطب إنما وجدت واستخرجت فى أول الأمر بالقياس مع التجارب".^(٤٤)

والحقيقة إذا كان الاستشهاد السابق يتعارض مع تفسير آخر يقدمه جالينوس لنشأة علم الطب، والذي يرده إلى الوحي الإلهي، فإننا نورده هنا لبيان تأكيد جالينوس على أهمية القياس، أما التعارض بين التفسيرين فسوف نناقشه فى الفصل الخامس من هذا الكتاب. فما يهمنا تأكيد هنا هو رأى جالينوس أن صناعة الطب لاتقوم على التجربة وحدها. فقد قام بالرد على أصحاب التجربة، الذين ينكرون فضل القياس فى صناعة الطب، يقول فى "فرق الطب للمتعلمين": "إن الطبيب ينبغى عليه أن يكون عالما باختلاف الهواء والمياه والبلدان والأعمال والعادات والأطعمة والأشربة ليصل إلى وجود أسباب جميع الأمراض وقوى الأدوية، ويتداوى به منها، ويقدر أن يعيش وأن يتفكر فيعلم ما فعل هذا الدواء الذى معه هذه القوى إذا عولج به هذا النوع"^(٤٥). فالأطباء المنطقة (أصحاب القياس) يستدلون - من الظواهر على الأسباب الجوهرية التى تكمن وراء الأعراض، وذلك عن طريق أعمالهم العقل. ويحدد جالينوس نوعين للقياس فى "التجربة الطبية" هما: القياس الأيوجسموس أو قياس الأشياء الظاهرة، والأنالوجسموس وهو فى الأشياء الخفية، ويعطى أمثلة لكل نوع منها^(٤٦).

يحتاج الطبيب إلى المنطق حتى يمكنه القيام بعمليات الاستدلال التى تمكنه من تشخيص الأمراض. فهو يؤكد فى كتابه "فرق الطب للمتعلمين" إنه

(٤٤) جالينوس : التجربة الطبية، ص ١ وانظر أيضا اكرام فهمى حسين: التقليد الطبى. المنطقى فى مدرسة الاسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف د. محمد مهران - آداب القاهرة، ١٩٩١، ص ٤٩.

(٤٥) جالينوس: فرق الطب للمتعلمين، سبق ذكره، ص ١٥.

(٤٦) جالينوس: التجربة الطبية، ص ٦٣-٦٥.

لا يمكن لاحد أن يصل إلى معرفة عضو من الأعضاء دون أن يقف على طبيعة كل واحد من الأعضاء الظاهرة "ولست أحتاج إلى أن أقول إنه يحتاج في هذه الأشياء إلى علم المنطق حاجة شديدة"^(٤٧).

وقد حاول جالينوس تفنيد رأى القائلين بأن المزاج الحار الرطب هو أعدل الأمزجة وقد اتبع في ذلك تحليلاً منطقياً يقول: "وقد حدث من اعتقادهم هذا خطأ على الحق نفسه وفي العلاج، ولذلك (فإن) الأولى لمن لم يتدرب على علم المنطق ألا ينظر في الطب الذى يكون على التجربة حتى يتدرب فى صناعة المنطق، لأن من لا يتدرب فى تلك الصناعة كان جدير بأن يخطئ مثل هذا الخطأ"^(٤٨).

ويتضح من النص السابق عدة أمور منها تأكيد على أهمية المنطق بالنسبة للطب وتعلمه، ومنها أيضاً فكرة تكامل المناهج المختلفة فى تعلم الطب وأهمها منهج القياس ومنهج التجربة. فإن كان ريشر يؤكد على أهمية المنطق بالنسبة إلى الطب عند جالينوس فإننا نرى بالإضافة إلى ذلك حرص جالينوس الشديد على بيان دور كل من القياس والتجربة بالنسبة للمتعلمين فى صناعة الطب سواء فى تشخيص الأمراض أو فى تحديد وسائل العلاج. ونضيف إلى ذلك استخدام جالينوس الطريقة المنطقية فى معرفة الأدوية وتركيبها أيضاً. يقول عن الترياق "إنه ركب أولاً بالقياس وصحح أخيراً بالتجربة"^(٤٩). وهذا يؤكد سمة التكامل بين المناهج التى ذكرناها مع بيان أهمية المنطق فى علوم الطب المختلفة مما يجعل جالينوس بحق من أعمدة القائلين بالتقليد الطبى المنطقى.

{ GOAL

(٤٧) جالينوس: فرق الطب للمتعلمين، ص ١٦.

(٤٨) جالينوس: التجربة الطبية، ص ٨٨.

(٤٩) ابن رشد: رسائل ابن رشد الطبية، تلخيص كتاب الترياق، ص ٤١٣.

الفصل الرابع

جالينوس الأخلاقى

تمهيد :

حين نتناول الجانب الأخلاقى فى كتابات جالينوس فنحن نعرض فيما نعتقد لأهم جانب من جوانب إسهامات الفيلسوف الطبيب وأكثرها تأثيراً. والحقيقة أن الاهتمام بهذا الجانب الأخلاقى مبنى فى الأساس على نصوص جالينوس الأخلاقية التى فقد أصلها اليونانى، وبقيت ترجمتها العربية، ومن هنا فإن هدفنا فى هذا الفصل، هو إبراز مكانة جالينوس فى مجال الأخلاق فى تاريخ الفلسفة، وعلى هذا فإن مهمتنا هنا مزدوجة تتمثل أولاً فى بيان إسهام جالينوس الأخلاقى، وذلك بتحليل نصوصه، وفى مقدمتها مختصر كتاب الأخلاق^(١) وثانياً بيان الأصول التى أعتمد عليها ثم موقف الفلاسفة الذين تعاملوا مع فلسفته الأخلاقية.

والحقيقة التى ستتضح لنا هى أن معظم من كتب فى الأخلاق فى الفلسفة الإسلامية قد توقفوا قليلاً أو كثيراً أمام آراء جالينوس، إما بتبنى هذه الآراء أو بتحليلها ونقدها. ومهمتنا هنا هى الكشف عن دور كتابات جالينوس الأخلاقية، ورحلتها فى الفكر الفلسفى، وموقف الفلاسفة منها، وإذا كان فالترز قد وجه معظم دراساته لبيان الأصول اليونانية لفلسفة جالينوس الأخلاقية^(٢) فإن اهتمامنا ينصب هنا - على بيان الجهود العربية التى انطلقت من كتابات جالينوس الأخلاقية خاصة تلك التى تتبعت ما يمكن أن

(١) لقد اهتم الباحثون المحدثون بالمختصر العربى لكتاب الأخلاق لجالينوس، فقد نشر كرواس المختصر مع مقدمة لتحقيقه فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية. المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧ ص ١-١٥. ونقل عنه د. ماجد فخرى النص فى كتابه الفكر الأخلاقى العربى، ص ٢١٥-٢٣٣، وهو يشير إلى ذلك صراحة فى حديثه عن مصادر النصوص، ص ٤٦٧. وقد نشر بدوى نفس النص مع نصوص أخرى لجالينوس منها مقالته "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن"، فى كتابه دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١، ص ١٩٠-٢١١.

(2) Walzer : Greek into Arabic p. 142.

نسميه بالأخلاق الطبية^(٣) فعملنا وإن كان يواصل جهود الباحثين السابقين فهو لا يتابعها، وإن كان يسعى لإكمالها وتطويرها، ويختص بالتتقيب عن الأخلاق الجالينوسية وبيان موقف الفلاسفة اللاحقين عليه من دراساته الأخلاقية.

أولاً : كتابات جالينوس الأخلاقية :

قدم جالينوس كتابات عديدة في الأخلاق، حيث ذكرنا في فهرست كتبه ٢٣ كتاباً في علم الأخلاق^(٤) لم يبق منها في اليونانية إلا عمل واحد فقط هو في "تعريف الإنسان عيوبه"، وبالنسبة لمؤلفاته الأخلاقية التي ترجمت إلى العربية، فقد أورد ابن النديم في "الفهرست" ثلاثة كتب هي: كتاب تعرف المرء عيوب نفسه، ترجمة توما، وإصلاح حنين، في مقالة واحدة، و"كتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم"، نقل حبيش، مقالة، وكتاب الأخلاق، أربع مقالات، وذكر أنها لحبيش^(٥) ويعطينا حنين بن إسحق في رسالته إلى يحيى بن على في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، بيانا أكثر تفصيلاً عن مؤلفاته الأخلاقية التي يذكر لنا منها :

١- كتابه "كيف يتعرف الإنسان ذنوبه وعيوبه"، أما جالينوس فنذكر أنه كتب هذا الكتاب في مقالتين، وأما أنا فلم أجد منه إلا مقالة واحدة، وهي ناقصة. ويضيف حنين أنه كان قد ترجم منها شيئاً إلى السريانية منذ دهر لدواد المتطبب، "وانقطعت الترجمة على من غير استكمال منى لما وجدت باليونانية، لعارض عرض، ثم إن بختشيوخ - وهو من الذين استفادوا وطوروا أفكار جالينوس الأخلاقية - سألني منذ قريب أن أتممه له فدفعته إلى رجل رهاوى يقال له توما فترجم ما كان بقي، وتصفحته، وأصلحته، وأضفته إلى المتقدم^(٦). الكتاب إذن معروف في العربية ذكره

(٣) د. ماجد فخري، الفكر الأخلاقي العربي، الأهلية للنشر والتوزيع ط، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢١٧.

(4) Walzer: Greek into Arabic، P. 142.

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤٩.

(٦) حنين بن إسحق: في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، ص ١٧٦.

حنين، وابن النديم، والحقيقة أن لهذا الكتاب تأثيرا كبيرا على الفلاسفة العرب، ويمكن أن نعطي نموذجا لذلك بآبن سينا الذى قدم لنا فيما يتعلق بالنفس وحدوثها وكيفية هذا الحدوث موقفا أشبه بموقف جالينوس^(٧).

ويتضح تأثير ذلك العمل بصورة واضحة فى الأخلاق عند الشيخ الرئيس، فمن يتصفح رسالته فى السياسة فى المواضيع التى يتناول فيها سياسة الرجل نفسه، ومعرفة المرء أخلاقه بغيره^(٨) يجد أفكار جالينوس فى كتابه "كيف يتعرف الإنسان ذنوبه وعيوبه".

٢- "كتابه فى صرف الاغتمام"، هذا الكتاب مقالة واحدة - كما يخبرنا حنين - كتبها لرجل سأل ما باله لم يراه اغتم قط، فوصف له السبب فى ذلك، وبين بماذا يجب الاغتمام، وبماذا لا يجب، وكان ايوب قد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية، وترجمته أنا لداود المتطبيب إلى السريانية، وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى^(٩). والحقيقة أن هذا الكتاب كان له تأثير كبير فى كتابات الفلاسفة المسلمين التى لم تكتف فقط بمحتوى كتاب جالينوس، إنما أيضا عنوانه، فالكندى أول الفلاسفة العرب الذى ينسب له ابن النديم "رسالة فى الأخلاق"، وأخرى "فى التنبيه على الفضائل" لم يصلنا من مؤلفاته الخلقية شىء سوى رسالته - التى تحمل العنوان والمضمون الجالينوسى - "الحيلة لدفع الأحزان"، التى نشرها كل من فالترز R. Walzer وهملوت ريتز H. Ritter^(١٠) ويصفها ماجد فخرى الثى

(٧) د. حسام الدين الألوسى: حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٩٦.

(٨) ابن سينا : السياسة، فى لويس شيخو: مقالات فلسفية، دار البستاني، القاهرة، ص ١-١٧، وأيضا تيسير الأرض: المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار، بيروت ص ٣٣٩، ٥٠٥-٥٠٧، وانظر أيضا دراستنا الأخلاق عند ابن سينا، مجلة دراسات إسلامية، إسلام آباد، باكستان.

(٩) حنين بن إسحق : المصدر السابق، ص ١٧٧.

(10) Ritter and Walzer: Memoria dela reale Academia deilncei: Roma vii8 1983.

ونشرها عنه د. ماجد فخرى: الفكر الأخلاقى العربى، ص ٢٣٤-٢٤٨. ود. عبد الرحمن بدوى، رسائل فلسفية: منشورات الجامعة الليبية، بنغازى ٩٧٣-٦-٣٢. وانظر دراستنا: الأخلاق فى الفكر العربى: الكندى: مجلة دراسات شرقية، باريس، العدد ٩، ١٠ ص ٤٧-٥٣.

أعاد نشرها عنهما بأنها ذات طابع رواقى^(١١) مما يؤكد لنا حقيقة أصول جالينوس الفكرية من جهة، وانتقال الفلسفة الرواقية إلى العالم الإسلامى عبر كتاباته من جهة ثانية، وللرسالة أهمية كبرى تتمثل فى أنها طبعت الفكر العربى اللاحق بطابعها؛ فالرازى، ويحيى بن عدى، ومسكويه، وابن سينا، والغزالى قد نهلوا جميعا من معينها، سواء فى باب دفع الغم أم الخوف من الموت وما يتصل بهما من شئون، فكانت بهذا المعنى ركيزة من ركائز التراث الخلقى العربى.

ونحن نجد لابن سينا أيضا رسالة بالعنوان الجالينوسى نفسه، وهى "رسالة فى دفع الغم من الموت"^(١٢) مما يوضح تأثير كتابه "فى صرف الاغتمام" على الفلاسفة العرب والمسلمين خاصة مسكويه الذى قدم رسالة بهذا الاسم، هى فى الحقيقة جزء من تهذيب الأخلاق^(١٣).

٣- كتابه "فى أن الأخيار من الناس ينتفعون بأعدائهم"، وهذا الكتاب أيضا مقالة واحدة، وقد ترجمه حنين إلى السريانية لداود، وترجمه حبش لمحمد بن موسى إلى العربية، وهى رسالة فقد أصلها اليونانى، وبقيت فى ترجمة حنين^(١٤).

٤- كتاب "فى آراء أبقرات وأفلاطون" عشر مقالات، وغرضه فيه أن يبين أن أفلاطون فى أكثر أقاويله موافق لأبقرات من قبل أنه عنه أخذها، وأن أرسطو فيما خالفهما فيه قد أخطأ، ويبين فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التى بها تكون الفكرة، والتوهم، والذكر، ومن أمر الأصول الثلاثة التى منها تنبعث القوى التى بها يكون تدبير البدن، وغير ذلك من فنون شتى^(١٥) وقد ذكره جالينوس فى جوامع كتاب طيماوس وفى كتاب الأخلاق.

(١١) د. ماجد فخري: المرجع السابق، ص ٢٣٧، ٤٦٧.

(١٢) ابن سينا: رسالة فى دفع الغم من الموت. ضمن رسائل ابن سينا فى أسرار الحكمة المشرقية، نشرها مهران، ليدن ١٨٨٩.

(١٣) مسكويه: رسالة فى الخوف من الموت، نشرة لويس شيخو ص ١٠٣-١١٤ من كتاب مقالات فلسفية، دار البستانى القاهرة. ١٩٨٥ وراجع أيضا تهذيب الأخلاق نشرة قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.

(١٤) فالنزر: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء العاشر ص ٤٤٦ وانظر استشهد ابن أبى أصيبعة بهذا الكتاب، ص ١٢٨-١٢٩.

(١٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ١٤٠.

٥- كتاب فى العادات ذكره حنين بن إسحق فيما ترجم من كتب جالينوس، وقال: كتاب فى العادات، هذا الكتاب مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها، ترجمت هذه المقالة إلى السريانية لسلمويه بن بنان. وكذلك ورد ذكرها فى مقالة حنين بن إسحق فى ذكر الكتب التى لم يذكرها جالينوس فى فهرست كتبه، أما الترجمة العربية لكتاب جالينوس فى العادات فقد وصلت إلينا فى مخطوطة بمكتبة آيا صوفيا (رقم ٣٧٢٥ ص ١٩٣ ظ - ٢١٨ و) وهى لحبيش بن الحسن، كما يظهر من أولها، راجع RTTER - WALZER. A (846). RABISCHE UBERSETZUNG GRIECH AERZRE P. ويضيف ابن أبى أصيبعة فى وصفه لهذا العمل قوله: "كتاب فى العادات: مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها، ويوجد متصلا بهذا الكتاب ومتحدا معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول أفلاطون بشرح ابروقلس له" (١٦)

وقد ظن لويس شيخو أن مختصر كتاب الأخلاق هو كتاب جالينوس فى العادات. وقد بين كرواس فى مقدمة تحقيقه لمختصر كتاب الأخلاق، أن العاملين مختلفان، ونستطيع من مقارنة نص كل منهما أن نتأكد من ذلك، فالمختصر يتكون من أربع مقالات بينما "فى العادات" مقالة واحدة، الأول فقد أصله اليوناني، والثانى وجد فى أصله اليوناني، وترجمته العربية (١٧).

٦- مقالة "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن"، وقد كتبها جالينوس بعد كتاب الأخلاق، ويبين فيها الأسس الفسيولوجية للسلوك الخلقى "فنحن إذا ما عدلنا البدن بالأطعمة والأشربة والأشياء التى تفعل كل يوم، كان ذلك مما يعين على نيل الفضيلة. وغرضه فيها هو "معرفة أخلاق النفس وانفعالاتها الظاهرة فى الصبيان الصغار" اعتماداً على نظرية أفلاطون فى النفس (١٨). وهى مثل معظم كتابات جالينوس الأخلاقية تؤكد على

(١٦) ابن أبى أصيبعة : ص ١٤٠.

(١٧) كرواس: مقدمة نشرة مختصر الأخلاق لجالينوس، ص ٩.

(١٨) جالينوس: فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن، فى بدوى، دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، ص ١٨٣.

الارتباط الواضح بين الطب والسلوك (الأخلاق)، وبين قوى النفس ومزاج البدن، ونجد لدى الرازي عبارة تتشابه مع هذه الفكرة لفظاً لكنها تختلف عنها في الدلالة تنقلها عن ابن أبي أصيبعة ثم نعقب عليها، قال الرازي: "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس"^(١٩). إن عبارة الرازي على العكس من فكرة جالينوس، وإن كانت تدور في إطار جالينوسى فهي تتعلق بأسلوب العلاج، وطريقة الطبيب في تهيئة المريض نفسياً للشفاء، إلا أننا بإزاء نظريتين إحداهما أقرب إلى الطب النفسى نستخلصها من قول الرازي، والثانية تؤسس الأخلاق، وتفسر السلوك الإنسانى على أساس من الطب.

٧- ويأتى قى مقدمة هذه الأعمال كتاب فى الأخلاق، والذى قصدنا ذكره فى نهاية مؤلفاته؛ للإفاضة فى بيان موضوعه، ومحتوياته، وهذا الكتاب كما يخبرنا حنين، جعله جالينوس فى أربع مقالات، وغرضه فيه أن يصف الأخلاق، وأسبابها، ودلائلها ومداوتها. ويكاد الغزالى - فيما يوضح فالتزر. يستعمل الكلمات نفسها إذ يقول فى "المنقذ من الضلال": "إن الأخلاق فرع من الفلسفة، يشمل معرفة صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها، وأنواعها، وكيفية معالجتها، ومجاهدتها"، وهذا التعريف نفسه يرد فيما رواه حاجى خليفة فى مادة أخلاق عن ابن صدر الدين الشروانى (ت ١٠٣٦هـ) (٢٠).

وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية رجل من الصابئين يقال له منصور بن أثناس، وذكروا أن أيوب الرهاوى أيضا ترجمه، وأما ما ترجمه منصور - فيما يخبرنا حنين - فقد رأيته وما رصيته، وأما ما ذكروا أن أيوب ترجمه فما رأيته ولست أعلم أيضا هل ترجم شيئا أم لا؟ وأما أنا فلم أترجم هذا الكتاب إلى السريانية لكنى ترجمته إلى العربية، وترجمه حبيش من ترجمتى ليوحنا بن ماسويه إلى السريانية، وما وقعت عليه^(٢١).

(١٩) نقلا عن ابن أبي أصيبعة، ص ٤٢٠.

(٢٠) فالتزر: جالينوس دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص ٤٤٥.

(٢١) حنين بن إسحق: فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس.. ص ١٧٧.

وعلى أساس مذكره "حنين يصحح كرواس قول كل من ابن النديم في "الفهرست"، وابن القفطى في "أخبار الحكماء" من أن كتاب الأخلاق نقله حبيش، فنسبه الترجمة إلى حبيش غير صحيحة، إلا إذا عنى صاحبها ترجمته للكتاب إلى اللغة السريانية^(٢٢).

والمتتبع لكتب تاريخ العلم العربى يجد كثيرا من الاستشهادات المنقولة عن كتاب الأخلاق لدى كل من: ابن النديم، والقفطى، وابن أبى أصيبعة^(٢٣). فصاحب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء يستشهد بما جاء فى المقالة الثالثة من كتاب أخلاق النفس، لتصحيح أخطاء المؤرخين فيما يتعلق بحياة جالينوس فهو يعرض لفقرة طويلة من كتاب الأخلاق^(٢٤)، كما يستشهد أيضا بأخلاق النفس ليبين الربط بين أمراض البدن وأمراض النفس^(٢٥).

ويتفق الباحثون المعاصرون على أن صاحب المختصر هو أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى (أوائل القرن الرابع الهجرى، والعاشر الميلادى) وهو من النقلة المجيدين، ويقال إن له من الكتب مسائل جمعها من كتاب جالينوس فى الأخلاق، ويبدو أنه العمل الحالى، وقد اعتمد فيه على ترجمة حنين بن إسحق^(٢٦).

وفى محاولة كرواس البرهنة على أن مختصر كتاب الأخلاق الذى نشره هو ملخص لكتاب جالينوس، ويقدم لنا عدة نصوص، واستشهادات من:

(٢٢) كرواس: المصدر السابق، ص ١٢.

(٢٣) ابن أبى أصيبعة، ص ٤٧.

(٢٤) ويناقش صاحب عيون الأنباء تاريخ حياة جالينوس ويقول "واستطرف أيضا كيف لم ينتبه إلى فصل ورد فى كتاب الأخلاق تبين فيه غلط تاريخ هذه المدة.. ويضيف، وقد يكون سبب هذا الغلط من التسامح، ويستمر حتى تحصل حجة يصل بها من لم يفحص عن حقائق الأمور.. وهذه نسخة الفصل من كتاب الأخلاق. قال جالينوس"...." ص ١١٦.

(٢٥) قال (يقصد جالينوس) فى كتاب أخلاق النفس "كما أنه يعرض للبدن الممرض والقبيح، فالمرض مثل الصراع والشوصه (ألم البطن) والقبح مثل الحذب وتسقط الرأس وقرعه، كذلك يعرض للنفس مريض وقبح فمرضها كالغضب، وقبحها كالجهل" ابن أبى أصيبعة، ص ١٣١.

(٢٦) كرواس: مقدمة تحقيق مختصر كتاب الأخلاق، ص ٢٣، ٢٤، ود. ماجد فخري، المرجع السابق، ص ٢١٧، وقسطنطين زريق هوامش تحقيق كتاب مسكويه تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٣١.

ابن أبي أصيبعة^(٢٧) وابن جبريل في كتابه إصلاح النفس^(٢٨)، والبيروني في كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة" ومن كتاب المسجستاني "صوان الحكمة"^(٢٩) وتوضح تلك الفقرات ليس فقط علاقة المختصر بالكتاب، ولكن أيضاً تغلغلها في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي.

ثانياً : الأخلاق والطب :

ويهمنا أن نشير بإيجاز إلى محتويات هذا العمل الذي يعتمد على عمل أسبق هو "آراء أبقراط وأفلاطون" الذي أشار إليه جالينوس في كتابه "الأخلاق"، وكذلك في دراسته "أن قوى النفس توابع لمزاج البدن". وكتاب الأخلاق يعود إلى الفترة المتأخرة من كتابات جالينوس. في الأغلب بعد عام ١٧٦م. فقد كتبه في روما في الفترة بين ١٨٥ - ١٩٢ - وقد تناول فيه: مختلف أنواع الأخلاق وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها معتمداً في ذلك على منهج الملاحظة. يقول: "الخلق حال للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار". وهو يعتمد على تقسيم أفلاطون للنفس إلى : نفس ناطقة، وغضبية، وشهوانية وهو التقسيم الذي شاع لدى الفلاسفة المسلمين، ويبين أن الأخلاق للنفس التي لا نطق لها.

فهو حين يعرف الخلق يعرض لرأى الفلاسفة في ذلك، ويدلل على رأيه بما نلاحظه في سلوك الأطفال والحيوان الذي لا نطق له. يقول: "إنني أخذ أصل كل ما أفحص عنه في هذا الكتاب بما يظهر في الصبيان الصغار ليكون تمييز الحركات البهيمة المحضة مما يخالطه شيء من الظنون التي للناطقية وآرائها أسهل"^(٣٠)... وحين يعرض لرأى من يقولون إن جميع الأخلاق للنفس الناطقة كما قال بذلك المتأخرون يوضح أن العيان شاهد على بطلان قول هؤلاء. وهو يوظف دراساته الطبية في تفسير السلوك الأخلاقي كما يتضح في قوله: "لا يقدر الإنسان على كف الشهوانية عن حركة في غير

(٢٧) كرواس، ص ١٨-١٩.

(٢٨) نفس المصدر، ص ١٩-٢٠.

(٢٩) نفس المصدر، ص ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٣٠) جالينوس : مختصرات الأخلاق، تحقيق كرواس، نقلاً عن ملجد فخرى، ص ٢٢١-٢٢١.

وقتها أو على اعتدال ما لم يكن في نفسه الغضبية التي هي الحيوانية قوة وجلد. وجوهر هذه القوة التي يقوى بها الإنسان على الصبر والثبات في الأعمال فيما أرى هو الحرارة الغريزية لأن حركة الحرارة الغريزية كلما كانت أقوى "كان الإنسان أحرك (أكثر حركة)"^(٣١). وهو دائما يقارن أخلاق النفس بصحة البدن، فالقوة لا يكتسبها الضعيف بالرياضة كما يكتسبها القوى، كما أن الأبدان السقيمة التركيب التي لاتصبر بالتدبير والرياضة إلى حال الصحة والقوة كذلك في الأنفس"^(٣٢).

وقد أكد الفلاسفة القدماء على أن الأخلاق لغير الناطقة، وإن كان أرسطو كما يذكر جالينوس يرى أنه قد يشوب الناطقة شيء من الأخلاق، ولكن جلها في التي ليست بناطقة. وقد بينت ذلك في الكتاب الذي وضعته في "آراء أبقرات وأفلاطون"، وأوضحت هناك أن للإنسان شيئاً به يكون الفكر، وشيئاً غيره به يكون الغضب، وشيئاً ثالثاً به تكون الشهوة. ولست أبالي كيف قيل في هذه الثلاثة أشياء في هذا الكتاب، إنها أنفس مختلفة، أو أنها أجزاء لنفس الإنسان، أو أنها به تكون الفكرة النفس الناطقة، والنفس المفكرة، كان ذلك الشيء نفساً مفردة، أو جزءاً، أو قوة، والشيء الذي يكون به الغضب، والنفس الغضبية، أو النفس الحيوانية، والشيء الذي به تكون الشهوة، أو النفس النباتية.

ويعرض في المقالة الأولى النظرية العامة للسلوك الأخلاقي، ويميز بين: حالات نفس الإنسان الممدوحة وتسمى فضيلة، والمذمومة وتسمى رذيلة. وهذه الحالات تنقسم إلى قسمين: منها ما يحدث للنفس من بعد الفكر، والروية، والتميز فيقال لها معرفة، أو ظن، أو رأى، ومنها ما يعرض في النفس من غير فكر فيقال لها أخلاق، ومن الأخلاق ما يظهر في الأطفال أول ما يولدون قبل وقت الفكر. ويبين أنه لا يوجد شيء من الأفعال، ولا من العوارض، ولا من الأخلاق في الإنسان إذا استكمل، إلا وقد يوجد فيه في وقت صباه^(٣٣).

(٣١) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٣٢) نفس المصدر، ص ٢٣٢.

(٣٣) المصدر السابق، ص ٢٢١.

ثم يتناول علامات الأخلاق ويبدأ بمن خلقه الحزد، والغضب، والتهور، والجسارة. وينقل عبيد الله من جبرائيل بن بختشيوخ كما يفعل غيره من الفلاسفة الأخلاقيين العرب تعريف جالينوس للأخلاق حرفياً في الفصل السادس والعشرين "ما الخلق؟" في كتابه الروضة الطبية^(٣٤). كذلك ينقل عنه تعريفه للغضب.

ويخصص المقالة الثانية لأخلاق النفس الشهوانية، ويذكر الأشياء التي تشتهى إليها، وتشتهىها كل واحدة من هذه الثلاث الأنفس التي جميع الناس مطبوعون على شهوتها. أما الفهم يكون في النفس الناطقة، وهو قوة تبصر الاتفاق والاختلاف في جميع الأشياء، وميل هذه النفس إلى الجميل، وأما الغضبية ففيها الغضب، ولذلك سميت الغضبية، وميلها إلى الغلبة. وأما الشهوانية ففيها قوة تغزو البدن، وميلها إلى اللذة وهي نفى الأصول والأخلاق. وأما اختلاف أصناف الأخلاق فإنما يكون من قبل الكثرة، والعلة في ميل كل واحد من الأنفس في مقدار قوتها الطبيعية^(٣٥).

يقول : واعلم أن البدن إنما قرن بك ليكون لك آلة للأفعال، وأن النفس الشهوانية إنما جعلت منك من أجل البدن، والغضبية لتستجد بها على الشهوانية، وكما أن الإنسان لو قطعت يده، أو رجلاه، وبقي أعضائه التي يمكن أن يبقى بعد عديمها حياً باقياً على إنسانيته لبقاء فكره وعقله لكان إنساناً، كذلك إذا أمكن أن يبقى حياً عاقلاً بعد عدم جميع أعضاء بدنه، وقد تعرض مع تعريه من البدن من النفس التي تغزو البدن. وإذا كنت إنما أنت إنسان فبالنفس الناطقة، وقد يمكن بقاؤك بها دون الشهوانية، والغضبية حياً عاقلاً، ولو خلت منهما لما كان يعرض لها سوء السيرة فينبغي أن يستخف بأفعالها وعوارضها^(٣٦).

وقد ركز في المقالة الثالثة على الأفعال الأخلاقية، التي تتطلبها قوى النفوس الثلاث. ويقدم لنا مثالا يبين كيف يكون الضبط للنفس، هو مثال

(٣٤) عبيد الله بن جبرائيل بن بختشيوخ : الروضة الطبية، عني بتصحيحها والتعليق عليها النفس بولس شباط، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٧ ص ٤٢-٤٣.

(٣٥) جالينوس، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣٦) نفس الموضع.

"القناص والكلب". وتظهر ثقافته الفلسفية العميقة ومعرفته بالعلوم البرهانية والرياضية وتأثره بالفلسفة الأفلاطونية فيما يحدده من العلوم التي تعين النفس على الفضيلة. ويبين أن النفس الناطقة إنما تقوى بالعلوم البرهانية التي ينبغي أن يكون تعلمها بالتدريج، ويذكر لنا هذه العلوم التي يرتقى بها الإنسان بالطريقة نفسها التي يذكرها أفلاطون في نظام تربية الحراس في الجمهورية، يقول: "تشرف النفس بمعرفتها، وأعظم الأشياء، شرفا المعرفة التامة، والأشياء التي تعرف، منها إنسية ومنها إلهية، فينبغي لتتمى رياضتها: الهندسة، وعلم الأعداد، وعلم الحساب، وعلم الموسيقى، فإن هذه العلوم تزيد من قوة النفس وكمالها.... والموسيقى يحتاج إليها في إصلاح رداءة النفس الغضبية، ورداءتها قسما كالأشياء التي فضيلتها في الاعتدال، فإن كانت مطبوعة على الاعتدال فليس يحتاج إلى الموسيقى فإن النفس الناطقة تكفى في تأديبها بما يقيم في النفس من الجميل. وإن كانت أشد قساوة مما ينبغي، أو أشد تفتحا فإن استعمال ضروب من النظم والإيقاع زمانا طويلا يصلح تلك الأخلاق، فيليق بمن أراد رياضة نفسه الناطقة أن يبحث عن السبب الذي له صار بعض وزن الألفاظ والإيقاع والنظم يرضى النفس ويفتحها، وبعضه يهيجها ويقسيها. ومنه صنف آخر يصير النفس إلى حال القصد، وكأنه يحفظها على حال وسطى بين الحالين. وهذا الصنف من الوزن ومن الإيقاع، ومن النظم هو الذي يستعمل في تسبيح الله، وعند الذبائح. والعلوم التي قدمنا ذكرها ينبغي أن يتعلمها الإنسان في صباه، والموسيقى بعد ذلك، وإذا صار فتى أن يأخذ في علم البرهان، ويتعلم ذلك ممن قد تأدب بما ذكرناه"^(٣٧).

يوظف جالينوس العلوم المختلفة "البرهان وعلوم التعاليم؛ الهندسة والموسيقى في التربية والتنشئة، فالأخلاق تقوى بتذوق الفنون وتصلح بالآداب والعلوم وهو في ذلك يتابع موقف أفلاطون في الجمهورية الخاص بتربية الشباب والحراس.

ويفيض في المقالة الرابعة في الحديث عن أخلاق النفس الناطقة بصفة خاصة. وهو يعرف الأخلاق باعتبارها ميلا فطريا غير عقلى للنفس

(٣٧) جالينوس : المصدر السابق، ص ٢٢٨. انظر أيضا أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فواد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣٠-١٣٧.

الإنسانية مؤكداً على أن الاختلافات منها لا تنتج عن الطبيعة الكامنة للإنسان. ومن الواضح اعتماد جالينوس على التقسيم الأفلاطوني للنفس البشرية، ذلك الاعتماد الذي يظهر في تأكيده على فطرية الأخلاق في النفس، وفي قوله بصعوبة استبعاد الأخلاق الشريرة عن طريق التدريب والتعليم المستمر.^(٣٨)

وعند جالينوس تختلف قوى النفس الثلاث من إنسان إلى آخر وهوبدل لنا على ذلك بملاحظة سلوك الحيوان. وسلوك الأطفال في الأعوام الثلاثة الأولى من أعمارهم. ومن الواضح عند هذه النقطة أن تحليل جالينوس، واعتماده على ملاحظة سمات وخصائص، وسلوك الكائنات الحية جديد تماماً في الدراسات الأخلاقية اليونانية، وإن كنا نستطيع الربط بين تأكيد جالينوس على الأساس اللاعقلي للأخلاق، وبين اهتمام الفلسفة الرواقية بتحليل الانفعالات والعواطف^(٣٩). حيث يقترب تعريف جالينوس للأخلاق باعتبارها ميلاً فطرياً لاعقياً من التعريف الذي تبناه أريوس ديدموس Aris Didymus، وهو التعريف الذي أخذت به الأكاديمية في عصر الملك اغسطس" والذي يتلخص في أن الأخلاق هي سمة للجزء الشهواني اللاعقلي من النفس والتي بدورها تتبع العقل، ويشير بلوتارك -كما أخبرنا فالترز- إلى هذا التعريف في رسالة عن "الفضيلة الأخلاقية".

ويربط بين عمل جالينوس، وبين الأفلاطونية الوسطى، ويضعه في إطار التراث الفلسفي للأكاديمية، الذي بدأ مع فيلون اللايرسي، بل ومع أنطيوخوس العسقلاني أستاذ شيشرون. إلا أن أصول جالينوس الأخلاقية تتفق كما سبق أن أشرنا مع بوزيديوس، وكلاهما يلتزم بأراء أفلاطون. فأفلاطون نفسه يفترض أن الأخلاق ميل فطري وثابت للنفس البشرية^(٤٠)، بل إننا نجد لديه إشارات للتشابه بين الحيوانات والأطفال في عمر مبكر في الكتاب الثاني عشر من القوانين، مثلما أكد جالينوس، وإن كانت إشارات أفلاطون أكثر ثأناً ومنهجية^(٤١).

(٣٨) جالينوس: نفس المصدر، ص ٢٣٠.

(٣٩) راجع العلاقة بين جالينوس والرواقية في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(40) Walzer: Ibid., p. 147.

(٤١) أفلاطون: محاورات القوانين ترجمة د. حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٥٢٧ وما بعدها.

ونستطيع أن نتناول أحد القضايا الأساسية التي عرضها لها جالينوس في بيري ايثون "الأخلاق" لنوضح طريقته المميزة التي يمتزج فيها التجريب بالاستدلال والملاحظة بالقياس، فإذا كان في المقالة الأولى يغلب عليه النهج التجريبي المتمثل في ملاحظة سلوك الصبيان الصغار والحيوان فهو في "قوى النفس توابع لمزاج البدن" يعرض لقضية رئيسة تتعلق بحقيقة أصل الشر في الإنسان. وهى مسألة أهتم بها جالينوس إلى درجة كبيرة. ونستطيع أن نعرض لموقفين مختلفين يخالفهما جالينوس الأول موقف بعض فلاسفة الرواقية الذين يعتقدون أن كل الكائنات البشرية خيرة وصالحة بالفطرة ولكنها تفسد بعد ذلك متأثرة بالبيئة والمحيط الفاسد وتسيطر عليهم الرغبات الشريرة التي لا يفلح التعليم في كبحها والموقف الثانى يرى أن الإنسان شرير بالفطرة ولكنه يمكن أن يصلح بالتعليم مميزين بين من هم فى غاية الشر، ولا يمكن أن يتحولوا إلى الخير، والذين يؤمل فى علاج شرهم، وهم يمكن أن يتغيروا من الشر إلى الخير من خلال الأصدقاء الصالحين.

يرى جالينوس أن البعض صالح والبعض الآخر شرير بالفطرة وهناك من هم بين هذين. وقد انتقد جالينوس الرايين السابقين فهو يرفض الموقف الأول على الوجه التالي: لو أن البشر صالحين بالفطرة وصاروا أشرارا فإن ذلك ناتج عن تعلمهم الشر أما عن طريق أنفسهم أو بواسطة آخرين فإذا كانت الثانية، عن طريق المعلمين مثلاً فإن هؤلاء المعلمين أشرار بالطبع، وعلى هذا تستنتج أن كل البشر ليسوا صالحين بالفطرة. أما إذا كانوا قد تعلموها بأنفسهم ففي هذه الحالة إما أن يكون لديهم استعداد أو قدرة تميل بهم إلى الشر، ومن ثم فهم أشرار بالفطرة، أو أن يكون لديهم بالإضافة إلى استعدادهم للشر قدرة أخرى وهى التى يرغبون بواسطتها فى الخير وتخضع لسلطاتها (سلطان الأولى) وبذلك يمكن القول ثانية بأنهم سيئون بالفطرة

أما وجهة النظر الثانية فقد هدمها بحجة مماثلة حيث لو كان البشر أشرارا بالفطرة فإنه يمكن لهم تعلم الخير من آخرين أو بأنفسهم ويكرر نفس البرهان السابق بنفس الأسلوب. وبدحض آراء هذين الموقفين عزز

جالينوس وجهه نظره، لأن من الواضح أن قليل من الناس صالحين بالفطرة ولا يمكن إفسادهم، بينما هناك أشرار كثيرون بالفطرة ولا يمكن أن يصيروا من الأخيار، وهناك الآخرون بين هذا وذاك فهم ليسوا بالأشرار أو الأخيار لكن يمكن أن يتحولوا إلى أخيار عن طريق صحبة الأخيار ومواعظهم كما يمكن أن يتحولوا إلى الشر بارتباطهم بالأشرار وغوايتهم^(٤٢).

ثالثاً : تأثير أخلاق جالينوس على اللاحقين :

أشرنا في سياق حديثنا عن كتابات جالينوس الأخلاقية إلى ترجماتها العربية، وإلى إشارات مؤرخي العلم العربى لهذه الكتابات، وفي بعض الحالات ألمحنا إلى وجود تعريف جالينوس للأخلاق لدى بعض الفلاسفة، ونود في هذه الفقرة أن نوضح إلى أى مدى أثرت الكتابات الأخلاقية لجالينوس في أعمال فلاسفة الأخلاق العرب المسلمين، وما طبيعة هذا التأثير، وموقف هؤلاء الفلاسفة من كتابات جالينوس الأخلاقية؟ وكما مر بنا فإن الأخلاق الجالينوسية ذات صبغة أفلاطونية رواقية. ومن هنا يمكن القول إن جالينوس كان واحداً من الطرق التي عرف العرب من خلالها الآراء الأفلاطونية، والرواقية في الأخلاق، مثلما عرفوا الأخلاق الأرسطية من خلال ترجمة كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس"^(٤٣) ومن الطبيعي أن عدداً ليس قليلاً من الفلاسفة العرب أصحاب النزعات التوفيقية قد تأثروا بكل من الأخلاق الأرسطية والأخلاق الأفلاطونية، بل يمكننا القول إن كثيراً منهم قد تناول الأخلاق الأرسطية عبر تقسيم أفلاطون للنفس، ومن ثم تقسيم الفضائل المرتبطة بقوى النفس المختلفة الشهوانية والغضبية والناطقة، ويمكننا الترحيح أن هذا الفهم الأفلاطوني للفضائل، الذي تسلسل إلى شروحهم على الأخلاق الأرسطية جالينوسى المصدر. ونرى من جانبنا أن عرضاً موجزاً لبعض الكتابات الأخلاقية العربية سوف يساعدنا على فحص هذه الفروض.

(٤٢) راجع فالتزر: أضواء جديدة على فلسفة جالينوس الأخلاقية، ص ١٦٠-١٦١.

(٤٣) أرسطوطاليس: الأخلاق، ترجمه إسحق بن حنين، تحقيق عبدالرحمن بدوى، وكالة المطبوعات الكويت. انظر تصدير المحقق حول استشهادات الفلاسفة المسلمين بكتاب نيقوماخيا.

لقد حازت كتابات جالينوس الأخلاقية شهرة كبيرة، وعرفت على نطاق واسع، وسرت أفكار وأقوال فاضل الأطباء، الفيلسوف، المنطقي، الأخلاقي جالينوس في معظم المؤلفات الأخلاقية العربية. فهو من "الكتاب اليونان القلائل الذين يذكرون بالاسم وتنقل عنهم شواهد مطولة"^(٤٤).

وأولى هؤلاء الفلاسفة الذين أخذوا عن جالينوس في الطب، والفلسفة، والأخلاق هو الكندي فيلسوف العرب، فإذا تصفحنا قائمة مؤلفاته الطبية، وراجعنا محتوياتها نجد تأثراً بجالينوس، وقد لاحظ إسماعيل حقي أزميز أن الكندي تأثر بالطب اليوناني، وكتاب الأدوية المفردة لجالينوس^(٤٥). ويرى ماجد فخري أن هناك تياراً أفلاطونياً ملحوظاً في سياق استدلال الكندي يشبه استدلال طيماوس، كما يرد في تلخيص جالينوس الذي ترجم في عهد الكندي^(٤٦). وإذا أردنا أن نتوقف أمام الناحية الأخلاقية عند الكندي سنجد أفكاراً عديدة تتلاقى وأفكار جالينوس خاصة في رسالة "الحيلة في دفع الأحزان" الذي عرف طريقه إلى الفلاسفة العرب اللاحقين من خلال الكندي، كما يشير إلى ذلك عدد من الباحثين أمثال: ماجد فخري في "الفكر الأخلاقي العربي"، وفالترز في مادة "جالينوس" في دائرة المعارف الإسلامية، الذي يرى أن مسكويه، وابن سينا قد أفادوا من رسائل الكندي خاصة "الحيلة في دفع الأحزان" ويرجح أن مسكويه ربما نقل شاهد من كتاب الكندي المفقود في الأخلاق، وأن هذا الكتاب عرفه الغزالي أيضاً^(٤٧). وبعرض عبدالرحمن شاه ولي في كتابه "الكندي وآراؤه الفلسفية" لكثير من أقوال مسكويه التي يذكر فيها طرق معرفة الإنسان عيوبه، وينسبها (أي مسكويه) إلى جالينوس والكندي^(٤٨).

(٤٤) فالترز: جالينوس دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص ٤٤٩.

(٤٥) إسماعيل حقي أزميز، فيلسوف العرب الكندي، نقله عن التركية عباس العزاوي، بغداد، ١٩٦٣، ص ٨٦-٨٩.

(٤٦) د. ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٣٦.

(٤٧) فالترز: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد العاشر.

(٤٨) د. عبدالرحمن شاه ولي: الكندي وآراؤه الفلسفية، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، ١٩٧٤، ص ٤٣٦.

ونستطيع أن نتتبع تأثير أفكار جالينوس الأخلاقية المستندة إلى آراء أفلاطون في النفس لدى عددا من الفلاسفة العرب عبر الكندي؛ يمثل الكندي أخذاً عن أفلاطون النفوس- بحيوانات، فالقوة الشهوية التي للإنسان مثل الخنزير، والغضبية مثل الكلب، والعقلية مثل الملك، وهذا التشبيه نجده مفصلاً عند مسكويه، وأصله موجود لدى أفلاطون. ويخبرنا حسام الدين الألوسي أن هذا التشبيه غير موجود في الجمهورية، وأن كان هناك صورة قريبة منه في فايدروس حيث يشبه أفلاطون النفس بمركبة مجنحة، الحوزى فيها هو العقل والجودان هما الإرادة والشهوة أحدهما أبيض مطيع رمز الحاسة، والآخر أسود اللون جامح رمز الشهوة. ولعل من جاء بعد أفلاطون فهم أن الأبيض المطيع هو الكلب والآخر الأسود هو الخنزير، والسائق هو العقل وسماء الملك. ومما له دلالة هنا أن السجستاني في كلامه عن جالينوس وحكمه يخبرنا أن جالينوس قال: "قياس النفس الغضبية عند النفس الناطقة قياس الكلب عند القناص وقياس الفرس عند الفارس. وهذا مما يتفق وما ذكره جالينوس من أن أفلاطون وصف النفس الشهوانية بسبع ضار"^(٤٩).

وإذا كان الكندي اعتمد في كتاباته الأخلاقية على فكرة قوى النفس، وفضائلها التي تمثل التقليد الأفلاطوني الجالينوسي الأخلاقي فإن الرازي، أبابكر محمد بن زكريا (٢٥٠ - ٤١٥ هـ/ ٨٦٤ - ٩٢٥ م) والذي ينتمي بدوره للتيار الفلسفي الأفلاطوني، والذي لقب بجالينوس العرب، نجده على الرغم من موقفه النقدي من طب جالينوس يتابع أفكاره الأخلاقية. لقد كان الرازي في الطب أبقراطي المذهب جالونسيه، ولم يمنعه ذلك من نقد صاحبيه عندما رأى موضعاً للنقد. وألف كتاباً أسماه الشكوك على جالينوس، وهو يعتذر عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس^(٥٠). ويعتمد عليه في

(٤٩) د. حسام الدين الألوسي: فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٧٣.

(٥٠) أبو بكر محمد الرازي: رسائل فلسفية مضافاً إليه قطعاً من كتبه المفقودة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٥.

الفصل الذى تناول فيه دافع الغضب فى كتابه "الطب الروحاني" (٥١).

وللرازى مذهب مشهور فى اللذة أشار إليه فى "الطب الروحاني" وفى كتاب "السيرة الفلسفية"، وجعله أيضا موضوعا لكتابه فى "مائية اللذة" ويتضح لنا أن الرازى تأثر فى قوله فى اللذة والألم بما قاله أفلاطون فى كتابه طيماوس، ولعله لم يرجع إلى ترجمه هذا المصدر مباشرة، بل اقتبس مذهب منه بتوسط جالينوس^(٥٢). والحقيقة أن تمايز موقف الرازى من جالينوس واضحا تماما سواء فى مجال الطب، أم الفلسفة، أم الأخلاق على الرغم من أن كلا منهما يتشابه مع الآخر من حيث أن كلا منهما طبيب من جهه وينتميان إلى التيار الأفلاطونى من جهة ثانية.

والرازى فى كتابه الشكوك يتوقف أمام أفكار جالينوس باعتباره فيلسوفا وينتقده على هذه الأساس ويعرض للقضايا الفلسفية المختلفة التى وردت فى كتبه. وهو يعلم قدر الرجل ومنزلته وتقدمه فى جميع أجزاء الفلسفة فقد تعلم منه وأفاد من أعماله. وهذا موقف جالينوسى تماما فمن السمات المهمة فى أعماله سمة النقد فصناعة الطب والفلسفة لا يحتمل (فيها) التسليم للرؤساء، والقبول منهم، ولا مساهلتهم وترك الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه كما قد ذكر ذلك جالينوس فى كتابه "فى منافع الأعضاء"، حيث وبخ الذين يكلفون أتباعهم وأشياهم القبول منهم بلا برهان^(٥٣).

ويناقش الرازى قول جالينوس بقوى النفس الثلاثة ووظائفها كما جاءت فى كتابه "قوى النفس توابع لمزاج البدن" بقوله: إن من قبل اختلاف أخلاق الصبيان والأطفال أن جوهر النفس منهم مختلف لأنه لو لم يكن جوهر النفس منهم مختلفا لما كانت أخلاقهم مختلفة حتى يكون بعضهم وقحا وبعضهم حيا. وهذا فى رأى الرازى غير واجب، ذلك أنه قد يشرب جماعة

(٥١) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٥٢) الرازى: الشكوك على جالينوس معهد الدراسات الإسلامية، جامعة طهران ١٤١٣، ص ٥٣-٥٤.

(٥٣) الرازى: الشكوك على جالينوس، ص ١٠.

من خمرة واحدة فيحدث فيهم عنها أحداث مختلفة بحسب اختلاف طبائعهم. وهذا لايعنى عند الرازى ثبات الطبائع أليس يمكن أن تكون للنفس الشهوانية شهوة الأشياء الجميلة وللنفس الفكرية شهوة الجماع والملاذ. فنحن "نشتهي الرئاسة والغنى ونتشوق إلى الذات الغائبة عن حواسنا للتصور الفكرى ولذلك فقنا البهائم فى هذه المعانى حتى تسلقنا منها على غاياتها واستخرجنا شجى الألحان ومصب الإيقاعات واستدركنا صنعة ضروب الأطعمة اللذيذة، ووقعنا فى الفسق والإلف، واضطررنا من أجل المنافسة فى هذه الأشياء إلى المحاسبة والقتال، ووقفت لنا من أجل التصور الفكرى النجدة والثبات فى القتال أكثر من جميع الحيوان، وترقبنا أيضا من هذه بالتصور الفكرى إلى تذكر الأحبة والحنين إلى الأوطان والهم والفكرة فيما بعد الموت ولولا النفس الفكرية لأصبنا من هذه بقدر ما يصيب البهائم فقط ولم نتجاوزها فكيف يمكن أن يقال إنه ليس للنفس الناطقة شهوة على الملاذ وهى الباعثة على هذا كله والمستخرجة له"^(٥٤).

وينتقد قول جالينوس بان الأخلاق لغير الناطقة، فالأخلاق التى هى أفعال الجزء العصبى إنما تهيجها الفكرة والرؤية والأمر فى ذلك ظاهر سيما من الغم "فإنى لا أحسبه لمن لا فكرة له"(ص ٢٦) ويرد على قول جالينوس "إن الأطفال والبهائم تعضب وتفزع وتفرح وتحزن وهى لا تستعمل الفكرة" بانها تستعمل الفكرة لأن لديها تصور لما تفزع منه أو تطمئن إليه.. وكيف يجوز أن يقول قائل إنه لا فكر للبهيمة أصلاً مع ما ترى من أفاعيلها العجيبة"^(٥٥).

والفيلسوف الثالث الذى ينتمى إلى التيار الفلسفى نفسه هو أبو الحسن العامرى (ت ٣٨١هـ) صاحب "السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية" أهم الكتب الأخلاقية التى تمثل النزعة الإنسانية فى القرن الرابع الهجرى^(٥٦)

(٥٤) المرجع السابق، ص ٦٧-٦٨.

(٥٥) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٥٦) أبو الحسن العامرى: السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية، تحقيق الدكتور أحمد عبدالحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١، ص ٥٩، ٦٠، ٩٠.

والذى لا يخلو كتابه من رؤية تجميعية تتألف فيها أفكار أفلاطون، وأرسطو، وجالينوس، والفلاسفة اليونان من جانب مع الحكمة الفارسية من جانب آخر وذلك فى إطار إسلامى جامع.

ويعتمد العامرى على آراء جالينوس فى اللذات والآلام. وذلك فى عرض اللذة، سواء الجسمانية أم النفسانية وأقسامها، وحين يتناول ماهية اللذة، وأنواعها. لقد أفاض العامرى فى الحديث عن اللذة والألم فى النصف الثانى من القسم الأول من كتابه، حيث يخصص له العديد من الفقرات التى توضح لنا موقف جالينوس من اللذة والألم. فالألم هو خروج البدن عن حالته الطبيعية فى زمان يسير وبمقدار كثير، فإن خرج قليلا لم يذكر، وكذل كان خرج كثيراً، ولكن خروجه فى زمان كثير. واللذة هى رجوع البدن إلى حالته الطبيعية فى زمان يسير^(٥٧).

وهو ينقل عن جالينوس، ويستشهد بأرائه فى أقسام اللذات: جسمانية ونفسية، والجسمانية أقسام. وفى الأشياء المؤذية (الآلام)، ثم يعرض بعد ذلك للقول فى الحواس، وهل يتفاوت حالها فى الأذى واللذة. ثم يستطرد لبيان "بقية القول فى الأشياء المؤذية"^(٥٨). وبعد أن يحدد فى فقرات لاحقة "القول فى ماهية اللذة والأذى" من أقوال جالينوس يعلق على هذه الأقوال بأن ما قاله جالينوس وفرفوريوس، وحكاة أرسطو كالقريب بعضه من بعض من جهة المعنى، وإنما الاختلاف من جهة العبارة، وأن ما فيه من الاختلاف غير بعيد^(٥٩).

ونجد استشهادات عديدة من جالينوس مأخوذة من كتاب الأخلاق جاءت بالتفصيل تحت عناوين : فى الفرق بين الغضب والهم. فى الفرق بين الغضب والحر. فى الحر ما هو؟^(٦٠)، كذلك نجد استشهادات أخرى مأخوذة من أفلاطون نقلها عن جالينوس مثل: القول فى المسكر وشربه "الذى ذكره

(٥٧) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٥٨) المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

أفلاطون في النواميس، وذكر عنه جالينوس^(٦١). وكذلك مذكره جالينوس في الكتاب الذي يقول فيه بأن النفس تابعة لمزاج البدن عن أفلاطون: إنه قال ليس ينبغي للقضاة والولاة وجميع من يقصد للمشورة أن يشرب^(٦٢).

وحين نصل إلى مسكويه فإننا نصل إلى واحد من أهم فلاسفة الأخلاق الذي قدم العديد من المؤلفات الفلسفية التي ترجع مصادرها إلى أفلاطون، وأرسطو، وجالينوس، والكندي. لقد اطلع على كتابات فاضل الأطباء ورجع خاصة إلى كتاب جالينوس "الأخلاق"، أو أخلاق النفس كما يذكر لنا في كتابيه الفوز والتهذيب^(٦٣). ويذكر لنا أيضا أنه قرأ "في تعرف المرء عيوب نفسه"، ونجد ملخصا له في التهذيب، بالإضافة إلى كتبه الطبية مثل: "كتاب التشريح وكتاب منافع الأعضاء"^(٦٤).

ويحدد لنا كراوس في عدد من أبحاثه علاقة مسكويه بجالينوس، في مقدمة نشرته لمختصر كتاب الأخلاق، يوضح أهميته بالنسبة للمصادر التي استقى منها مسكويه أصول تفكيره الأخلاقي^(٦٥). وفي "رسائل الرازي الفلسفية" يبين اهتمام مسكويه بالرازي خاصة في: رسالة الطب الروحاني، و"رسالته في اللذة"، و"رسالته في اللذات والآلام"^(٦٦). وهو مثل جالينوس في الطب النفساني لا يضع طبه لكل الناس لأن نفوسهم تختلف وتتباين^(٦٧).

(٦١) المصدر السابق، ص ٣٦١.

(٦٢) الموضوع نفسه.

(٦٣) مسكويه: تهذيب الأخلاق، نشرة قسطنطين رزيق، الجامعة، الأمريكية، بيروت، والفوز الأصغر، تحقيق د. صالح عزيمة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧، ص ٩٥.

(٦٤) د. عبدالعزيز عزت: (ابن) مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٤٦ ص ٩٦. مسكويه: الفوز الأصغر، ص ١٢٢.

(٦٥) كراوس: مقدمة نشرة مختصر كتاب الأخلاق لجالينوس، ص ٦٤.

(٦٦) مسكويه: من رسالة في اللذات والآلم. نشرة د. عبدالرحمن بدوي في: دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١ ص ٩٨-١٠٤.

ورسائل الرازي الفلسفية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٤٤.

(٦٧) د. عبدالعزيز عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، ص ٣١٦.

ويبدو أنه شغل بموضوع تعرف الإنسان عيوب نفسه، وخالف جالينوس في ذلك، فهو يرى "أن الانتباه هو وسيلة استقصاء الإنسان لعيوب نفسه حتى يمكنه أن يبتعد عنها ويقومها، وأن هذه العيوب لا يمكن أن تخفى عليه كما يعتقد جالينوس^(٦٨). وتتشابه آراؤهما في مسألة إمكانية اختيار الإنسان صديقا ليكون وسيلة صادقة توضح له عيوبه. ويرى مسكويه أن مثل هذا الصديق الذي ينصح به جالينوس متعذر غير موجود ولا مطموع فيه، ولهذا ينصح أن يسعى الإنسان إلى توجيه انتباهه إلى إستغلال العدو في معرفة عيوب نفسه. وهذه الأفكار تتشابه مع ما جاء في كتاب جالينوس "إن خيار الناس ينتفعون بأعدائهم"، ويوضح لنا عبدالعزیز عزت عدداً من المواضيع في "تهذيب الأخلاق" مقارنة بمثيلاتها في كتب جالينوس ليبين التشابه بينهما^(٦٩) مؤكداً أن جالينوس أحد المصادر التي استقى منها صاحب تهذيب الأخلاق بعض أفكاره الفلسفية^(٧٠) وهذا ما يشير إليه دي بور^(٧١) وإن كنا نرجح مع فالتر أن مسكويه استمد كثير من هذه الأفكار من خلال الكندي^(٧٢).

(٦٨) المصدر السابق ص ٣٢١.

(٦٩) راجع المصدر السابق، صفحات ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤١١.

(٧٠) يتناول مسكويه في بداية المقالة الثانية من كتابه (الخلق وتهذيبه والكمال الأنساني وسبيله)، (وتعريف الخلق، هل يمكن تغييره بالتهذيب (وبعرض لكثير من الآراء، وموقف جالينوس منها ورفضه لبعضها، ص ٣١-٣٣، وفي حديثه عن (كمال الإنسان ليس في اللذات الحسية) من نفس المقالة، يعرض رأي جالينوس في كتابه أخلاق النفس ص ٤٤-٤٦، وفي المقالة السادسة (صحة النفس: ضغطها وردّها) يناقش رأي جالينوس في "تعرف المرء عيوب نفسه" يقول: "ويجب على حافظ الصحة على نفسه أن يتطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد، ولا يقتنع بما قاله جالينوس في ذلك.. وبعد أن يعرض رأي جالينوس يرى أن هذا الذي أشار به جالينوس (الصديق الناجح) معوز غير موجود لا مطموع فيه، ولعل بخبر فيها أن أخيار الناس ينتفعون بأعدائهم، وهذا صحيح لا يخالفه فيه أحد (ص ١٩٠)، وراجع أيضا تعليقات قسطنطين زريق، ص ٢٢٥، وص ٣٣١.

(٧١) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٥٩، ١٦١.

(٧٢) انظر في ذلك فالتر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة جالينوس، وعبدالرحمن شاه ولي ص ٤٣٦، وحسام الدين الألوسى، ص ٢٧٣، وتهذيب الأخلاق، ص ٢١٩ وما بعدها.

وتوضح الكتابات الأخلاقية للفلاسفة السابقين : موقفاً متميزاً يسعى إلى صياغة رؤية أخلاقية إنسانية لا تعتمد فقط على مصدر فلسفي، أو ديني بعينه، ولا تكتفى بفيلسوف يوناني مفرد كأفلاطون، أو أرسطو بل تضيف إلى كل منهما جالينوس، وتضيف للفلسفة اليونانية، الحكمة الفارسية، والشرعية الدينية لتقدم لنا رؤيتها الأخلاقية. وبالإضافة إلى هذا الموقف نجد أبا سعيد عبيد الله جبرئيل بن بختشيوخ يقدم لنا اتجاهاً جديداً متقدماً يمكن أن نطلق عليه "الأخلاق الطبية السيكلوجية" في كتابيه "رسالة في الطب والأحداث النفسانية"، و"الروضة الطبية".

يتخذ عبيد الله بن بختشيوخ^(٧٣) موقفاً من جالينوس فهو أحياناً يعتمد عليه اعتماداً كاملاً كما في كتابه "الروضة الطبية" حيث نقل عنه تعريف الأخلاق^(٧٤). وتعريف الغضب والحد^(٧٥) وغيرها من تعريفات^(٧٦). وأحياناً أخرى ينتقده. لقد رحب ابن بختشيوخ بالنقد الذي وجهه جالينوس إلى أفكار أفلاطون الطبية، نظراً لأنه ينادى بفصل الطب عن الفلسفة، ونحن نجد لدى

(٧٣) هو أبو سعيد عبيد الله بن جبرئيل بن بختشيوخ، من أسرة طبية شهيرة يذكر لنا حنين بن إسحق أنه ترجم لأفرادها العديد من كتب جالينوس في الطب في رسالته إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، راجع الرسالة في بدوي: دراسات ونصوص صفحات ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦ وقد ذكر أوليري مدى اهتمام جبرئيل بن بختشيوخ بكتب جالينوس في الطب، راجع أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ ص ٢١٩. وقد درس جبرئيل وحقق كما يذكر لنا ابن أبي أصيبعة تاريخ ميلاد جالينوس بواسطة التقويم الميلادي، وفند القول بأن جالينوس عاصر السيد المسيح. ومن مؤلفات أبو سعيد عبيد الله بين جبرئيل: تفسير لكتاب تحريم دفن الأحياء، كتاب في طب الأخلاق، كتاب في طب النفس ومداواة الأخلاق، وجوب النظر على الطبيب في الأحداث النفسانية وكون العشق مرضاً، وقد نشر فليكس كلاين فرانكة، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، والروضة الطبية، نشرة الأب بولس شباط، المطبعة، الرحمانية بمصر ١٩٢٧.

(٧٤) ينقل لنا في كتاب الروضة الطبية في الباب الثامن عشر في "ما النفس؟" تعريف جالينوس للنفس كما جاء في مقالته بأن النفس تابعة لمزاج البدن، ص ٣١، وينقل الباب السادس والعشرين في "ما الخلق؟" نقلاً حرفياً، تعريف جالينوس للأخلاق ص ٤٢-٤٣.

(٧٥) وفي الباب السابع والعشرين ينقل لنا تعريف جالينوس للغضب ص ٤٣-٤٤.

(٧٦) وكذلك تعريفه للإبصار ص ٧٠ وللصوت ص ٧٠، ٧١.

جالينوس العديد من الحجج الفلسفية، فقد انتقده ابن بختشيوخ كذلك. وقد ظهر نقده لجالينوس قبل ظهور انتقادات جالينوس لدى العلماء المسلمين بمائة عام.^(٧٧) وأحيانا ثلاثة يطور أفكاره في الطب النفسي، ويؤسس عليها مذهباً أخلاقياً كما في "رسالته في الطب والأحداث النفسانية". حيث يعلى عبید الله من شأن الطبيب الفيلسوف والسيكولوجي، ويطلق عليه "الجليل جالينوس"^(٧٨) ويوضح محقق رسالة أبى سعيد عبید الله أن جالينوس أول من أجرى تجارب في علم النفس، وإن كان لم يقد بنصف ما قام به ابن بختشيوخ في هذا المجال. يقال إن جالينوس قام بتجارب على امرأة كانت تعشق أحد الفنانين، وتوصل إلى النتيجة القائلة بأن هذه المرأة تعاني عشقاً شديداً، ولكن ذلك دون مرض في بدنها، وهذا ما يدل على أن جالينوس لم يكن يعرف العلاقة القائمة بين النفس والجسم، وعلى العكس من ذلك، فقد أدرك ابن بختشيوخ أنه ليس من الممكن أن يكون الجسم سليماً إذا كانت النفس مريضة، وهو أول من تعرف على انسجام النفس والجسد. ويقول ابن بختشيوخ: بأن كل مرض نفساني "هو مرض جسماني في آن واحد ويعتمد في ذلك على النتائج التي توصل إليها جالينوس بأن السهر يعرض لسبب الغم. وبرهان ذلك أن جالينوس قد كان يعلم أنه يوجب سبب نفساني للمرض الجسماني. ولكن يعسر البرهان على ذلك الارتباط السببي بين النفس والجسم"^(٧٩) ويورد لنا فصلاً كاملاً من المقالة الثامنة من "آراء أبوقراط وأفلاطون" مما يوضح أن هذا الكتاب عرف وترجم إلى العربية^(٨٠). ليناقد قضية أن المتشاكل بالعلوم المنطقية لا يمكنه تدريس الكتب الطبية إلا بعد مخالطة الأطباء، وتدريبه بتجارب الأعمال الصناعية. ويؤكد على ذلك بما جاء في مقالة جالينوس "في الأسماء الطبية"^(٨١).

وما يهمنا في رسالة عبید الله بن جبرئيل هو ما جاء في الفصل الرابع عن مناقضة من زعم أنه لا يجب على الطبيب النظر في الأحداث النفسانية،

(٧٧) انظر مقدمة فليكس كلاين فرانكه لنشره رسالة في الأبحاث النفسانية، ص ١٤.

(٧٨) أبو سعيد عبید الله بن بختشيوخ، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٧٩) المصدر السابق، ص ١٦-١٧.

(٨٠) المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦.

(٨١) نفس المصدر، ص ٢٧.

وبيان وجوب ذلك، حيث يعرض لشرح جالينوس الفصل السادس من "ابيضيميا" في المقالة السابعة من تفسيره لها موضحاً "أن جالينوس قد أغنى في هذا التفسير والشرح عن إقامة البرهان في وجوب النظر في أمر الأحداث النفسانية على الطبيب...^(٨٢) وكتاب جالينوس في "آراء أبقرات وأفلاطون" خاص بهذا المطلب لأنه قد دل فيه على مواضع قوى النفس، والأخلاق، وهذه الترجمة توبخ المنكر لكمال صناعة الطب، لأنه ذكر آراءهم في أمور النفس لا في غيرها، وجالينوس يقول في هذا الكتاب في عدة مواضع إن النظر في الأمور النفسانية ملزم الأطباء ضرورة^(٨٣).

أما الكتب التي توضح هذا المعنى فيما يرى ابن جبرئيل "فهى كتاب أبقرات" في تقدمه المعرفة بتفسير جالينوس، وكتاب "الأهوية والبلدان" فإنه قد خصص فيه الكلام على الأخلاق والسجايا، وبين كيف تتغير أحوال النفس بحسب البقاع والأهوية، وذكر اختلاف الخلق والأخلاق، ويرى أبو سعيد أن أحدا لا ينكر أن أبقرات طبيب، وأن لا أحد ممن أتوا بعده أنكر عليه كلامه في الأخلاق والأحداث النفسانية^(٨٤) ومن هنا يمكن، بل يجب ضرورة أن تتأسس الأخلاق والدراسات النفسية على الطب. ويستشهد على ذلك بما جاء في كتاب أبقرات أبيضيميا وشرح جالينوس له، يقول: "أى خلق خرج فإنما سبب خروجه تغير مزاج البدن وتغير المزاج مرض، وأحق الناس بالنظر في ذلك الطبيب، والفلاسفة مقرون بذلك، أعنى أن الأطباء أحق بالنظر في الأخلاق. ويعتمد في الدليل على ذلك بكتاب جالينوس "أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن"^(٨٥) ويعرض لنا أحد فصول هذا الكتاب يدل فيه دلالة بينه على أن جميع الأخلاق، والأحداث النفسانية ينتفع بها التدبير الطبى، ويمكن أن يزداد وينقص بالأغذية، والأشربة، والبقاع، والأهوية، ويداوى ما خرج منها عن الأمر الطبيعى^(٨٦).

(٨٢) نفس المصدر، ص ٣١.

(٨٣) نفس المصدر، ص ٣٣.

(٨٤) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٨٥) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٨٦) نفس المصدر، من ص ٣٨ حتى ٤١.

ثم يعرض لقضيته الأساسية التي يرجع فيها الحالات الشعورية إلى البدن في الفصل الخامس تحت عنوان (فى الرد على من أنكر كون العشق مرضاً)، وهو يؤسس ذلك على تقسيم أفلاطون للنفس إلى: ناطقة، ويختص بها الدماغ، وغضبية ويختص بها القلب، وشهوية، ويختص بها الكبد، وهو ما أورده جالينوس "فى آراء أبقراط وأفلاطون"، وأكد عليه فى "كتاب الأخلاق"، ليبين أن الأفراط فى اللذة مرض من قبل الشهوة، والشبق^(٨٧)، وقد ذكر هذا جالينوس فى المقالة الحادية عشرة من كتاب "البرهان"^(٨٨)، وقول جالينوس شاهد بأن اسم العشق، عند اليونان هو اللذة المفرطة والشبق، والنتيجة التي يؤكدّها، وتتفق مع غرضه من رسالته، والمبنية على قول جالينوس أن جميع الأحداث النفسانية تابعة لمزاج الأعضاء الرئيسة، كما يرى أبو سعيد "وجب على ما برهنه جالينوس أنه لم يحدث هذا الخلق السيئ إلا من قبيل سوء مزاج حدث للأعضاء الرئيسة، وسوء المزاج مرض لا محالة والعشق عارض مع سوء المزاج، وهو على مذهب أفلاطون داخل فى باب "الأخلاق"^(٨٩) وينقل لنا فصلاً من شرح جالينوس لكتاب أبقراط "تقدمة المعرفة"^(٩٠) ويقدم لنا نماذج، وأمثلة من الأطباء توضح العشق، وتشخيصه، وعلاجه منها ما ذكره جالينوس فى كتاب خاص عنوانه "فى نواذر تقدمه المعرفة"^(٩١) ومنها ما جرى لتياذوق مع الحجاج بن يوسف^(٩٢). وليؤكد لنا فكرته الجوهرية، وهو أن العشق أو الشهوة المفرطة مرض ناتج من تغيرات تحدث فى البدن، وأن معرفة ذلك وإدراك هذا السلوك، وتغيره، وتبديله من مهام الطبيب، وأن دوره فى الفحص عن أسباب الأخلاق، وعلاجها هو من أخص وظائفه، فالأخلاق مبنية على علم وظائف الأعضاء، ومؤسسة على المعرفة الدقيقة بالطب.

(٨٧) نفس المصدر، ص ٤١-٤٢.

(٨٨) نفس المصدر، ص ٤٨.

(٨٩) نفس المصدر، ص ٥٦.

(٩٠) المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨، ٥٩.

(٩١) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٦٠ وينقل لنا ما كتبه فى هذا المجال فولوس فى المقالة الثالثة من كتابه فى الباب السابع عشر، وما قاله إسحق بن حنين، فى كتابه، وابن مندويه الأصفهاني فى كتابه المعروف بالمغيث، والرازي فى الطب الروحاني، ص ٦١-٦٤.

تعقيب :

تلك النماذج التي أوردناها توضح لنا معرفة العرب بأخلاق جالينوس واعتمادهم على كتاباته المختلفة في هذا المجال، وهي الكتابات التي تؤسس الأخلاق على الطب. وهذا يعنى أن الأخلاق وجدت ليس فقط ناقلين ومترجمين أو شارحين ومفسرين، بل صياغات عربية متعددة مزجت الأخلاق الأفلاطونية والرواقية والجالينية، وقدمت منها صورة متميزة للأخلاق الأرسطية التي نهل منها العرب وعرفوها وترجموها وتشهد نصوصهم المختلفة بمعرفتهم لهذه الأخلاق، كما أوضح لنا محقق الترجمة العربية لكتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس". مما يجعلنا نقول أن تعامل الفلاسفة العرب المسلمين مع أخلاق جالينوس كما في تعاملهم مع كتاباته الأخرى: الطبية والمنطقية قد قدموا لنا تياراً الفلسفة اليونانية : الأرسطية والأفلاطونية، وأنهم في تبنيهم للأرسطية أخذوا من جالينوس موقفاً نقدياً، وحين مالوا إلى أفلاطون أقتربوا وتبنوا فلسفة جالينوس وعلمه الطبيعى ومنطقه ونظريته الأخلاقية.

الفصل الخامس

جالينوس فى الدراسات المعاصرة

تمهيد :

لم يشغل فاضل الأطباء العالم القديم اليونانى الرومانى فقط ولا عالم الحضارة العربية الإسلامية التى انتقل إليها العلم والفلسفة "من الإسكندرية إلى بغداد" بل وبفضل الحضارة العربية الإسلامية وجهود علمائها وفلاسفتها دفع بالعلم والفلسفة إلى العصور الحديثة، وظلت كتابات ونظريات جالينوس مستمرة وتأثيرها باقياً حتى اليوم وذلك على مستويين، مستوى تاريخ علم الطب ومستوى الفلسفة ونظرياتها المختلفة فى : النفس والأخلاق والفضائل الانسانية. ومهمتنا فى هذا الفصل تتبّع أفكار جالينوس وكتاباته واستمراريتها حتى العصر الحديث والجهود المتعددة التى تعاملت مع أعمال جالينوس فى العصر الحالى، وذلك عبر ثلاثة محاور هى :

- ١- نشر وتحقيق كتاباته المختلفة سواء بالعربية أو غيرها من لغات.
- ٢- الدراسات حول جهوده الطبية.
- ٣- الدراسات المتنوعة حول جالينوس فى الفلسفة والأخلاق والعلوم الإنسانية.

أولاً : الجهود الحديثة فى نشر وتحقيق أعمال جالينوس :

أشرنا فى الفصل الأول من هذا البحث إلى المواقف المختلفة من طب جالينوس، وقد اتخذت شكلاً تاريخياً الأول هو الترجمة ويمثله حنين بن اسحق والثانى عند المتابعين له خاصة لدى على بن رضوان، والثالث لدى الناقدين لدى ابن رشد.

(١) ويمكن أن نشير فى هذا السياق، "تطور الدراسات الجالينوسية" إلى ما أوردته ايمان محمد عبدالقادر فى بحثها المقارن عن جالينوس من خلال

نقل الترجمات العربية لنصوصه اليونانية إلى اللاتينية منذ قسطنطين الإفريقى (ت ٤٨٠هـ - ١٠٨٧م) وأول ترجمة لاتينية لجالنيوس ١٤٩٥م ثم عام ١٥٤١م مروراً بترجمة كونراد جيسنر Conral Gesner فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى، وبالنسبة للنصوص اليونانية لجالنيوس فقد نشرت اربع مرات اثنين دون ترجمات لاتينية ومرتين مع ترجمات لاتينية. الأولى ١٥٢٥م فى خمسة مجلدات والثانية ١٥٣٨م ثم طبعه فى ثلاثين مجلداً بباريس ١٦٧٩م تحتوى على أعمال أبقراط وجالنيوس قام بها رينه كاريتيه.

وأهم هذه النشرات ما قام به كارل جوتلوب كين C.G. Kuhn فى ٢٢ مجلد بعنوان Claudu Galeni Opera Omnia وظهرت منذ ١٨٢١ حتى ١٨٣٣ وهى من اكمل النشرات لأعمال جالنيوس اليونانية مع ترجمات لاتينية.

وهناك نشرة ثانية لبعض كتابات جالنيوس اصدرها كل من ج. مولر، وج. هيلمرش فى ليبزج ١٨٨٤ - ١٨٩٣ فى ثلاثة مجلدات بعنوان Claudu Galen Pergameni Scripta Minora هذا بالإضافة إلى نشرات متعددة لأعمال منفردة لجالنيوس مثل اصدار دى لاسى Ph. De Lacy لكتاب فى آراء أبقراط وأفلاطون De Platitis Jippocratis Platonis ضمن سلسلة Corpus Medicarum Graecarum^(١).

(٢) ويمكننا أن نشير إلى كتابات جالنيوس فى العبرية خاصة دراسة ريتشارد فالترز Calen on Jeius and Christians لندن ١٩٤٩ وليبر E. Lieber "جالنيوس فى العبرية : نقل أعمال جالنيوس فى العالم الاسلامى الوسيط" اعداد ف.نوتن V. Nutton. فقد بدأت ترجمات جالنيوس إلى العبرية منذ القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين وكانت فى الغالب

(١) راجع ايمان عبدالقادر : دراسة مقارنة لفكر جالنيوس الأخلاقى فى المصادر اليونانية والترجمات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ص ٦-٧-٨.

الاعم عن العبرية وليس عن اليونانية، ومن اهم النقلة اليهود شمشون بن شلومو Shimshon ben Sholomo. وهناك عدد كبير من الفلاسفة اليهود اخذو عن جالنيوس سواء من العربية مباشرة أو عن ترجمات اعماله إلى العبرية مثل : ابن جبيرول (ت ٤٥٠هـ) في كتابه "اصلاح الأخلاق" وموسى بن عيوزا" وموسى بن ميمون، الذي سبق أن أشرنا إلى موقفه من جالنيوس - في الفصل الأول - وابن كمونه (ت ٦٨٣هـ) في كتابه "الجديد في الحكمة". وتشير إيمان عبدالقادر إلى جهود هؤلاء وتورد لنا نصوصهم في العربية التي تنقل عن جالنيوس.^(٢)

(٣) والجهود العربية في نشر وتحقيق اعمال جالنيوس تحقيقاً علمياً قام بها المستشرقون والاساتذة العرب وفي مقدمة هذه الجهود تحقيقات د. محمد سليم سالم.^(٣) فقد عنى اساتذة الجامعات المصرية بنشر مخطوطات جالنيوس وفي مقدمتها "مختصر كتاب الأخلاق" الذي نشره كراوس.^(٤) كما نشر كل من كراس وفالترز جوامع كتاب طليماوس، ونشر ريتشارد فالترز النص العربي لكتاب التجربة الطبية مع ترجمة انجليزية وتعليقات. وصدر عن جامعة لندن^(٥). ونشر كلا من فرنكة مقالة جالنيوس في العادات عام ١٩٧٩. واورسولا فاير كتاب جالنيوس المولودين لسبعة أشهر في مجلة تاريخ العلوم عند العرب، معهد حلب، المجلد السابع ١٩٨٣.^(٦)

(٢) المصدر السابق صفحات ٢٢٢ حتى ٢٣٦.

(٣) يستحق د. محمد سليم سالم ١٩٠٤-١٩٩٣ دراسة تحليلية لجهوده التحقيقية للتراث العلمي والطبي اليوناني في الحضارة العربية. فقد قام بدور هام في تحقيق عدد من الأعمال الهامة مثل منتخبات الاسكندرانيين وشروح ابن رشد على أرسطو راجع عنه، أوراق كلاسيكية، العدد الرابع، ١٩٩٥ ص ٧١-٨٣.

(٤) راجع ما ذكرناه عن تأثير تحقيق كراوس لمختصر كتاب الأخلاق لجالنيوس في الكتابات العربية المعاصرة، في الفصل الرابع من كتابنا الحالي.

(٥) Galenon Medical Experience, the arabic version with English Irans and Nots by R. Wfalzer. Oxford Uni. London.

(٦) مختصر كتاب جالنيوس في المولودين لسبعة أشهر لثابت بن قررة الحارنى، اورسولا فاير، مجلة تاريخ العلوم عند العرب، حلب المجلد السابع العدد ١، ٢ عام ١٩٨٣.

- وتحتاج تحقیقات د. محمد سلیم سالم الإشارة حیث اصدر بمفرده ما یقرب من ثلث منتجات الاسکندرانیین لاعمال جالینوس وهی علی التوالی :
- کتاب جالینوس فی فرق الطب للمتعلمین ١٩٧٨^(٧)
 - کتاب جالینوس إلی غلوقة فی التأتی لشفاء الأمراض ١٩٨٢^(٨)
 - کتاب جالینوس إلی طوثرن فی النبض للمتعلمین ١٩٨٦^(٩)
 - کتاب جالینوس فی الاسطقسات علی رأی أبقراط ١٩٨٧^(١٠)
 - کتاب جالینوس فی الصناعة الصغیرة ١٩٨٨.

وکلهما صادرة عن مرکز تحقیق التراث بالهیئة المصریة للکتاب بالقاهرة. یضاف إلی ذلک التحقیقات المتعدد لتلخیص ابن رشد لرسائل

(٧) یمتاز تحقیق د. سلیم سالم لهذا العمل وغیره بالتعلیقات المستفیضة بالعربیة والیونانیة علی النص وبالمقدمة الواضحة الّتی تضعه فی سِیاق من اعمال جالینوس اعتماداً علی مصادر العلم العربی وعلمی اشارات المؤلف فی فهرست کتبه، ومراتب قراءة کتبّه ویذكر لنا المخطوطات الثلاث الّتی اعتمد علیها اضافة إلی النص الیونانی الذی حققه هیلمریش Helmreich وكذلك طبعة کین. راجع مقدمة المحقق ص ٥-٧.

(٨) یعد کتاب جالینوس إلی غلوقة فی التأتی لشفاء الأمراض العمل الرابع من جوامع الإسکندرانیین وهو عمل ضخم مکنون من مقالتان یقع فی ٥٦٥ صفحة مع مقدمة وفهارس بالاضافة لتعلیقات المحقق الّتی توازی تقریباً نصف العمل. وقد حققه سلیم سالم العمل عن سبع مخطوطات بالاضافة إلی عدد من الشروح خاصة شرح علی ابن رضوان له وللصناعة الصغیرة وتلخیص الرازی صلة البراء. والعمل كما یخبرنا المحقق هو تلخیص وشرح حنین لکتاب جالینوس. مقدمة المحقق ص هـ.

(٩) وهذا العمل مقالة واحدة غرضه فیها أن یصف ما یحتاج المتعلم إلی عمله من أمر النبض ویعدد فیهِ أصناف النبض كما یخبرنا حنین بن اسحق فی رسالته عن ما ترجم من کتب جالینوس بعلمه وبعض مالم یترجم.

(١٠) هو الکتاب الخامس من منتخبات الإسکندرانیین، ویخبرنا المحقق انه لیس لأبقراط کتاب عنوانه فی الاسطقسات الا أن کتابه فی طبیعة الإنسان هو الذی تحدث فیهِ عن هذه العناصر الأول. وهذا الکتاب هو مرجع جالینوس فی بیان آراء جالینوس فی هذا الموضوع. وکان هذا الکتاب من بین الكتب الستة عشر الّتی لابد من دراستها دراسة وافیه یشمخ لأحد من العالم العربی بمزاولة مهنة الطب، تصدیر المحقق ص ٣

جالينوس الطبية خاصة تحقيق سعيد زيدان والادب جورج قنواى

ثانياً : الاهتمام بأعمال جالينوس الطبية :

ويرتبط بالجهود السابقة فى نشر وتحقيق أعمال جالينوس الاهتمام بكتابه الطبية ونشر نصوصه المختلفة فى الطب، حيث أفردت الدوريات العلمية وكتب تاريخ الطب أجزاء كبيرة للحديث عن أعمال الطبيب اليونانى وتأثيره فى العالمين القديم والوسيط.

ومن هذه الجهود نشير إلى ما كتبه أى. دى. فيليب E. D. Phillips فى الفصلين الثامن والتاسع من كتابه "مناحي الطب اليونانى" A Spect of Greek Medicine مطبوعات تشارلز فيلا ليفيا حيث يعرض لجالينوس (ص ١٧٢-١٨١) الطب الاغريقى (١٨٢-١٩٦).^(١١) وكذلك ما قدمه م. اولمان فى الجزء الثانى من Surveyes Islamic عن الطب الاسلامى حين يعرض للأعمال الطبية اليونانية.^(١٢) ودراسة وترجمة ميشيل و دولز Michael W. Dals عن الطب الاسلامى الوسيط وكتاب على بن رضوان "الامراض الوافدة بأرض مصر" حيث يخصص الدراسة الأساسية فى تقديمه للحديث عن الجالينوسية.^(١٣)

ويتابع جوتهارد شتروهمر G. Strahmaier أعمال جالينوس فى العربية. فإذا ما عثر على نص جالينوس فينشر ضمن سلسلة Corpus Galen of Medicarum Graeevorum ويمكننا مراجعة جهوده فى دراسته Pergamon in Arabic and The editorial Program of The Corpus Medicorum Graecum in Craeco - Arabica, 1993. وقد قدم ج. اس.

(11) E. D. Phillip; Aspects of Greek Medicine, the CHARLES press, publishers, philadelphia, P. 172-196.

(12) Manfred ullmann : Islamic Surveyes II Islamic Medicine, P. 8-15.

(13) Michael W. Dols : Medieval Islamic Medicine, Uni., of califarnia pres. P. 3-24.

ويلكى J. S. Wilkie و ج. اى. ار الويد G.E.R. Eloyd فى دراستهما للنسخة العربية لكتاب جالنيوس فى الفرق فى العدد ٩٨ من جريدة الدراسات الهلينية ١٩٧٨ تحليل للترجمة العربية ودقتها لنص جالنيوس. ونفس الأمر بالنسبة لكتاب جالنيوس الصناعة الصغيرة Ars Parva من أجل توثيق النص اليونانى.

ثالثاً : الدراسات المعاصرة فى فكر جالنيوس الفلسفى والأخلاقى لجالنيوس:

نتناول فى هذه الفقرة مجموعة من الدراسات التى تدور حول جهود جالنيوس الفلسفية. وهى دراسات متنوعة تاريخية، ببلوجرافية، فلسفية تتناول على التوالى جهود جالنيوس وأعماله فى الحضارة اليونانية الرومانية القديمة أو لدى العرب أو فى اليهودية أو انتقالها إلى العصر الحديث من جهة، ومن ناحية أخرى دراسات حول افكار جالنيوس ونظرياته الفلسفية والأخلاقية فى النفس والفضائل والخير والشر. وغيرها من مجالات علمية وأدبية اهتم بها فاضل الأطباء جالنيوس وسوف نبدأ بالدراسات المقارنة التى تتناول جهود الطبيب الفيلسوف فى حضارتين.

الدراسات المقارنة :

(١) فكر جالنيوس الأخلاقى فى المصادر اليونانية والترجمات العربية. وهى دراسة الباحثة إيمان محمد حامد التى انجزتها عام ١٩٩٧ وهى بحث مقارن فى فكر جالنيوس الأخلاقى فى مصادر اليونانية القديمة وفى الحضارة العربية من خلال ما تم من ترجمات متعددة لأعماله وتمتاز الدراسة باعتمادها على المصادر الأصلية المختلفة الطبية والفلسفية فى اللغة اليونانية والانجليزية والعربية وكونها جمعت أكبر قدر من النصوص الجالينية فى هذه اللغات. وتمثل هى ودراسات أخرى فى نفس المجال تيار متميز للدراسات المقارنة له حضور قوى فى آداب القاهرة.

وتتكون الدراسة من بابين وملحق يقع الباب الأول "المصادر" فى ثلاثة

فصول : الأول جالينوس فى التراث الاغريقى الرومانى والثانى جالينوس فى التراث العربى، لدى المترجمين وعند حنين بن اسحق ثم لدى المؤرخين وكتاب السير، والفلاسفة وعلماء الأخلاق والأطباء. والفصل الثالث، الكتب والشذرات الباقية فى التراث العربى لفكر جالينوس الأخلاقى، التى وصلت إلينا مصادرها اليونانية، والمقتطفات الموجودة عن كتاب الأخلاق وأخيراً النقول التى وردت للفكر الأخلاقى عند جالينوس.

وتتناول الباحثة فى الباب الثانى الاطار العام لفكر جالينوس الأخلاقى فى فصول ثلاثة أولها جالينوس والفلاسفة اليونان فتعرض لأفلاطونية جالينوس وأرسطيته ورواقيته. والفصل الثانى جالينوس الطبيب أخلاقياً، فتتحدث عنه طبيباً مشخفاً للأمراض، وطبيباً فيلسوفاً، ثم تأثيره فى التراث العربى خاصة لدى كل من : الفارابى، الرازى، الشهزورى، عبداللطيف البغدادى، الرهاوى، ابن ميمون، الطبرى. والفصل الثالث. والأخير لجالينوس، والنفس حيث تفيض فى عرض طبيعة النفس وعلاقتها بالبدن وخلودها وعناصرها المختلفة وتأثير آراء جالينوس عن النفس عند الفلاسفة المسلمين : الكندى، ومسكويه، الغوالى، البيهقى والطبرى والرهاوى. ويشمل الملحق قائمة بأعمال جالينوس المختلفة باليونانية واللاتينية والعربية.

والعمل فى مجمله يندرج فى اطار الدراسات المقارنة فى الحضارتين اليونانية والعربية، ويستخدم فى بعض الأحيان المنهج التاريخى التحليلى القائم على التأثير والتأثر بالإضافة للمنهج المقارن الذى يسرى على امتداد صفحات البحث. وتخرج الباحثة بنتائج هامة عن دور التراث العربى فى حفظ كثيراً من النصوص التى فقد أصلها اليونانى من هذا التراث للثقافة.

(٢) "علم البليوجرافيا عند العرب" وفيها يسعى الباحث إلى بيان دور جالينوس فى نشأة علم البليوجرافيا عند العرب. فقد تناول د. عبدالستار الحلوجى فى دراسته "نشأة علم البليوجرافيا عند المسلمين" الجهود

المختلفة السابقة على عمل ابن النديم "الفهرست" وذكر منها جهود جابر ابن حيان وجهود حنين بن اسحق فى بيان أعمال جالينوس وما ترجم منها إلى العربية^(١٤). وقد أشار د. بدوى فى دراسته "الترجمة الذاتية فى العربية"^(١٥) إلى المصادر اليونانية والفارسية لهذا الفن وأوضح مثال للمصدر اليونانى هو جالينوس الذى كتب كتابين عن حياته ومؤلفاته عرفها العرب معرفة جيدة وقد تأثر بهذا المثال كل من حنين بن اسحق وأبو بكر الرازى فى سيرته الفلسفية والحسن بن الهيثم فى مقال "قيما صنعه وصنغه من علوم الأوائل". وكذلك يفعل د. شوقى ضيف فى كتابه الترجمة الشخصية ضمن سلسلة فنون الأدب العربى (الفن القصصى) وهو فن مستحدث عند العرب قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية خاصة اليونان وفى مقدمة تلك النماذج التى قلدوها ما كتبه جالينوس خاصة فى مؤلفيه "مراتب قراءة كتبه" و "فينكس كتبه" أو فهرسها الخاص وفيهما يصور نشأته وحياته العلمية تصويراً دقيقاً ويعرض علينا فى فهرست كتبه مؤلفاته وتاريخ تأليفها ويشرح ما فيها من الآراء^(١٦).

ويتوقف أحمد عبدالحليم عطية عند مصادر الببليوجرافيا العربية "جالينوس" اعتماداً على مؤلفاته التى نجدها فى الرسالة الهامة التى كتبها حنين بن اسحق إلى على بن يحيى المنجم فيما يترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم^(١٧) بالإضافة إلى رسالة هامة وضعها حنين بن

(١٤) د. عبدالستار الحلوى: نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين فى كتابه دراسات فى الكتب، مكتبة مصباح جده، ١٩٨٨ ص ٨١-٨٦.

(١٥) د. عبدالرحمن بدوى : الترجمة الذاتية فى العربية، فى الموت والعبقريّة، وكالة المطبوعات.

(١٦) د. شوقى ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف ١٩٧٩ ص ٥-٨.

(١٧) د. أحمد عبدالحليم عطية : نشأة علم الببليوجرافيا عند العرب، دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، دار السقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٣٥ وما بعدها.

اسحق في ذكر الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه^(١٨). ويوضح الباحث ان عمل جالينوس كاتباً مصدرّاً للكتابات الببليوجرافيا العربية خاصة لدى كل من حنين بن اسحق والرازي فيما كتاباه عن جالينوس.

(٣) يتناول نفس الباحث في القسم الثاني من كتابه "دراسات أخلاقية" انتقال فلسفة الأخلاق من اليونان إلى العرب : جالينوس نموذجاً^(١٩) حيث يعرض في تمهيده للأخلاق عند جالينوس ومصادرها ثم لتأثير الأخلاقية الجالينوسية ذات الصبغة الطبية على الفلاسفة العرب وفي الفقرتين التاليتين فيترجم دراستا ريتشارد فالترز عن فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربي حديث^(٢٠) و "موعظة جالينوس" ليكشف عن جوانب مختلفة من تفكير جالينوس الأخلاقي وانتقاله إلى الفلسفة الإسلامية.

(٤) ونشير إلى عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت جالينوس في اطار البلاغة وعلم اللغة، وهو جانب اهتم به الطبيب الفيلسوف وكتب فيه وأشار إليه حنين بن اسحق في نهاية رسالته حول ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم^(٢١).

وقد خصص ف. دي لاسي Ph.De Lacy واحدة من دراساته العديدة حول جالينوس لدراسة "جالينوس والشعراء اليونان" في المجلد السابع من "الدراسات اليونانية الرومانية البيزنطية" ١٩٦٦ موضحاً اهتمامات فاضل الأطباء اللغوية والبلاغية^(٢٢) واهتم بنفس المجال ل. ت. بيرسي L.T.

(18) G. Bergsträsser : Neus Materialien Zu HNAIN IBN ISHAQS GALEN BiBliographie. leipzig 1932, P. 84-91.

(١٩) د. أحمد عبدالحليم عطية : دراسات أخلاقية، دار قباء ١٩٩٩، القسم الثاني.

(٢٠) راجع الملحق الذي الحقاه بهذا الكتاب.

(٢١) في بدوى : دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٢٢) كتب دي لاسي عدة دراسات حول جالينوس منها بالاضافة إلى ماسبق "مفهوم التواصل عند جالينوس" العدد ٢٠ من الدراسات اليونانية الرومانية البيزنطية ١٩٧٩، و "أفلاطونية جالينوس" في المجلة الامريكية للفلسفة، العدد ٩٣ عام ١٩٧٢.

Pearcy في دراسته "جالينوس والخطابة الرواقية" موضعاً التأثير القوى للرواقين على الخطابة عند جالينوس بالعدد ٢٤ من نفس المجلة السابقة عام ١٩٨٣. (٢٣)

(٥) وظهر الاهتمام الشديد في نهاية العقد والقرن الحالى بجالينوس في اطار الاهتمام بالذكرى المئوية الثامنة لوفاة ابن رشد فيلسوف قرطبة ١٩٩٨ خاصة بعد نشر الترجمة العربية لكتاب تلخيص سياسة أفلاطون، الذي نقله من الانجليزية د. حسن مجيد العبيدى وفاطمة كاظم الذهبي وعن العبرية د. أحمد شحلان حيث أثرت قضية هل تلخيص ابن رشد تم عن كتاب أفلاطون مباشرة أو من خلال تلخيص جالينوس لهذا العمل؟ والمعروف أن كتاب أفلاطون قد نقل إلى العربية ويعرف ابن رشد أنه في صورته الكاملة يتأليف من عشرة كتب ويعد نقده لجالينوس في مواضع متعددة من تلخيصه دليلاً على انه اطلع على النص الأفلاطوني، كما أطلع على تلخيص جالينوس وینجاز العبيدى مترجم التلخيص - وذلك صدر روزنتال^(٢٤) إلى ابن رشد لم يكتف بعمل جالينوس بل لخص الأصل كما يتضح من النقاط المختلفة التي انتقد فيها جالينوس، كما في الفقرة (٢٧) من المقالة الأولى التي يتهم فيها ابن رشد جالينوس بعدم فهم أفلاطون^(٢٥). وكذلك في نهاية الفقرة (٢٠) نهاية المقالة الثالثة والكتاب حين يتهمه بالجهل بالطرق المنطقية^(٢٦).

(٦) كذلك نجد الاهتمام بجالينوس في التحقيقات المختلفة التي يقوم بها الاساتذة العرب لكتب تاريخ العلم والطب والفلسفة ومن هذا القبيل ما

(٢٣) نقلاً عن ايمان عبدالقادر، المرجع السابق.

L. t. pearcy : Galen and stoic Rhetoric, GRBS Vol. 24 1983 pp. 259-272.

(٢٤) د. حسن العبيدى : مقدمة ترجمة تلخيص ابن رشد لسياسة أفلاطون، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٤-٤٥.

(٢٥) ابن رشد : تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون ص ١٣٠.

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٣٠.

جاء فى كتاب "آداب الفلاسفة" لحنين بن اسحق الذى حققه د. عبدالرحمن بدوى وصدر عن معهد المخطوطات العربية بالكويت ١٩٨٥ ويتناول آداب جالينوس ص ١٢٢-١٢٣. (٢٧)

ويفيض محقق كتاب ابن هندو : سيرته، آراؤه الفلسفية، مؤلفات فى بيان ما أخذه الفيلسوف والطبيب العربى عن جالينوس فى هذا التحقيق الصادر عن عمادة البحث العلمى بالجامعة الاردنية ١٩٩٦. يوضح المحقق تأثر ابن هندو العميق باستاذة ابن الخمار ونقله "لفهرست الجوامع الستة عشر لجالينوس" مع نقده لها (٢٨) وينقل لنا كلمات جالينوس (٢٩) وأشعاره التى يذكر فيها جالينوس (ص ٧٤-٩٦) والعبارات المختلفة التى جاءت على ألسنة الفلاسفة والأطباء العرب وهى تنسب إلى جالينوس (ص ٩١-٣٧٩-٤١٠) واستشهادات ابن هندو بأقواله فى كتاب مفتاح الطب (ص ٥٩٧-٥٩٨ و ص ٦٠٥) وعلى امتداد صفحات الكتاب مما يظهر تأثر الكبير به.

تعقيب :

يتضح من هذا العرض الموجز لاستمرارية كتابات جالينوس فى الفكر الحديث والمعاصر أن القضايا العلمية المتعلقة بالطب وجدت بعض الاهتمام وذلك للتطورات الحديثة التى تمت فى ميدان الطب والتى باعدت بينه وبين نظريات القدماء بينما القضايا الفلسفية التى شغل بها الفيلسوف الطبيب وجدت اهتماماً أكبر من الباحثين المعاصرين يفوق الاهتمام بالجانب الطبى. ومن بين القضايا الفلسفية التى عرض لها جالينوس وتوقف أمامها الباحثون القضايا المتعلقة بالدراسات الانسانية مثل : الأخلاق والنفس والمنطق واللغة ونضيف أيضاً الدراسة الببليوجرافية؛ فقد شغلت الأخلاق اهتماماً أكثر من

(٢٧) حنين بن اسحق : آداب الفلاسفة، تحقيق د. عبدالرحمن بدوى. معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٥ ص ١٢٢-١٢٣.

(٢٨) د. سحبان خليفات : ابن هندو، عمان ١٩٩٦ ج ١، ص ٨٦.

(٢٩) المصدر السابق ص ٣٩٦-٣٩٧.

باحث فى العربية والانجليزية، وكذلك قضية النفس الإنسانية وعلاقة جالينوس باللغة. مما يجعلنا نتوقف فى الفصل الأخير لمناقشة القضية التى طرحناها فى بداية بحثنا عن العلاقة بين العلم والفلسفة، الطب والميتافيزيقا عند جالينوس الذى مازال يشغل اهتمام الباحثين فى العديد من ميادين الدراسات الإنسانية، الفلسفية والكلاسيكية والمقارنة حتى اليوم.

الفصل السادس

الطب والميتافيزيقا عند جالينوس

تمهيد :

حاولنا فى الفصول السابقة تقديم صورة جديدة مختلفة عن جالينوس؛ وهى صورة الفيلسوف الموسوعى، الذى كتب فى الفلسفة والعلم الطبيعى والبرهان، بالإضافة إلى الصورة التقليدية المعروفة عنه، وهى صورة جالينوس الطبيب الذى عد مع أبقرات أشهر أسمين فى تاريخ الطب.

إن تفصيل ملامح صورة جالينوس الفيلسوف؛ ببيان تكوينه الفلسفى وإنتاجه فى العديد من العلوم الفلسفية يطرح قضية أساسية حول علاقة الفلسفة بالعلم، الميتافيزيقا بالطب، وإلى أى مدى أسهم كل منهما فى تقدم الآخر. فهل ساعدت افتراضات جالينوس الميتافيزيقية وجهوده الفلسفية فى دفع منهجه العلمى التجريبي القائم على الفحص الإكلينيكي خطوات أبعد من سابقه؟ وهل ساعدت خبرة جالينوس التجريبية فى تقديم دراسات فلسفية ذات صبغة علمية؟ هل كانت الفلسفة عائقاً أو عاملاً مساعداً لصياغة نظرياته المختلفة؟

ومهمتنا فى هذا الفصل، بيان العلاقة بين الطب والميتافيزيقا فى أعمال جالينوس، وهى من الاهداف الاساسية فى هذا البحث الذى يدور حول أعمال الطبيب الفيلسوف بين العلم والفلسفة فى الفكر القديم والمعاصر. حيث نعرض لبعض نظرياته لبيان الجوانب الطبية والجوانب الفلسفية فيها، ونتوقف خاصة فى هذا الفصل عند ما يتعلق بنظريته فى الأمزجة الأربعة ونظريته فى الإبصار أو الإدراك البصرى.

ونبدأ أولاً بنظرية الأمزجة الأربعة التى أخذها عن الطبيعىون الأوائل وعن محاوره طيماوس لأفلاطون، مطوراً إياها، جاعلاً منها جزءاً أساسى من نسقه الفلسفى الطبى.

أولاً : الطبائع الأربعة والأمزجة الأربعة بين الفلاسفة وجالينوس :

تعد نظرية الأمزجة الأربعة، التي عرفت لدى جالينوس وشاعت بفضلها في تاريخ الطب حتى عهد قريب، من النظريات الأساسية التي عرفت في الفلسفة اليونانية لدى الطبيعيين الأوائل، والتي فسر على أساسها الطبيب الفيلسوف صحة الإنسان ومرضه، بل سلوكه وأفعاله. لقد نشأت "نظرية الأمزجة الأربعة" وشرحت على يد جالينوس، واستمرت النظرية الأساسية في التعليم الطبي له حتى القرن التاسع عشر، ولاتزال حية إلى اليوم على الأقل خارج نطاق الطب، وهي نظرية أنثربولوجية تعين على تصنيف البشر - فيما يخبرنا ج. سارتون - فكل فرد من الناس مميز بمزاج خاص.^(١)

والمزاج كيفية حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادة، ذلك أنه إذا تماسكت أجزاؤها حدث من جميعها كيفية متشابهة وهي المزاج، وإن كانت المقادير في الكيفيات في الممتزج متساوية متقاربة وكان المزاج معتدلاً، أما إن كان إلى أحد الطرفين أميل - بين الحرارة والبرودة أو بين الرطوبة واليبوسة أو في كليهما كان المزاج سقيماً - كما يخبرنا ابن سينا في القانون في الطب نقلاً عن جالينوس - وليست أعضاء الجسم متماثلة في الكيفيات، فهناك أعضاء حارة كالقلب وأخرى باردة كالدماع كما أن هناك الرطوبة كالکبد واليابسة كالعظام. فلقد أعطى الخالق لكل عضو أعده مزاج مناسب لقواه التي يفعل بها وينفعل فجعل بعض الأعضاء أحر وبعضها أبرد، بعضها أبيض وبعضها أرطب^(٢). وليس للناس جميعاً مزاج واحد، وإنما يختلف المزاج بحسب الاقليم، كذلك يختلف المزاج باختلاف سن الإنسان.

وترتبط نظرية الأمزجة بنظرية الأخلاط عند جالينوس، والخلط جسم رطب سيال، إليه يستحيل الغذاء، ومنه خلط محمود وهو الذي من شأنه أن

(١) جورج سارتون. تاريخ العلم، الجزء الثاني، ص ٢٢١-٢٢٢ وانظر أيضاً مقال سارتون : "ملاحظات على نظرية الأمزجة" في مجلة أيزيس، المجلد الرابع والثلاثين ١٩٤٢-١٩٤٣ ص ٢٠٥-٢٠٧ وعنوان رسالة جالينوس

. Pwei Gason Detemperaments

(٢) ابن سينا: القانون في الطب، نشره مكتبة المثلى، بغداد، ص ١٢-١٣، وراجع تحقيق الدكتور على زيعور للكتاب الصادر عن دار عز الدين للنشر، بيروت ١٩٩٦.

يصير جزءاً من جوهر المغتذى متشبهاً به، ومنه خلط ردىء حقه أن يدفع عن البدن، والأخلط أربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء^(٣).

يتحدث مؤرخ العلم "سارتون" عن المصادر الفلسفية التى أعانت الأطباء على فهم وظائف الأعضاء. ويرجعنا إلى مصدرين أساسيين لهذه النظرية هما.

١- الفيثاغورى ألقمايون Alkmaion الكريتونى (القرن السادس قبل الميلاد)، أول من عد الصحة حالة من التوازن فى البدن Isonomia، والمرض هو اختلال هذا التوازن بسبب تغلب إحدى القوى فتحدث حالة موناركية Monarchia، أى سلطان قوة واحدة، بمعنى آخر يحدث الاتزان - فيما يرى - من اعتدال الأضداد وامتزاجها امتزاجاً مؤتلفاً يكون منه الهارمونيا Hormonia، ويعنى الطبيب فى إحداث هذه الحالة بأمرين هما: الغذاء والمناخ، فالاعتدال فى الغذاء يعنى تناول أطعمة مختلفة بنسب خاصة واعتدال المزاج هو التوسط بين اخلاط الجسم، أى الحار والبارد والرطب واليابس^(٤) وألقمايون؛ الذى ذاع اسمه فى الزمن القديم علم على أقدم مدرسة طبية فى اليونان، مدرسة كروتون، كان يعد المخ مركز الإحساس، وهى نظرية أخذها عنه أبقرات وأفلاطون، وبالتالي فهو مصدر من مصادر جالينوس. وهو على العكس من أنبادوقليس الذى جعل القلب هو مركز الإحساس^(٥).

٢- أنبادوقليس Enpedokles الذى يعد فيما يزعم جالينوس مؤسس المدرسة الإيطالية فى الطب، هذه المدرسة التى ظلت موجودة حتى أيام أفلاطون وأرسطو وكانت توحد بين العناصر الأربعة وبين الحار والبارد والرطب واليابس. تعلم أنبادوقليس الطب عن مدرسة كروتون. ونقل نظرية تناسب الكيفيات إلى الاعتدال بين العناصر^(٦). فالصحة (أو المرض) تابعة

(٣) د. أحمد محمود صبحى ود. محمود زايدان، فى فلسفة الطب، ص ٨١.

(٤) د. أحمد فؤاد الأهوائى: فجر الفلسفة اليونانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٨٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٨٩.

بدورها للتوازن (أو عدم التوازن) الناجم عن حال العناصر الأربعة التي تتألف منها الأجساد البشرية.

وقد لعبت نظرية العناصر الأربعة دوراً مهماً في الفلسفة الطبيعية وتفسير الكون والفساد، وكذلك في الكيمياء وعلم النفس حتى القرن الثامن عشر، فكان العلماء يفسرون الأمزجة بمقتضاها. (النار والهوائى، المائى والترابى" التي أطلق عليها الأسطقسات الأربعة Stoicheion وهى لفظه لم يستخدمها أنبادوقليس وإن كانت جاءت لدى أبقرات وفسرها جالينوس^(٧). فقد كان أنبادوقليس يستخدم لفظ الجذور Rhizomata. ويتضح لنا مما جاء فى كتاب "فجر الفلسفة اليونانية" الطريق الذى سلكه المصطلح، وبالتالي الفكرة إلى أبقرات ومنه إلى جالينوس، وهو محاور طيماس لأفلاطون يقول: "أول استعمال للأسطقسات نصادفه عند أفلاطون حيث يتحدث عن علة العالم كيف نشأ. فيقول كيف كانت الطبيعة قبل خلق العالم "طبيعة النار والماء والهواء والأرض، ناظرين إلى هذه الطبيعة فى ذاتها وأية صفات لها قبل وجود العالم.. فماذا تكون النار أو أى جسم من هذه الأجسام، إنها المبادئ ونفترض أنها أسطقسات الكل"^(٨).

وقد استتبع نظرية العناصر الأربعة نظرية الطبائع الأربع المتممة لها ثم استتبع فيما بعد نظرية الأخلاط الأربعة التي نجدها فى "رسالة طبيعة الإنسان" ثم نشأت نظرية الأمزجة الأربعة. فقد اعترض أبقرات (٤٦٠-٣٧٥ ق.م) على الفلاسفة - بخاصة أنبادوقليس - الذين يفسرون الطب بالطب بالطبيعي، وأنه لابد للطبيب من معرفة طبيعة الإنسان فقال: "الرأى عندي أن جميع ما كتبه هؤلاء الفلاسفة أو الطبيعويون من رسائل، فى الطبيعة لا صلة له بالطب. أما أنا فأذهب إلى أن الطب هو الأصل الوحيد للمعرفة الواضحة عن الطبيعة، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى معرفة ما بالإنسان، وما أسباب ظهوره إلى الوجود، وجميع هذه المباحث، إلا بعد أن يعرف الطب حق المعرفة"^(٩).

(٧) جالينوس: كتاب جالينوس فى الأسطقسات على رأى أبقرات، سبق ذكره.
(٨) أفلاطون طيماس ٤٨ب ١٠-٤٠ نقلاً عن الأهوانى فجر الفلسفة اليونانية، ص ١٨١
وانظر جالينوس جوامع كتاب طيماس، نشرة ريتشارد فالترز.
(٩) نقلاً عن فجر الفلسفة اليونانية، ص ١٩٠.

هذا عن نظرية الأمزجة الأربع عند ألقمايون وأنبادوقليس، وهى نظرية ميتافيزيقية فى العلم الطبيعى، وموقف أبقرات منها الذى يرفض هذا الفهم الميتافيزيقى أو رد الطب إلى العلم الطبيعى، بينما يتخذ جالينوس شارح أبقرات موقفا مختلفا يوفق فيه بين أبقرات وأفلاطون. فقد لخص طيماوس لأفلاطون، وتناول مذكركه أفلاطون فى كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب.^(١٠)

لقد كتب جالينوس "فى آراء أبقرات وأفلاطون" موضحا اتفاقهما، موقفا بينهما، رابطا بين العلم الطبيعى والطب، وهو موقف رد فيه الطب إلى العلم الطبيعى والفلسفة.

هذا موقف أبقرات الواضح والمحدد الذى يجعل من الطب هو الأساس فى معرفة الكون والوجود والطبيعة، أى أنه يعطى الأولوية للطب بمعناه التجريبى على علم الطبيعة بمعناها التأملى الفلسفى، ومن هنا فلا مجال لاية افتراضات ميتافيزيقية وعلى هذا فنحن نفترض اختلاف موقف أبقرات ليس فقط مع الفلاسفة الأوائل السابقين على سقراط بل مع سقراط وأفلاطون وأرسطو. وإذا كان هذا الافتراض صحيحا فإن كتابات جالينوس فى العلم الطبيعى - سواء تلخيصه محاوره طيماوس، أو محاولته التوفيق بين آراء أبقرات وأفلاطون تقدم لنا دلالة مختلفة، وهى أن الفيلسوف الطبيعى فى موقفه من العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى، أو بمعنى أوسع بين الطب والفلسفة يختلف تماما عن موقف أبقرات حيث نجد ميلا لدى جالينوس يحول بينه وبين الصرامة العلمية ويلقى به فى أحضان الفروض الميتافيزيقية.

للفلسفة إذن مكانة عالية فى نسق جالينوس الطبى، يعطى لها الأولوية، ويراهنا أساسا للعلم، ويطالب الطبيب بالاهتمام بها وتسرى فى معظم أعماله. مما دفع عدد من الباحثين إلى طرح هذه العلاقة للنقاش، مؤكدين على كونها سمة أساسية فى أعماله المختلفة.

ونجد هذا الموقف الجالينوسى نفسه فى تأسيس الطب على الميتافيزيقا سائدا فى معظم أعماله، بل إنه يرد نشأة علم الطب فى تفسيره لكتاب

(١٠) حنين ابن إسحق، رسالة فيما ترجم من كتب جالينوس، ص ١٧٧.

الإيمان لأبقراط، إلى الوحي الإلهي، وليس فقط إلى العلم الطبيعي يقول: "إن الله خلق صناعة الطب وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى، هو الخالق الذى هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه، وذلك أنا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التى يرون أن استخراجها كان من عند الله"^(١١).

إن هذا الرأى الذى يقدمه جالينوس مقابل من يردون نشأة الطب إلى الإنسان يرجع إلى ظروف تاريخية ودينية، أهمها قرب عهد الإسكندرية - التى عاش وعلم بها فترة مهمة من حياته - من المسيحية التى رفضت الفلسفات الوثنية واستبعدت الآراء العلمية القديمة مما أدى إلى توقف العلم وجموده، مما جعل العلماء يلجأون إلى التوفيق بين العلم والفلسفة، بين النظريات التجريبية والأفكار الدينية، وجالينوس فى نزعه التوفيقية بين الطب والفلسفة بين العلم والدين لم يكن بعيداً عن هذا الواقع.

لقد أبدى جالينوس اهتماماً كبيراً للفحص الإكلينيكي مستندا قبل كل شئ على الوقائع الملموسة غير أن ثقافته الفلسفية كانت تغلب عليه أحيانا . وهذا مايتضح فى نظريته فى الأمزجة الأربعة، وغيرها كما سيأتى ذكره.

وفى الإطار نفسه نجده يستخدم مفهوم الروح Pnuma الذى استمده من الرواقية الذى يعنى حضور العقل الإلهي فى العالم^(١٢). وقد عرفنا تمييزه بين نوعين من الروح: روح طبيعي وهو أساس فعالية الجسم الداخلية، وروح حيوى أساس حركات الجسم^(١٣) ويظهر ذلك واضحا فى وصفه لعملية الإبصار التى تنتج عن الروح الباصر. وهى ما سنعرض لها فى الفقرة القادمة لنستخلص من ذلك جدلية العلاقة بين الطب والميتافيزيقا عند جالينوس.

ثانياً : الإدراك البصرى بين الطب والفلسفة :

لم يخصص جالينوس كتاباً فى الإدراك البصرى أو الإدراك الحسى

(١١) جالينوس: تفسير كتاب الإيمان لأبقراط، نقلاً عن ابن أبى أصيبعة، ص ١٣.

(١٢) د. نجيب بلدي: تاريخ مدرسة الأسكندرية وفلسفتها، ص ٤٧.

(١٣) د. كمال السامرائي: مختصر الطب العربى، ص ١٧٦.

فلا يوجد عمل من أعماله سواء الطبية أم الفلسفية يدور حول ما نطلق عليه نظرية المعرفة. لكننا نجد بين كتاباته الطبية عدد من الأعمال التي تناولت الإبصار أو عمل العين توجد في ثنايا كتبه في التشريح ومنافع الأعضاء نذكر منها :

كتاب تشريح العين "في دلائل علل العين"، وهو كتاب مفقود، أشار إليه كل من حنين بن إسحق وماكس مايرهوف^(١٤). كتاب "في منافع الأعضاء"، خاصة المقالات الثامنة والتاسعة والعاشر. ويوضح فيه أن كل شيء في العين خلق لفائدة معينة^(١٥). كتاب "في آراء أبقرات وأفلاطون" بخاصة المقالة الثانية والثامنة.

كذلك لا تخلو بعض أعماله العامة في الطب من إشارات متعددة عن العين والأبصار، نذكر منها على سبيل المثال: "الصناعة الطبية"، "التجربة الطبية"، كتاب في حفظ الصحة، "كتاب في اختلاف الأعراض"، "كتاب في أسباب الأعراض"، "في تعرف علل الأعضاء الباطنية".

ويهمنا أن نشير في بداية هذه الفقرة إلى مسألة أساسية، هي أن نظرية جالينوس في الإبصار توجد في كتاب حنين بن إسحق "العشر مقالات في العين" الذي ضم فصول عديدة من كتب جالينوس، والتي يمكن أن نعدّها مصدراً في بيان الأفكار الأساسية التي تتناول الإبصار عند جالينوس، بخاصة المقالة الثالثة من الكتاب، والتي يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر، والإبصار كيف يكون؟ والتي اعتمد فيها حنين على الأبواب من الثاني عشر إلى الخامس عشر من المقالة التاسعة "في منافع الأعضاء"، والمقالة الثامنة من كتاب "في آراء أبقرات وأفلاطون" وبعض أجزاء كتاب جالينوس المفقود "في البرهان". وفي هذه المقالة نجد أن حنينا - كما يخبرنا مايرهوف قد شغف باتباع نظريات جالينوس نفسها بدقة^(١٦).

علينا قبل أن نحلل طبيعة وعناصر الإبصار عند جالينوس أن نعرض للأصول الفلسفية لنظريته في الإدراك البصري، والتي يمكن أن نقارنها

(١٤) حنين بن إسحق: رسالة فيما ترجم من كتب جالينوس، ص ١٦٥ ومايرهوف مقدمه نشرته كتاب حنين بن إسحق، العشر مسائل في العين، ص ٥٢.
(١٥) حنين: المصدر السابق، ص ١٦٤ ومايرهوف، ص ٤٩.
(١٦) ماكس مايرهوف، ص ٥١.

بنظرية أرسطو في الضوء والبصر التي جاءت في كتابه "في النفس" (١٧) وهي النظرية التي توسع حنين في شرحها ضمن رسالة صغيرة أسماها "في الضوء وحقيقته" لقد أخذ أرسطوطاليس وجالينوس وحنين بنظرية أفلاطون التي تقول باجتماع الأشعة (اجتماع الضياء الأفلاطونية)، أى أن النور المنعكس من الأشياء الذى يقابل شعاع البصر النورى، الذى ينبعث من الروح النورى، وهو الذى يجرى من المخ فى العصب الباصر والعدسة، وإنسان العين (الحدقة) وكان المظنون أن الهواء يتوسط بين الشعاعين (١٨).

وهذه النظرية لدى جالينوس وحنين تختلف عن نظرية أنبادوقليس؛ الذى ظن أن (شعاعاً ذا تماثيل) يترك الجسم ويلتقى بالعين، ونظرية أبيقورس وهيبارخس الذى يظن أن الشعاع البصرى يترك العين ويمتد إلى الأجسام ويلمسها.

وعلى الرغم من أن أنبادوقليس فى نظريته الإدراكية، التى تقول بإدراك الشبيه للشبيه يقول بتعاون الحواس جميعاً فى عملية الإدراك، فقد عنى بالبصر عناية خاصة، فالعين التى تبصر كالمصباح الذى يضيء بالنار المشتعلة فى داخله، والتى تخترق الزجاج المحيط به. كذلك العين فيها نار دخلية تخترق الأغشية. إلا أن العين ليست مركبة من النار فقط بل يحيط الماء بالحدقة وتمتزج أيضاً بجزء من الأرض وذلك حتى يمكن أن ندرك الأرض بالأرض والماء بالماء. يقول فى الشذرة الرابعة والثمانون من كتابه: "وكما أن الإنسان إذا أراد اجتياز الطريق فى ليل عاصف جهز مصباحاً وأشعل فيه ناراً، ووضع فى زجاج يحميه من الريح ويفرق هبات الريح، ولكن النور يشع من خلاله كلما كان نافذاً ويضيء أطراف الطريق بأشعة لاتقطع. كذلك النار الأولى (العنصرية) المنبثة فى الأغشية والأنسجة الدقيقة تخفى نفسها فى حدقه العين المستديرة، وينفذ من هذه الأنسجة منافذ عجيبة، وأنها لتحجز الماء المحيط بالحدقة ولكنها تسمح للنار أن تمر من الداخل إلى الخارج لأنها أكثر لطافة" (١٩).

(١٧) أرسطوطاليس : "في النفس" تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوى، النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٤، ص ٤٧-٤٨.

(١٨) انظر ماكس مايرهوف، الموضوع السابق.

(١٩) الأهوانى : المرجع السابق، ص ١٧٩-١٧٤.

هذا عن اهتمام أنبادوقليس بتغيير عملية الأبصار، ونستطيع أن نعرض موقف جالينوس كما ذكرنا مما جاء في المقالة الثالثة من "العشر مقالات في العين على رأى أبقراط وجالينوس، والمنسوب إلى حنين بن إسحق". وهو يحدد لنا :

إن على من يريد أن يعرف الحال فى آلة البصر أن ينظر فى الموضوعات التالية: طبيعة عصبتي البصر، فيعلم ما المشاركة بينهما وبين جميع العصب وفى ماذا تخالفانه، ثم ينظر بعد ذلك فى أمر الروح الذى به يكون البصر فيعلم ما المشاركة بينه وبين الروح الذى فى جميع العصب وفى ماذا يباينه، ثم ينظر بعد هذين فى فعل البصر نفسه كيف يكون؟ وهو يقدم لنا فى عملية الإبصار أو أمر البصر كيف يكون؟ ثلاثة آراء:

الأول : أن يرسل الشيء المبصر شيئاً منه إلينا فيدلنا به على نفسه حتى نعرفه.

الثانى : أن تذهب منا إليه قوة الحس فنعرفه بها ما هو.

الثالث : أن يأتينا بمعرفته حتى نعلم ما هو.

ويناقش الرأى الأول الذى يقول نحن إذا كنا نبصر إنما نبصر بالتقرب الذى فى الحقيقة. فإذا كان هذا القول صحيح فنحن إذا أبصرنا الشيء لم نعرف مقداره أو عظمه، أن كان فى المثل جبلا عظيما جدا . وذلك لأن قدر صورته أو شبح مقدار عظمه مقدار أعظم ما يكون من الجبال ودخوله فى العينين مما لا يقبله العقل وسمع السامع له بته. يلزم بحسب هذا القول إن يكون فى طرفه عين واحدة يرد من ذلك الشيء المبصر ويدخل فى عين الناظر إليه صورة تامة أو شبح تام كامل، وهذا شيء بجانب الإقناع بعيد عنه. وإن كان ذلك كذلك فليس يمكن إذن أن يكون يأتى الحقيقة ويدخل شيء ينبعث من الجسم المبصر. (٢٠)

وبالطريقة نفسها يعرض للرأى الثانى، ويرفضه، يقول: "وأما الوجه الثانى فأقول فيه إن الروح الباصر ليس هو مما يمكن فيه أن ينبسط هذا

(٢٠) حنين ابن إسحق: المصدر السابق، ص ١٠٤.

الانبساط كله. حتى يستدير حول الجسم المبصر ويحيط كله".^(٢١)

بقى إذن الرأى الثالث وهو أن الهواء المحيط بالأبدان إذا كان نيرا صافيا صار للبصر فى وقت ما ينظر الإنسان إلى الشئ المتقوم له فى ذلك الوقت مقام العصب فى البدن دائما. وذلك أن الهواء يقبل الملاقاه للروح الباصر إياه مثل ما يقبل عن نور الشمس. فالنور يصل إلى العينين فى عصبتي البصر جوهره أيضا من جوهر الروح. فهو يرى أن الهواء إنما يقبل النور قبولا متصلا بما يحدث فيه من تغير نور الشمس له دائما . لا بأنه إذا تغير مرة واحدة من النور الوارد عليه بقى على ذلك التغير. ولم يحتج إلى نور غيره. لأنه لو كان يكتفى بأن يتغير تغيرا ينقطع عنه لكان سيبقى فيه نوره إلى مدة من الزمان طويلة ولو احتجب عنه المنير له.^(٢٢)

وأول محسوسات البصر وأقدمها كلها فيما يرى جالينوس هو حس الألوان" وذلك أن اللون هو شئ يحسه البصر حسا أوليا ويحسه بذاته، ويحسه البصر وحده دون غيره من الحواس. ومع حس البصر باللون قد يحس أيضا بالجسم الذى له ذلك اللون ويتعرفه. إلا أن حاسة المذاق وسائر الحواس الأخرى إنما ينتظر أن يصير الشئ المحسوس إلى بدن الإنسان حتى يحس به. فأما البصر فإنه يمتد بتوسط الهواء حتى يبلغ إلى الجسم الذى له اللون. ومن أجل ذلك صارت حاسة البصر وحدها دون غيرها من الحواس تتعرف مع لون الجسم مقدار عظمه وشكله. وتتعرف أيضا مع هذين وضع الجسم والمسافة بينها وبينه. ثم تتعرف أيضا حركته وإن كان تعرفها للحركة ليس هو تعرف حس مطلق. لكن تعرف قياس من المقاييس قريب من الحس".^(٢٣)

فإذا كان البصر وحده جميع الحواس يحس المحسوس المحرك له بتوسط الهواء كإحساس الأعمى للشئ بالعصا. بل إنما يحس به الأشياء المبصرة. على أنه فى ذلك الوقت عضو منه مجانس له متصل به. وكان البصر وحده قد خص بهذه الخاصة".^(٢٤)

(٢١) نفس الموضع.

(٢٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢٣) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

مما قلنا أن بصرنا الأشياء دائماً يكون بتوسط الهواء بينها وبينها ووجدنا ذلك بينا للحس وجوداً قد أجمع عليه الناس كلهم. وذلك أن الهواء إذا كان نيراً إما من قبل نور الشمس أو من نور جسم آخر نير صار للروح الباصر كالعضو والآلة المشاكلة الموافقة. وصار للبصر آلة مقامها مقام العصبية التي فيها يتحدر هذا الروح إلى العينين من الدماغ. فكما أن الدماغ إنما يصل إليه حس الأشياء التي تحسها العين بتوسط عصبية البصر بينه وبين العين. كذلك الروح الباصر إنما تحس الأشياء المبصرة بتوسط الهواء إذا كان نيراً فيما بينه وبينها. وتحس مع حسه الأجسام المبصرة الأشياء اللاحقة بها مثل عظم تلك الأجسام وجميع أحوالها مما تقدم ذكره^(٢٥).

ويناقش الرازي قوله "إنه من البين عند جميع الناس أنه ليس يكون بأن تماثيلاً يجرى إليه من كل واحد من الأشياء المبصرة". ذلك أن هناك من يخالفونه في هذا الرأي، فكيف يقول "من البين عند جميع الناس". فأرسطوطاليس على العكس من هذا الرأي تماماً (ص ٩) وقد رد عليه الرازي في ذلك حيث أفرد - كما أخبرنا - مقالة ضخمة أوضح فيها أن الأبصار يكون بتشبح الأشباح في البصر^(٢٦).

وبعيداً عن نقد الرازي وشكوكه، وهي شكوك أغلبها منطقي فإن ما يهمنا هنا، هو التأكيد على إفراط جالينوس في بيان دور الفلسفة، واستخدامه للفروض الميتافيزيقية. فهو دائماً ما يلجأ إلى افتراضات عديدة منها افتراض الروح لتفسير العمليات العضوية في جسم الإنسان لقد استمد هذا المفهوم من الرواقية وانتشر في كتاباته المختلفة، وهو يفسر عن طريقه عملية الإبصار، فالروح الباصر هو أساس عملية الإبصار؛ فهو الذي يستشعر ويحس بالموضوعات المختلفة وذلك عن طريق توسط الهواء.

أن هذا الافتراضات أدت إلى نتائج أبعدت جهود جالينوس عن الاتجاه الطبى الإكلينيكي وأدت به إلى الوقوع في نتائج بعيدة عن الملاحظة والتجريب. وهذا ما لا حظه عدد من الباحثين في مجال تاريخ العلم. يقول د. نجيب بلدى "أن هذه الصفة الفلسفية المنطقية ذاتها (التي سادت لدى جالينوس)، هي ما أدت به في بعض الأحيان إلى مناقضة التجربة والمنهج

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢٦) الرازي: الشكوك على جالينوس، ص ١٣.

التجريبي الدقيق، وخاصة في نظريته للامزجة والطباع، وهي التي جعلته يدخل في العلم نظرية أرسطو للنفس ويوفق بينها وبين موقف الرواقيين من "الروح"، وهي التي انتهت به كذلك إلى أن يقرر في البدن قيام مبادئ وقوى لا يمكن أن تصبح يوماً من الأيام موضع تجربة أو بحث تجريبي^(٢٧) والخلاصة لدى هؤلاء أن ثقافة جالينوس الفلسفية كان لها أعظم الأثر على مؤلفاته الطبية فأوقعته في استنتاجات منطقية بعيدة عن الصواب^(٢٨) وهذا ما يطرح علينا ضرورة مناقشة هذه المسألة، إلا وهي أثر الميتافيزيقا في طب جالينوس وهذا موضوع الفقرة التالية.

ثالثاً : التأثير المتبادل بين الفلسفة والعلم عند جالينوس :

نصل هنا إلى مناقشة قضية أثر الفلسفة على طب جالينوس وهي قضية العلاقة بين العلم والفلسفة لدى عدد كبير من الفلاسفة في العصور القديمة والوسطى وبدايات العصر الحديث ربما حتى ديكارت. فالقول بالروح لتفسير العمليات الفسيولوجية لم يكن قاصراً على جالينوس فقط. يكفي أن نطالع كتاب "انفعالات النفس" الذي كتبه ديكارت في نهاية حياته حتى نتأكد أن أبو الفلسفة الحديثة يستخدم نفس المفهوم لتفسير حركة الدم في جسم الإنسان^(٢٩).

لقد توقف عدد من فلاسفة العلم لمناقشة أثر الفلسفة على الطب وقد دعا كلود برنار إلى تحرر الطب من عبء المذاهب الفلسفية^(٣٠) فكثير من القواعد الطبية تذكرنا بنظريات فلسفية مما يدعو إلى التساؤل : هل نتجت الممارسات العلاجية عن تطبيق نظريات فلسفية أو جاءت النظريات محصلة لقواعد طبية؟ أن هذه التساؤل دفع صاحباً كتاب "فى فلسفة الطب" إلى التساؤل ألا يتبع الطب التجريبي الحديث أى مذهب فلسفى؟ ويجيباً "أن

(٢٧) د. نجيب بلدى، ص ٤٨.

(٢٨) الأب جورج قنواي، تاريخ الصيدلة والعقاقير عند العرب، ص ١١٣.

(٢٩) رينيه ديكارت : انفعالات النفس، ترجمة جورج زيناتى، دار المنتخب العربى، بيروت، ١٩٩٣.

(٣٠) كلود برنار : المدخل إلى الطب التجريبي ترجمة د. يوسف مراد و حمدالله سلطان، ص ٢٣٠-٢٣٣.

النزعة العلمية التجريبية في الطب الحديث لم تحرره من كل تصور فلسفي، لأن هذه النزعة المستندة إلى مقولة ما ليس تجريبيا فهو ليس علميا إنما هي بدورها اتجاه فلسفي تعارضه مذاهب فلسفية أخرى متكافئة معه^(٣١).

إن العلاقة بين الفلسفة والطب علاقة غاية في التعقيد حتى في العصر الحالي. وعلينا حين نتناول تأثير كل منهما في الآخر عند جالينوس أن نضع في اعتبارنا نظرة العلم القديم للطبيعة والكون. وفي هذه الحالة يمكننا أن نحكم بدقة على جهد الطبيب الفيلسوف الذي أثر تأثيراً كبيراً في العصور القديمة والوسطى وحتى مطلع العصر الحديث. وسوف نشير إلى هذه العلاقة من خلال موقف الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل في كتابه "التصوف والمنطق".

يدرس رسل العلاقة بين العلم والفلسفة تحت عنوان "في المنهج العلمي في الفلسفة" معطياً لنا نوعين من الدوافع تدفعان البحث الفلسفي أحدهما مشتق من الدين والأخلاق والثاني مشتق من العلم، ويعطى نماذج لأصحاب النوع الأول أفلاطون وسبينوزا وهيغل، والثاني ليننتز ولوك وهيوم ويعد كل من أرسطو وديكارت وباركلي ممن يجمعون بين الدافعين. وإذا صح مثل هذا التصنيف فمن الممكن أن نعد جالينوس ضمن هؤلاء الذين يجمعون بين العلم والدوافع الأخلاقية والدينية.

وإذا كانت الدوافع الأخلاقية والدينية عائقاً في طريق تقدم الفلسفة كما كتب رسل يقول: "إن العنصر الأخلاقي والذي كان متغلباً في كثير من المذاهب الفلسفية هو واحد من أهم العوائق في طريق المنهج العلمي للبحث الفلسفي. الأفكار الأخلاقية الإنسانية هي أساساً اتجاه يؤمن بمركزية الإنسان ويتضمن تشريع لقوانين الكون بحيث ترضى رغبات الإنسان. وهي هكذا تؤثر على تقبل الإنسان للحقائق والتي هي جوهر الموقف العلمي تجاه العالم. والنظرة إلى الأفكار الأخلاقية على أنها مفتاح لفهم العالم تصلح إلى عالم ما قبل كوبرنيكوس^(٣٢).

وإن كانت هذه الدوافع قد أبعدت جالينوس عن دقة العلم وسلامة التجربة كما يتهمه نقاده فعلياً أن نتذكر أن العلم في البداية كان مختلطاً

(٣١) د. أحمد صبحي ، د. محمود زيدان : في فلسفة الطب، ص ٤٥.

(32) Russell : on Scientific Method in philosophy, in Mysticism and logic, P. 83.

بدوافع مماثلة وذلك قبل الثورة الكوبرنيقية، إن هدف رسل هو ان تستلهم الفلسفة وحيها من العلم، وبمعنى أدق أن تطبق المنهج العلمى على الفلسفة، لا أن تكتفى بنتائج العلم.

والحقيقة أن رسل هنا يناقش أثر العلم على الفلسفة وأن هذا الأثر يفوق أثر الدوافع الأخلاقية والدينية، وإن على الفلسفة أن تأخذ ليس بنتائج العلم بل بالمنهج والطريقة العلمية. ومع هذا فهى، أى الفلسفة تختلف عن العلم فى كون قضاياها عامة. وأن هذه القضايا يجب أن تكون أولية A priori ، أى لايمكن إثباتها أو دحضها بالدليل التجريبي.

وبخصوص تساؤلنا عن العلم والفلسفة عند جالينوس فنحن نستطيع تحديد اتجاهين لهذه العلاقة. الأول أثر العلم على الفلسفة، والثانى أثر الفلسفة على العلم. والحقيقة أنه فيما يتعلق بالاتجاه الأول، أى أثر العلم على الفلسفة فهو موضوع جدير بالنظر، وإن لم يشر إليه أحد من الباحثين فى جالينوس. وإن كنا نستطيع أن نحدده فى بحث جالينوس فى الجوانب العلمية والطبية فى بعض الأعمال الفلسفية كما نجد خاصة فى محاوره طيماسوس لأفلاطون ، الذى توقف لبحث الجوانب الطبيعية والطبية فيها، كذلك فى دراسته عن "آراء أبقرات وأفلاطون". إلا أن النقد الذى وجه إلى الطبيب الفيلسوف يتعلق بالاتجاه الثانى وهو أثر الفلسفة على العلم، هنا نجد أن معظم من أشاروا إلى ذلك، أكدوا على الجانب السلبى للفلسفة على العلم حيث أدت افتراضاته الميتافيزيقية إلى نتائج بعيدة عن الدقة العلمية.

ولا نود أن نرفض هذا الرأى كلية، وأيضا لانود تبريره بالظروف التاريخية التى عاش وكتب فيها بعض سنى عمره فى الإسكندرية التى اعتنق أهلها المسيحية وكان لابد من أن يأخذ الباحث فى الاعتبار العقيدة الدينية السائدة فى هذه الفترة، لكننا نشير كما أشار رسل إلى أن النظرة الكلية للعالم الخاضعة لعلم الفلك البطلمى ما قبل كوبرنيكوس كانت السبب المباشر وراء افتراضات جالينوس، بل ربما كانت هى أيضا سبب اتخاذ موقف الشك الفلسفى. نقول فى النهاية إن الفلسفة والعلم أمتزجا لدى جالينوس وارتبطا معا ارتباط وثيقا.

فالتزر:

فلسفة جالينوس الأخلاقية

من مصدر عربي مكتشف حديثاً

لقد استحق النشر الأول لنص جالينوس المفقود في الفلسفة الأخلاقية^(*) اهتمام الباحثين المختصين بفكر آخر أعظم أطباء العصر القديم، والذي أصبح نتيجة لبعض الظروف المميزة معلم القرون الوسطى في الطب العلمي، كأخر أعظم أطباء العصر القديم، والذي حظى في عصره أيضاً بنجاح واسع كفيلسوف ولكن للحقيقة فإن من أتوا بعده لم يقدروا أعماله الفلسفية نفس التقدير الذي أسبغوه على إنجازاته في الطب، نتيجة لذلك لم يثبق لدينا من أعمال جالينوس الفلسفية في الوقت الحاضر إلا القليل جداً، سواء بنصها الأصلي أو ترجمتها العربية.

لقد كان من قناعة جالينوس الأساسية أن كلا من التشخيص والعلاج الطبي لا بد أن يرتكز على أساس فلسفي وأن أفضل الأطباء لا بد أن يكون فيلسوفاً^(١) ومن وجهة نظره فإن أبقرراط يعتبر النموذج المثالي أو المثل الأعلى للطبيب لكونه أول من اعتبر أنه لا يمكن قيام طب بدون علم الفلك، الذي يعتمد بدوره على الهندسة، كما لا يمكن وجود الطب أيضاً بدون وجود البرهان العلمي والمنطقي^(٢) وأنه لا ينبغي أن يقتصر الطبيب على ملازمة الحقيقة أو أن يكون منغمساً في الفلسفة النظرية، بل لا بد أن يكون في نفس الوقت عادلاً ومسيطراً على ذاته، ذا حصانة ضد اغراءات المال أو الشهوات كما ينبغي أن تتمثل فيه كل الخصائص المختلفة للحياة الأخلاقية والتي يرتبط كل منها بالآخر بحكم الطبيعة^(٣) وبناء على ماسبق فقد أراد جالينوس أن يعلم أطباء المستقبل على هدى من تلك المبادئ، بل أنه وضع أطباء المستقبل نصب عينيه عند تأليف الكثير من أعماله الفلسفية^(٤)، وفي De Libris Proprius والذي

(*) ترجمة عن كتاب فالتزر: من اليونانية إلى العربية . ص ١٤٢ - ١٦٣ .

يعد بياناً لمجمل إنتاجه الأدبي بدء من عام ١٩٢ بعد الميلاد يقوم بسرد ما لا يقل عن ٢٣ فقرة من الفلسفة الأخلاقية^(٥) والتي تبقى لدينا منها مقالان بنصهما الأصلي عن ضبط النفس والتربية الذاتية وهما: فى التعرف على العواطف De Peccatorum Dignitoe^(٦) فى التعرف على العيوب De Effectum Dignitoe "معرفة المرء عيوبه"، هذا وقد قام صديقى الراحل باول كراوس بنشر المختصر العربى^(٧) عام ١٩٣٩^(٨). وقد تميز بسمه مدرسية Scholoriy متناولا فى أربع مقالات واحدا من الموضوعات الأساسية للفلسفة الأخلاقية Character "الأخلاق"^(٩). ولسوء الخط لم ينشر كراوس سوى النص العربى فقط (٢٧ صفحة) مع مقدمة تحتوى على ٢٤ صفحة كتبت أيضا باللغة العربية، ولهذا السبب فقد ظلت تلك النشرة مجهولة تماما لطلاب الدراسات الكلاسيكية الغربيين ولمؤرخى الطب. وأنى فى نيتى أن أقوم بنشر ترجمة كاملة للنص، وشرح أهميته الفلسفية بالتفصيل، أما اهتمامى فى هذه الدراسة فهو ينصب اساساً على شرح لماذا تستحق تلك الترجمة اهتمامنا؟ لنعالج بذلك قصوراً فى معرفتنا بالأخلاق اليونانية، ولتوضيح موقع جالينوس فى تاريخ الحضارة القديمة . ويعد المصدر الرئيسى للنص العربى مصدراً فريداً فى نوعه بالإضافة إلى كونه مخطوطاً مصرياً جيداً، ربما يرجع تاريخ كتابته إلى القرن الرابع أو الخامس عشر بعد الميلاد^(١٠) وقد اعتمد المختصر^(١١) على ترجمة لحنين بن اسحق قبل عام ٨٤٢ ق.م^(١٢) ونلاحظ أنه بين أعمال جالينوس المتبقية حالياً يمكن تتبع عدد محدود من الإشارات إلى "الأخلاق" وتقع واحدة من تلك ، الإشارات "فى التعرف على العواطف" De effectum dignitoe^(١٣). كما يحتوى المختصر العربى على ما لا يقل عن صفحتين آخرتين لنفس العمل^(١٤). إلى أن هناك من الأسباب أيضا القوية مايدعونا إلى الاعتقاد بأن المقالات الأربع لكتاب "الأخلاق"^(١٥) هى ماكان يشير إليه جالينوس فى الفصل الثانى (من المقال ذو الصيغة الأفلاطونية) والذي يدور حول فكرة أن "قوى النفس توابع لمزاج البدن" بل يمكن الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك لنقرر أنه من الواضح جداً تطابق

آراء مفكرى الفترة الكلاسيكية^(١٦) مع مافى المؤلفات الرئيسية لجاليينوس^(١٧) ويظهر ذلك من خلال الفصل الأول للملخص، والذي يركز على أن كتاب "الأخلاق" يقوم على عمل أسبق هو "آراء أبقراط وأفلاطون" وحيث أن هذا الكتاب "فى الأخلاق" ينتمى إلى الفترة اللاحقة لهذا التاريخ من حياة جاليينوس فإنه يمكننا على كل حال الاستدلال بوضوح على أن جاليينوس كتب "الأخلاق" فى روما بعد إتمام عامه السادس والخمسين، وذلك بين عامى ١٨٥-١٩٢ ميلادية^(١٨) يتضح هذا من خلال إشارة واضحة للتأريخ "فى الأخلاق" إلى وفاة رئيس الحرس البريتورى فى عام ١٨٥ م .

(٢)

وطبقا للوصف المختصر لحنين^(١٩) فإن جاليينوس تناول فى "الأخلاق" مختلف أنواع الخلق وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها^(٢٠). ويتفق ماجاء فى المختصر مع هذا الوصف. كما يلتزم جاليينوس بدقة بانصاف الموضوع، ولكنه يتعرض أيضا (للتشابه مع الله) كهدف نهائى للحياة الإنسانية، رافضا الإدعاءات غير المبررة لمذهب اللذة^(٢١) وموضحا أهمية الربط بين الحياة النشطة والتأملية، والتعمق وبين المفهوم الأفلاطونى "لفيلسوف الملك"^(٢٢) كما يفسر المزايا المختلفة التى تتولد من التعليم المناسب للفطرة، كما يميز بين النبيل أو الصالح ، والدنىء أو الوضيع .. الخ ويمكن القول أن الأساس العام لفكره هو الأفلاطونية بالدرجة الأولى، وفى الوقت الذى لا يتقيد فيه بالجدل الجاف نجده يبتث النصيح للقارىء بأسلوب غير شائع فى الفلسفة الهلنستية^(٢٣) .

وتحتوى المقالة الأولى من هذا العمل على النظرية العامة للأخلاق عند جاليينوس وتشتمل كذلك على الأخلاق التى تنشأ داخل النفس العاقلة (الناطق)، أما المقالة الثانية فقد اهتمت بالأخلاق المتفرعة عن النفس الشهوانية، وقد ركزت المقالة الثالثة على شكل الفعل الذى تتطلبه الأنواع الثلاثة للنفس. وقد تم تكريس المقالة الرابعة بصفة أساسية للأخلاق التى

تقطن النفس الناطقة^(٢٤) وسأعالج في الدراسة الحالية الجزء الافتتاحي من المقالة الأولى، والذي يحتوى على القدر الأكبر من المادة الجديدة .

ويبدأ جالينوس بتعريف الأخلاق كميل فطرى غير عقلى للنفس الإنسانية، كما يؤكد على أن الاختلافات فيها لا تنتج عن التفاوت فى البيئة ولا فى التعليم وحدهما، ولكن أيضا التفاوت فى طبيعة الإنسان الفطرية، وبالتالي فإنه من الخطأ التقليل من أهمية الصفات الفطرية كما فعل كروسيبوس Chrysippus والافتراض بأن الجميع يتساوى بنفس الدرجة فى القابلية للتأثر ذهنى، والأخلاقى، كذلك من الخطأ أن نأمل فى إمكانية الاستئصال الكلى للأخلاق الشريرة بواسطة التدريب الأخلاقى المستمر^(٢٥). ويستند تحليل جالينوس على تقسيم أفلاطون للنفس الثلاثة أو كما يسميها جالينوس الأجزاء الأفلاطونية للنفس التى تختلف فى القوة والصفات من كائن إنسانى إلى آخر، ويتم استخدام الملاحظة على الحيوانات والأطفال الصغار فى الثلاثة أعوام الأولى من العمر كدليل أو إثبات لمفهوم الأخلاق، وما تنوع وتعدد "الحياة" Lives إلا نتيجة لذلك، على أن أسمى مثال لحياة الكائنات البشرية هو حياة الفيلسوف المسترشد بنفسه العاقلة . ويتفق دارسى الفكر اليونانى على أن منحى جالينوس غير معتاد إلى حد ما، كما يمكن لهم أن يلاحظوا أيضا وعلى وجه الخصوص أنه قد أهتم بمشكلة لم يتم التعامل معها بشكل مقنع من قبل أرسطو، وسوف يتأكدون فى الوقت ذاته أنه من المستبعد جدا أن يكون جالينوس هو أول من أسس مذهب الأخلاق، لذلك فمن المؤكد أن المسألة تستحق تدقيقا وفحصا عن قرب كما تحتاج إلى انتقاء قليل من العبارات للاقتباس والمناقشة التفصيلية .

ولم يبق لدينا حتى الآن حسب علمى عمل يونانى آخر بعنوان ببرى ايثوس (الأخلاق)، وحقيقة فقد قام فيلوديموس Philodemus بنشر خلاصة عمل زينون الأبيقورى Epicurean Zeno's وفصلين منه عن حرية التعبير (الكلام)، وفى الغضب بعد أن شفى من برديات

هيركولانيوم^(٢٦)، ولكن يبدو أن هذا العمل لا يشترك في أى شىء أساسى مع معالجة جالينوس للموضوع^(٢٧) وبصفة عامة فإنه يجب الربط بين اهتمام جالينوس بالأساس اللاعقلى للسلوك الأخلاقى، والتحليل المدقق للأنفعالات أو العواطف والآثار الفطرية للقدرات الإنسانية التى نلاحظها من قبل ذلك فى فلسفة المشائين Peripatas، وعلى الأخص فى الفلسفة الرواقية بعد كروسيوس. وعلى كل فإنه من المؤكد أن مصدره الأساسى يعود إلى ما بعد كروسيوس كما أنه يمكن الاستفادة من مقارنة هذا العمل لجالينوس على سبيل المثال مع الكتاب الخامس لشيرون المسمى عن "الواجبات" Definibus^(٢٨)، كما يمكن الاستفادة من مقارنة الرسالة الصغيرة لبلوتارك Plutarch "عن الفضيلة الأخلاقية"^(٢٩) برغم اختلاف موضوع المقارنة فى الحالتين . وتأتى الفقرة الأولى من المختصر على النحو التالى :

الخلق حال للنفس داعية الإنسان أن يفعل أفعال النفس بلاروية ولاختيار. وبين ذلك أن من الناس قوما إذا فاجأهم الصوت الهائل ارتاعوا أو بهتوا. وإذا رأوا أو سمعوا شيئا مضحكا على غير إرادة. وربما أرادوا الامتناع فلا يمكنهم. ولذلك فحص الفلاسفة عن الخلق هل هو للنفس التى ليست ناطقة فقط، أم يشوب الناطقة منه شىء؟ وقد نستبين أن حركة النفس من غير فكر فيما يدعو إليه الخلق عن شوق إلى شىء أو هرب من شىء، أو لذة أو أذى، وما أشبه ذلك - يدل على أن الأخلاق للنفس التى لانطق لها... وسوف نرى بوضوح أن كل الدلائل تشير إلى أن الأخلاق إنما هى من إختصاص النفس غير الناطقة، ولذلك فإننا نجد أن الحركات النفسية هى التى تسبب لنا الشعور بالرغبة فى عمل بعض الأشياء أو تجنب البعض الآخر، وكذلك الشعور باللذة والألم ... الخ وهذا هو على وجه الدقة مانعنيه بالخلق^(٣٠).

ويقتررب تعريف جالينوس الأخلاق كحال فطرى لاعقلى من التعريف الذى تتبناه أريوس ديدموس Arius Didmus فيلسوف بلاط الملك

أجسطس؛ وهو التعريف الذى أخذت به الاكاديمية فى ذلك العصر، والذى يتلخص فى أن الأخلاق هى سمة للجزء اللاعقلى من النفس، والتى بدورها تتبع العقل^(٣١) ويشير بلوتارك إلى نفس التعريف الأكاديمى فى رسالته عن " الفضيلة الأخلاقية "^(٣٢) ومن ثم فإن لنا الحق فى الربط بين عمل جالينوس، وبين الأفلاطونية الوسطى، وأن نضعه فى تقليد فلسفى للأكاديمية والذى يبدو أنه قد بدأ مع فيلون اللايرسى Ph.of Iarisa بل ربما مع معلم شيشرون انطيوخوس العسقلانى Antiochus of Ascalon.

وحيث أن هذا التعريف للأخلاق يستمد قوته بالاستناد إلى ردود الأفعال اللاإرادية لمختلف البشر^(٣٣) تحت أى ظروف فإنه سوف يساعدنا فيما هو أكثر من ذلك، وهو إلى أى فيلسوف بالتحديد يدين جالينوس بالفضل فى مدخله للمسألة؟ وغالبا ما تتميز مناقشة حقائق من هذا النوع بأنها مناقشة تقليدية، بينما الذى يتغير ويتفاوت هو تفسيرها. وقد تعاقب مع كروسيوس وهو زائد الرواقية فى النصف الثانى من القرن الثالث قبل الميلاد مع تلك الحقائق بإسهاب^(٣٤)، ولكن تعرض للوم فى القرن الأول قبل الميلاد من قبيل بنائيطوس Panaetius تلميذ وخليفة بوزيد ونيوس الروديسى^(٣٥). بسبب اعتقاده أن قضاياهما لا يمكن تفسيرها بصورة عقلية، وقد قام بوزيد ونيوس بتقديم تفسير عقلى لتلك القضايا فى عمله الشهير "عن العواطف"^(٣٦) وذلك من خلال استحداثه لمفهوم جديد للعناصر اللاعقلية فى النفس البشرية كما يتضح من عبارة جالينوس التى شرحناها فيما سبق، والبرهان المستخدم فى نظرية العواطف يمكن أيضا الاستفادة منه فى نظرية الأخلاق، ونستطيع أيضاً أن نتعرف على الخلاف بين بوزيد ونيوس وكروسيوس من خلال عمل اسبق لجالينوس هو "عن المسرات" De Placitis^(٣٧). وحين نصل إلى هذه النقطة من الجدل فمن المقبول، على الأقل ظاهرياً، أن نفترض أن نفس النزاع السابق الإشارة إليه كان أساس "للأخلاق" وأن هذا العمل إنما يستمد خصوصيته المتفردة فى تاريخ فلسفة الأخلاق "الأفلاطونية الوسطى" من تأثير بوزيد ونيوس^(٣٨).

ويمكننا الاستدلال على تطابق آخر بين بوزيدونيوس و "الأخلاق" في نفس الفصل والذي اقتبس جالينوس "عن المسرات" DE PLACiIS، يقول جالينوس في الختام "ليس فقط أرسطو أو أفلاطون هما اللذان تبني هذا الرأي، بل أيضا الفلاسفة الأسبق لهما كذلك، خاصة فيثاغورس، وهذا ما يؤكد بوزيدونيوس يقوله: "إن فيثاغورس هو أول من وضع النظرية المشار إليها، بينما قام أفلاطون بتفسيرها بطريقة أكثر عمقا"^(٣٩) وبرغم اختصار الملخص العربي بصورة ملحوظة لكلمات جالينوس في نهاية المقالة الأولى من "الأخلاق"، فإن تلك الكلمات تعكس نفس الوضع تجاه الفترات المختلفة في تاريخ الأخلاق اليونانية وهنا اقتبس الفقرة التالية^(٤٠).

"إنه لهذا السبب فإن الفلاسفة القدماء مثل فيثاغورس وأفلاطون. قالت أن الأخلاق تنتمي للنفس اللاعقلية كما اعتبر أرسطو وآخرون أن الأخلاق مرتبطة بصورة جزئية بالنفس الناطقة، وعلى الأغلب فإنها ترتبط باللائقة، وعلى كل فإن الكثير من الفلاسفة المحدثين قالوا: أن كل الأخلاق تنتمي للنفس الناطقة، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما ربطوا بينها وبين انفعالات مثل: الغضب والرغبة والخوف والحب واللذة والألم، إلا أن الأدلة تثبت أن آراءهم غير ممكنة كما يقول بلوتارك في "الفضائل الأخلاقية"^(٤١) وأن كان بلوتارك يتبع أرسطو وفي الوقت نفسه الذي يرفض فيه كروسيبوس بينما يقتدى جالينوس وبوزيد ونيوس بأفلاطون. ومن المعروف أن بوزيد ونيوس يرفض تفسير كروسيبوس للأخلاق، ويؤكد في نفس الوقت على تقسيم أفلاطون الثلاثي للنفس^(٤٢) وإن كان من الوهلة الأولى يبدو مستغرباً أنه يربط بين بيانه للأخلاق وبين أفلاطون^(٤٣) ولا يوجد في محاورات أفلاطون نظرية واضحة في الأخلاق كما أن الفلاسفة اليونان لا يعرفون أكثر مما نعرف عن مجموعة المحاورات الخاصة بأفلاطون^(٤٤) إلا أن موقفهم اختلف عن موقف شراح أرسطو في ظل الامبراطورية كما كانوا مقتنعين أن أفلاطون قد أسس مذهبا فلسفيا متكاملًا، وأنه كان واعيا بكل مسألة أو مشكلة صادفت

الفلاسفة اللاحقين عليه. بل إنهم يتوقعون أنه قد أجاب على أسئلة لم تطرح في عصره. لقد نجحوا في إكتشاف بعض عبارات في المحاورات توفر الإجابة اللازمة لتلك الأسئلة، وقد فعلوا ذلك على سبيل المثال بالنسبة للصيغة الأفلاطونية الشهيرة للأخلاق والتي صارت منذ عهد ايدورس السكندري مذهباً مقبولاً لدى الاكاديمية، كما ثبتتها "قلى الأخلاق" أيضاً^(٤٥) وقد قام الفلاسفة اليونان بعمل دراسة دقيقة لأفلاطون لتكوين نظريته في المقولات فوجدوا أنه لم يعترف إلا بشيئين وهما: الجوهر، والعلاقة^(٤٦) ويمكن استخدام نفس الطريقة في حالة الأخلاق كما أنه من الممكن استنباط نظرية أخلاقية من عبارات عديدة في المحاورات، ومن الواضح بالنسبة لنا أنه قد تم اتباع تلك الطريقة بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد، ثم انتقلت بواسطة الأخلاقيين الأفلاطونيين مثل جالينوس. وفي الواقع فإننا نجد بعض العبارات التي يفترض فيها أفلاطون الأخلاق كميل فطري غريزي وثابت للنفس الإنسانية، بل أنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بتفسير تلك العبارات مستنداً إلى التشابه بين الحيوانات والأطفال في عمر مبكر كما فعل جالينوس بطريقة أكثر تأن ومنهجية^(٤٧) وأشير هنا على وجه الخصوص إلى عبارة من الكتاب الثاني عشر من (القوانين) يشرح فيها أن أخلاق الحيوانات والأطفال الصغار جدا تبرز صفة الشجاعة قائلاً: في الواقع فإنه يمكن أن تتميز النفس بالشجاعة من خلال قابلية فطرية مجردة مستقلة عن العقل^(٤٨) لأنه بالطبيعة وبدون الفكر تصبح الروح شجاعة. وبصفة عامة فإن القدماء قدرُوا أهمية العناصر اللاعقلية في فكر أفلاطون بصورة أفضل بكثير مما فعل مفسريه المحدثين^(٤٩).

وربما كان من المثير أن نعلم أن الأرسطوطاليين الأوائل قد حكموا على إنجازات أفلاطون انطلاقاً من نفس وجهة النظر التي تبناها الأفلاطونيون أنفسهم، بطريقة أكثر ثباتاً منذ القرن الأول قبل الميلاد وإلى مابعد ذلك التاريخ. ويقدم مؤلف العمل الأرسطي المنحول "الأخلاق

الكبرى" Magana Moralia وهو معاصره ثيوفراسطس theophrastus .
الذى يمثل الجيل الأول من الأرسطوطاليين^(٥٠) يقدم سيرة نقدية مختصرة
للأخلاق "فى الفصل الأول من درسه^(٥١) (1.1.1182.15) حيث يقول: "وبعد
فيثاغورس جاء سقراط. إلا أنه لم يكن ناجحا لدرجة أنه فى سياق علوم
الفضائل يتخلص من الجزء اللاعقل من النفس، ولذلك فإنه أى سقراط
لايعتبر قد حقق نجاحا فى ذلك الصدد، أى معالجة الفضائل، ثم جاء من
بعد سقراط أفلاطون الذى قسم النفس، إلى جزء عقلى وجزء لاعقلى -
وكان محققاً فى ذلك - فنسب كل فضيلة إلى ما يخصها من أقسام النفس "إن
من شأن بيان كهذا أن يوفر لنا إجابة عن سؤال وهو: لماذا اختار
جالينوس وأسلافه الهجوم على عقلانية كروسيوس بأسم افلاطون؟ .

(٣)

وقد تمكن جالينوس من تعزيز برهانه على نسبة الأخلاق إلى
النفس اللاعقلية، وذلك بمراقبة الحيوانات والأطفال الصغار الذين لم
يبلغوا بعد مرحلة العقل، أو مازال العقل فى مرحلة النمو بالنسبة لهم. وقد
ساعد هذا أيضا على فهم تام ومقنع لطريقة أداء النفوس الثلاثة التى
تشكل الأخلاق عند الإنسان البالغ الناجح، وكما هو الحال بالنسبة لمذهب
جالينوس فى البحث فإنه يفحص أولا الأخلاق التى يمكن متابعتها فى
سلوك الحيوانات والأطفال الصغار، بغرض التمييز بين حركات الحيوان
التلقائية الخالصة، وحركاته المشوبة بشيء من التفكير، ولأن الحيوانات
تكون بطبيعة الحال قادرة على إعطاء الأولوية أو القيادة للنفس العقلية،
وكذلك الأطفال الصغار يكونون فى مرحلة غير قابلين للتأثير بالتدريب
الأخلاقي والمنطقي^(٥٢) إلا أنه فى الوقت الذى تتميز فيه سمات الأنواع
المختلفة من الحيوانات بالثبات والانتظام فإن الأمر يختلف بالنسبة
للكائنات البشرية التى تتميز بالخلق فطريا، وهذا هو ماتوصلنا إليه من
مراقبة الأطفال فى أعوامهم الأولى المبكرة .

وسأوضح هنا طريقة جالينوس من خلال فقرتين من الجزء الأفتتاحي للمقالة الأولى من "الأخلاق"، وتستمد الفقرتان أهميتهما الخاصة من كونهما متفردتين في النصوص اليونانية الموجودة لدينا. وتتناول الفقرة الأولى خلق الحيوانات، بينما تدور الثانية حول النمو والتطور التدريجي لنفس الطفل خلال الثلاثة أعوام الأولى من العمر عندما تقتصر العناية به في هذه الفترة على مربيات أو حاضنات أميات، والفقرتان هما:

(أ) وكما استند جالينوس في دليله الأول بالنسبة للسمات اللاعقلية للأخلاق على مراقبة التصرفات اللاإرادية مثل الإبتسام والبكاء... الخ فإنه يسترسل في نفس السياق (ص ٢٥ س ١٠ ومايلها نشرة كراوس): وكما نلاحظ أخلاق الأطفال الصغار فإن سلوك الحيوانات اللاعقلية يثبت نفس الشيء^(٥٣). فنحن نرى أن بعض الحيوانات تتميز بالجبن مثل الإبل والأرنب البري، والبعض الآخر يتميز بالشجاعة مثل الأسد والظبي، وبعضه ذا مكر كالثعلب والقرد، وبعضه إذا أنس بالناس كالكلاب^(٥٤). وبعضها وحشياً نافراً من الناس^(٥٥). كالذئب ومنه مايجب العزلة^(٥٦) مثل الأسد ومنه مايجب الاجتماع قطيعاً قطيعاً^(٥٧) كالخيل ومنه مايجب الاجتماع زوجاً زوجاً كاللقلق، ومنها مايجمع الغذاء، ويعده لنفسه كالنحل والنمل^(٥٨) ومنه مايكسب الغذاء يوماً بيوم كالحمام، ومنه مايسرق ما لاينفع كالعقرب فإنه قد يسرق الفصوص والخواتم والدرهم والدنانير فيخبأها، ولهذا قالت الفلاسفة القدماء إن "الأخلاق لغير الناطقة" وقد تم حصر تشكيلة كبيرة من أخلاق الحيوان، وكان العمل المشترك في كل المواقف التي تم رصدها هو حدوثها بدون تردد أو تفكير أو تعلم بل جاءت معبرة عن أخلاق دائمة .

ولانتوافر بالنسبة لنا قائمة مشابهة لأخلاق الحيوان في النصوص اليونانية المتوفرة لدينا، واستطيع أن أؤكد أن خلق الحيوان لم يستخدم في أى مكان آخر في موضوعات مشابهة، وعلى كل فإن هناك دليلاً وافياً على كل الصفات الفردية المذكورة والمتناثرة في نصوص من أصل واحد

تعود إلى الفترة الهلنستية^(٥٩) فمراقبة الحيوانات تضرب بجذورها في الأدب اليوناني^(٦٠) ولكن ما يهم بالنسبة لمفهوم الفقرة المقتبسة، والتي ذكرناها ونحن بصدد دراستها هو الاستخدام الموسع في فلسفة الأخلاق، وعلى سبيل المثال لم يستخدم أرسطو في الأخلاق الأوديمية والنيقوماخية كثيرا من الأمثلة المأخوذة من مملكة الحيوان^(٦١) وهو لا ينسق بين أبحاثه في علم الحيوان وبين أعماله الأخلاقية^(٦٢). والمشاءون الأرسطاطاليو على العكس من ذلك فقد قطعوا شوطا بعيدا في ذلك الاتجاه فهم قد اقتصوا بالاهتمام بأخلاق الحيوانات والأطفال الصغار، وهذا نتعرف عليه من الكتب اللاحقة "تاريخ الحيوان" والتي يعتقد الآن على نطاق واسع أن تلاميذ أرسطو هم الذين قاموا بتأليفها^(٦٣). من أخلاق ثيوفراسطس Theophrastus ومن عناوين رسالتيه المفقودتين . تاريخ وأخلاق الحيوان .

وبداية (تاريخ الحيوان، الكتاب الثامن، المقالة الأولى) بالإضافة إلى مجمل الكتاب التاسع، وهو ذو طبيعة تعليمية خاصة إذا ما قورن كتاب (تاريخ الحيوان ١٨) وأخلاق المشائين أريوس ديدموس Arius Didymus في ستيبايوس Stobaeus ٢-٦١٦-٢١ مابعدا Wachsmuth وشيشرون "الواجبات 541ff De fin^(٦٤) وهذا الإهتمام بأخلاق الحيوان يزداد في الأدب الفلسفي اللاحق اليوناني للعصر اليوناني، وبالتالي فإن الإشارة إلى الحيوان تكثر نسبيا في النصوص الفلسفية مثل الأخلاق لبلوتارك، وكذلك في الكتابات الفلسفية لسنيكا^(٦٥). ويتوقع المرء أن يجد أقرب التطابقات مع أطروحات جالينوس في مقالات عن ذكاء الحيوانات والتي بقي لدينا بعض منها، وربما أفادت المقارنة مع فيلون السكندري^(٦٦) وبلوتارك^(٦٧) وفرفوريس^(٦٨) في إبراز مدى تفرد جالينوس حيث أنه لا يبحث عن أصول الذكاء والفضيلة في الحيوانات كما يفعل أولئك المؤلفون، ولا يستعمل مثل كروبوسوس المادة الغنية المتاحة لديه ليثبت ببساطة أن الحيوانات كائنات غير عقلية بينما الإنسان كائن عقلي، يجب أن يستأصل

من نفسه كل ما يشترك فيه مع الحيوان. إن مفهوم جالينوس للنفس الإنسانية أكثر ملاءمة ففي الوقت الذي يطالب بمجرد السيطرة وليس إلغاء كل العناصر اللاعقلية من النفس فإنه يستشهد بملاحظة الحيوان لتدعيم موقفه ووجهة نظره. ويمكن متابعة نفس الموقف تجاه الحيوانات لدى بوزيدونيوس^(٦٩) وأنه لمن المشوق اجراء عملية ربط بين وجهة نظر جالينوس وبين تدريسه، وكما نعلم فقد قدر وتقبل إلى حد معقول أخلاق بوزيدونيوس، وربما أصبح من المنطقي الآن استخدام النص الحديث (الأخلاق) لإعادة صياغة آراء بوزيدونيوس عن الأخلاق بطريقة واعية، ولكن مما يزيد من صعوبة المهمة إهمال المختصر العربي كل الأسماء ماعدا أشهر الأسماء اليونانية بينما عرض عن المسرات De Placitis اقتباسات واضحة وصريحة من بوزيدونيوس.

(ب) ويبدأ الفصل الذي يتناول فيه جالينوس النمو الأخلاقي والعقلي للأطفال الصغار كما يلي:^(٧٠) وحالات نفس الإنسان الممدوحة تسمى؛ "فضيلة" والمذمومة تسمى "رذيلة" وهذه الحالات تنقسم إلى قسمين: [١] منها ما يحدث للنفس من بعد الفكر والروية والتميز فيقال لها "معرفة" أو "ظن" أو "رأى". [٢] ومنها ما يعرض للنفس من غير فكر فيقال لها الميل الأخلاقي .

ومن هنا فإن الشر والفضائل الأخلاقية تكون عادة نتيجة الميل الأخلاقي والتفكير والتميز، ومن الواضح أن اهتمام جالينوس في هذا الفصل لا ينصب على الجزء العقلي، ولكن على الجزء اللاعقلي من النفس. وجد في بداية المقالة الرابعة من "الأخلاق"^(٧١) ملخصاً موجزاً لسيكولوجية العقل تأثر فيه جالينوس إلى حد كبير بالرواقية: وتظهر بعض "الأخلاق" في المواليد بمجرد ولادتهم، وقبل فترة التفكير، حيث يبدأ لديهم في الحال الشعور بالألم في الجسم وعدم الارتياح في النفس. مما يسبب لهم البكاء، لأن كل مولود لديه المقدرة على التخيل لما يوافقه وما يعكس هواه أو ميوله، ونفس الشيء يوجد فطرياً في الحيوانات غير

العاقلة، وأنا أعنى أنهم يدركون بواسطة حواسهم ما يحدث لأجسامهم، ويتصورون أن بعض ما يحدث لهم أو تتعرض له أجسامهم مريح ومتفق معهم والبعض الآخر على العكس من ذلك وبالتالي فإنهم يرغبون فيما يريحهم ويتجنبون ما عاكسهم^(٧٢). وغالبا ما يحاول الأطفال في عمر سنتين أن يضربوا بأيديهم وأرجلهم كل من يعتقدون أنه يسبب لهم أذى. وهذا يدل على أنه قد تكون لهم في هذه المرحلة بالإضافة إلى قدراتهم على تخيل ما هو مفضل لديهم وما هو معاكس لهم، قدرة على تخيل الأسباب الفعالة المسؤولة عن ذلك والمسببة له. وبالإضافة لكل هذا تتكون لديهم الرغبة في الانتقام من سبب أو مصدر آلامهم، والحب لكل من يزيل مصدر الأذى عنهم، لذلك نجدهم يبتسمون لمربياتهم بينما يضربون وربما يعضون المصدر الذى يسبب لهم الأذى وهذا الفعل يسمى بالغضب، ويحدث معه احمرار في العين واحمرار شامل في الوجه وسخونة واندفاع للدم. وبذلك يتضح جليا أن الرغبة في الانتقام من المهاجم له تكتسب بالتعلم وأن كانت فطرية كالرغبة في تجنب كل ما يسبب الأذى وحب كل ما يسبب اللذة والسرور، والرغبة في انتقام الأطفال ممن يسبب لهم أذى إنما هي فطرية مثلها في ذلك مثل الميل لكل ما هو سار وتجنب كل ما هو مؤذى ومؤلم .

فإذا صار الصبيان إلى السنة الثالثة تبينت فيهم آثار^(٧٣) الحياء^(٧٤) والقحة: فترى بعضهم يخجل ولا يرفع نظره في وجه من يلومه على فعل ما قد نهى عنه، ويسر بالمديح، وبعضهم على العكس، وهذا يظهر في الذين لم يؤدبوا بعد بضرب وخوف ومن كان يحب الكرامة فإنه يحتمل المشقة فيما يرجو به المدح وإذا كان هذا يحب الكرامة حبا طبيعيا، لا خوفا من شيء محسوس ولا طلبا لشيء محسوس فهو يفلح " ومن كان بالعكس من هذا فلا يفلح ولا يتعلم ولا يقبل أدبا خلقيا ولا كتابيا، ومما يدل أيضا على أن بعض الصبيان يميلون بلا فكر ولا عزيمة رأى إلى الفضيلة، وبعضهم إلى الرذيلة أنا قد نرى أنه قد ينال أحدهم الأذى ممن

يلعبه فيرى بعضهم يرحمه ويعينه^(٧٥) وبعضهم يضحك عليه ويفرح به وربما ساعد وشارك في اذيته^(٧٦) وقد نرى بعضهم يستخلص بعضا من المصاعب، وبعضهم يدفعون بعضا إلى الموضع المهلكة ويبخسون ويعضون، وبعضهم يعطون بعضا مما في أيديهم وبعضهم لايسمحون بشيء مما في أيديهم ومنهم من يحسد ، ومنهم من لا يحسد^(٧٧)، وهذا كله قبل التعامل الأخلاقي".

وتظهر في هذه المرحلة الأخلاق المختلفة وحتى المتناقضة ويصحب، ذلك ظهور محددات التربية المستقبلية ، ويمكننا أن نضيف إلى المختصر (الناقص فقرة مأخوذة من فصل في "تعرف المرء على عيوبه" De offectum dignitoe والذي لا يشير على أى حال إلى أن النمو التدريجي لصفات الأطفال لا يرقى إلى الشك أن تلك الفقرة تعتمد بالفعل على "الأخلاق" Demoribus^(٧٨) (ودى بور 7.9.14P.25-24 Cap.): "وحقيقة أن الأفراد يختلفون بالطبيعة، يمكن بوضوح تعلمها من مراقبة الأطفال الذين لا يقدرون على المشى بعد "الأطفال المحمولين" ونلاحظ أن بعض الأطفال يتميز بالذكاء والنشاط أو الأبتهاج، والبعض الآخر يتميز بالاكتئاب ، والبعض حاضر الابتسامة دائما بينما البعض الآخر يبكي لأقل سبب، والبعض يسمحون بتداول ما في حوزتهم مع رفائهم بينما البعض الآخر يتصف بالجشع والاستبداد بعضهم يغضب بشراسة من التفاهات أى من أئفه الأسباب ويعضون ويرفسون وربما يتقاتلون مع رفاقهم بالعصى والأحجار عند اعتقادهم أنهم قد تعرضوا للأذى، بينما البعض الآخر يتميز باللف والتمهل ولا يغضب أو يبكي إلا إذا تعرض لأذى كبير وفضلا عن ذلك فإنه يمكن ملاحظة أن بعض الأطفال يتميز بالخجل والبعض على العكس من ذلك يتمتع بذاكرة قوية، بينما البعض الآخر ينسى بسهولة، كذلك هناك البعض ممن يتميز بالطيش والتهور، بينما البعض الآخر يتصف بالتروى والهدوء. كذلك نجد البعض مغرما بالتكريم والبعض الآخر ليسوا كذلك كما أن البعض مغرمون بالنبل وآخرين ليسوا

كذلك. ثم يعقب: وبنفس الأسلوب فإننا نلاحظ بعض الأطفال يميلون إلى الزيف أو التزييف بحكم الفطرة بينما يمل آخرون إلى الحقيقة والواقع أن بعض الأطفال لديهم اختلافات أخرى كثيرة في الخصائص والأخلاق. كما نلاحظ أن جالينوس يستخدم كلا من الخلق والأخلاق كمترادفين ونسائل من هو أول عرف بتطابقهما؟^(٧٩).

ويشير جالينوس مرة أخرى في فصل من الكتاب الثانى "الأخلاق" إلى الاختلافات الفطرية الطبيعية ؛ والتي تتفاوت بصورة بسيطة وتضيف عنصرا جديدا^(٨٠) "تنقسم نفس الإنسان بحكم الفطرة إلى ثلاثة أجزاء: النفس العقلية، والغضبية، والشهوانية" حيث تركز النفس الإنسانية على تلك الأقسام وهو تنمو تدريجيا وتختلف سمات الناس حيث أن شهوات النفوس الثلاثة تختلف من حيث القوة، والضعف، والقوة النسبية وتشكل الفردية: " كل الأجسام البشرية تتشابه فى أن لها نفس الأعضاء ولكنها تتفاوت من حيث القوة والضعف والحركات، فالبعض على سبيل المثال يسمع ويرى جيدا، والبعض الآخر لا يسمع جيدا، أو ضعيف البصر، هناك أيضا البعض ممن يتميزون بوضوح وتدفق الكلام، بينما يتلعثم آخرون، ويعانون من عدم وضوح الصوت، وهناك البعض أيضا ممن هم سريعو العدو بينما الآخرون بطيئون، فالبشر يتفاوتون بعدا وقربا من الحدود القصوى للخصائص والقدرات، وبنفس الطريقة فإن الأطفال الصغار لهم ميول نفسية مختلفة منذ وقت ولادتهم مثل : الطمع، والغضب، والوقاحة، وخلق مختلفة مثل: الأخلاص، والزيف، والذكاء، والغباء، والذاكرة، والنسيان، وتبدو هذه الكلمات لجالينوس كما لو كانت صدى متأخر لأخلاق بنائيطوس أستاذ بوزيد نيوس والذي عالج بنجاح كل من الحياة الأخلاقية للفرد والكائن الإنسانى السوى، والمريد للفلسفة الرواقية وللأخلاق الأرسطية^(٨١) واقتبس هنا من كتاب شيشرون "فى الواجبات" 157: (1-107): علينا أن ندرك أيضاً كما لو أن الطبيعة قد وهبتنا شخصيتنا الأولى. والتي تتجم من حقيقة كوننا جميعا قد منحنا

المنطق ومن ثم الأفضلية التي ترفعنا فوق سائر الوحوش، ومن هنا جاءت أسباب الأمانة والشرف، والتي عليها أيضاً يعتمد أسلوبنا العقلاني في تحمل الواجب، أما الشخصية الثانية فهي تلك التي تمنح للأفراد كل على حدة. وبالنسبة للطبيعة الجسدية الممنوحة لنا، فإن هناك اختلافات كبيرة فالبعض كما نرى يتفوق في سباق الجري وآخرون يتفوقون في المصارعة، وهكذا نفس الأمر بالنسبة للمظهر الشخصي، فالبعض يتسمون بوقار المظهر، والبعض الآخر لهم مظهر الرشاقة، أما الاختلافات في طبائع الشخصيات^(٨٢) فهي أكبر من ذلك بكثير. ويتابع القائمة لالتيوس (الأخلاق) مثل المكر، والغضب والطموح بأمثله من التاريخ اليوناني والروماني مثل: المنافقون، الباردون، البسطاء (السذج) المتفتحون" هناك اختلافات أخرى كثيرة في الطبيعة والأخلاق، وهي مع ذلك لاتعاب إلا قليلاً جداً^(٨٣). واعتقد أن المقارنة بين الفقرتين السابقتين ربما نتيج لنا البحث في اسلاف جالينوس الروحانيين أن نذهب إلى ماوراء بوزيد وينيوس لنربط بينه وبين بنائيطوس الذي كان أول من ثار ضد الجمود الإدراكي والمنطقي للرواقيين الأوائل وعلى كل حال فإنه ليس لدينا ما يبرر نفى فكرة مشاركة بوزيدونيوس في وجهة نظر استاذة^(٨٤).

ولا يقر جالينوس في "مختصر الأخلاق" مبدأ التطابق بين الصفات الجسدية والأخلاقية، كما أنه لا يأخذ بالتفسير الذي يربط القدرات النفسية بحالة الجسم التي تتأثر بدورها بالعوامل المناخية، ولكن من المحتمل جداً أن يكون جالينوس قد عالج هذا الجانب من المسألة في العمل الكامل، ويمكن الرجوع إلى مقالة قوى النفس توابع لمزاج البدن والذي يلخص الفصل الذي شرحناه كما سبق من "الأخلاق"^(٨٥) حيث لا يسهب فقط في شرح وجهة النظر التي ترى أن ليس لكل الكائنات البشرية نفس السمات الوراثية، ولكنه يؤكد أيضاً على وجه الخصوص على حقيقة أننا غالباً ما نلاحظ أطفالاً في غاية الشر^(٨٦).

(٤)

نبدأ الآن فى بحث استنتاجات ملاحظات جالينوس للأطفال الصغار والحيوانات، وأنا هنا استشهد بالجزء التالى للفصل الذى ناقشناه منذ قليل من "الأخلاق" ^(٨٧)، وكل هذا يعتبر تمهيد للتدريب الأخلاقى وبشكل عام فإنه لا توجد على سبيل المثال الأفعال والتصرفات العواطف أو الانفعالات ولا الميول الأخلاقية فى الرجل الناضج إلا وكانت موجودة لديه فى مرحلة الطفولة، وهذا ينفى فكرة أن كل الأحداث أو الأفعال التى تحدث نتيجة للتفكير والتأمل لا تسمى فعلاً ولكن تسمى رأياً أو وهماً صادقاً أو معرفاً. والفعل هو عبارة عن حركة تلقائية لها وجود مماثل عند الحيوانات أيضاً، وبذلك فإن المذهب الرواقى يكون مرفوضاً نهائياً، والأخلاق برغم كونها غير عقلية إلا أنها ليست غرضية أكثر من كونها انفعالات أو عواطف، وهى موجودة لدى الحيوان أيضاً، ومع كونها طبيعية فى الإنسان فإن لها القدرة على النمو والتطور من خلال التدريب والتعليم، فالعادة يمكن أن تولد طبيعية ثانية ^(٨٨).

فإذا كانت الأخلاق وراثية فإن ذلك يحد من قدرات وإمكانات التعلم وقد ينطوى هذا على مزيد من الخلاف مع الرواقية الارثوذكسية ووجهة نظرها المتفائلة القائلة بأن التأثيرات المبكرة والتعليم وحدهما هما مايشكلا السمات الأخلاقية للإنسان، واستشهد مرة أخرى بالفصل الأفتتاحى من "الأخلاق" (نشرة كراوس ص ٣٠-٥١) قوله: إنه لمن الضرورى للشخص البالغ أن ينظر فى تصرفاته أو أفعاله وأسبابها، حيث أننا نجد أن السبب فى بعض تلك التصرفات والأفعال هو الأخلاق وفى بعضها الآخر هو التفكير والسبب فى كل مايتولد عن الفطرة أو العادة هو الأخلاق، والسبب فيما ينشأ نتيجة للتأمل والتروى هو التفكير ويمكننا استئصال الآراء الشريرة من النفس بأن تثبت لأنفسنا زيف هذه الآراء باستخدام تفسير عقلى منطقى ولكن إذا ماكنت تلك الآراء الشريرة ناشئة عن فطرة أو عادة فإنه لايمكن بواسطه تلك البراهين استئصالها بصورة كلية، ولكن

يمكن إضعافها ، ولا يقتصر ارتباط " الأخلاق " أو لا تنقيد فقط بالفطرة بل بالعوادات الثابتة وبما يرسخه الإنسان في نفسه وبما يفعله في حياته اليومية وتتشرك العلاقة بين الشاب والشيخ الكبير مع الشجرة المزروعة حديثاً ونفس الشجرة عند تمام نضجها، وذلك من حيث تصحيحها الخلق حيث أنه في طورها الأول تتحنى في الاتجاه الصحيح ولكن عند تمام نضجها فإنه من الصعب بل من المستحيل أن تعدل أو تغير اتجاهها كما يعرفها جالينوس في التعرف على الأخطاء Defectuum dignotine ^(٩٩) وهي نتاج الفطرة الطبيعية، ومحاكاة للبيئة كما أنها تكون لاحقة للتدريب أى تأتي بعد الرشد أو الإدراك ^(٩٠) وتناظر القابلية للتعليم مختلف أنواع الأخلاق التي نلاحظها في الأطفال الصغار فالبعض منهم يستوعب بسهولة قدراً جيداً من التعليم أما البعض الآخر فلا يستفيد منه بشيء ^(٩١)، ومع ذلك فلا يجب أن نياس من جدوى التعليم ^(٩٢) وإذا كانت فطرة الأطفال تتشكل على أساس المزايا التي يتيحها لهم التعليم فإنهم في هذه الحالة يمكن أن يصبحوا بشراً صالحين عند نضجهم، أما إذا لم يحدث ذلك فربما نكون قد قمنا بواجبنا على الأقل " فالعناية بالأطفال ، وتوجيههم تشبه إلى حد كبير العناية بالنباتات ^(٩٣) فلا يوجد زارع له القدرة على انبات العنب من اشجار العليق الشائكة ^(٩٤) لأن طبيعتها لا تتوافق أو تسمح بمثل هذا الإنجاز وعلى الجانب الآخر إذا أهملنا أشجار الكروم التي لديها القابلية لانبات العنب وتركناها للطبيعة وحدها فتحمل إما ثمار ضعيفة رديئة أو لن تثبت على الإطلاق وينطبق نفس الشيء على الدب حتى وإن بدا أنه قد أصبح اليافاً ومروضا فإنه لن يكتسب الألفة أبدا كصفة دائمة أصيلة، وكذلك العقارب والأفاعى السامة تظل دائما بنفس الضراوة الشراسة غير قابلة للترويض تمام فليس هناك مايمكن سوى تدميرها مثلهم في ذلك مثل الإنسان الشرير بطبيعته والغير قابل للإصلاح أو العلاج ^(٩٥).

ومرة أخرى نجد انفسنا أمام إغراء عقد المقارنة بين ذلك التقدير للتفرد وبين موقف بنائيطوس Panaetius في المقال الأول من كتاب

شيشرون De officiis حيث لا يقتصر على معالجة برهان الأخلاق مثله في ذلك مثل جالينوس، ونستطيع أن نلاحظ فروقا جوهرية بين وجهة نظرها جالينوس وبنائيطوس، باستثناء تميز الأخير بغرابة الأطوار والمرواغة. (٩٦)

والقضية الرئيسية من وراء كل تلك الاسئلة هي حقيقة أصل الشر في الإنسان، وحسب ما يذكر كتاب مسكويه في فلسفة الأخلاق (٩٧) والفصل الحادى عشر من مقال جالينوس "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن" فإننا نعلم من كل ذلك أن جالينوس قد اهتم بهذه المسألة لدرجة كبيرة وربما كان فى حدود المسموح به أن نكمل المختصر (الناقص) للعمليين المزعوم أن كلا منهما يمثل النص الكامل "للأخلاق" ويذكر مسكويه (٩٨) أولا بعض فلاسفة الرواقية الذين يعتقدون أن كل الكائنات البشرية خيرة وصالحة بالفطرة ولكنها تفسد بعد ذلك متأثرة بالبيئة والمحيط الفاسد وتسيطر عليهم الرغبات الشريرة التى لا يفلح التعليم فى كبحها. وقد اعتقد الكثيرون فى مرحلة سابقة على الرواقيين إن الإنسان قد خلق من احقر مادة وهى بالتحديد الوحل أو الحمأة، ولذلك اعتبروا أن الإنسان شرير بالفطرة ولكنه يمكن أن يصلح بالتعليم، ولكن أولئك الذين هم فى غاية الشر لا يمكن أن يتحولوا إلى الخير، أما أولئك الذين يؤمل فى علاج شرهم فإنهم يمكن أن يتغيروا من الشر للخير: بدءا من الطفولة إلى ما بعد ذلك، من خلال الأصدقاء الصالحين المتميزين (٩٩) وطبقا لما ذكره مسكويه فإن رأى جالينوس هو " أن بعض الناس صالح، والبعض الآخر شرير بالفطرة، وآخرين بين الصنفين. ثم انقلب جالينوس بعد ذلك ورفض الرأيين المذكورين معا منتقداً الرأى الأول بالطريقة التالية: لو أن كل البشر صالحين بالفطرة ثم أصبحوا أشرار من خلال التعليم فإنهم بالضرورة يكونوا قد تعلموا الأشياء السيئة أما عن طريق انفسهم أو عن طريق آخرين فإذا كانوا قد تعلموا ذلك من آخرين كالمعلمين مثلاً فإن هؤلاء المعلمين أشرار بالطبع، ومن هذا نخلص إلى أن ليس كل البشر

صالحين بالفطرة، أما إذا كانوا قد تعلموها بأنفسهم، ففي هذه الحالة إما أن يكون لديهم استعداد أو قدرة والتي بواسطتها يرغبون في الشر، ومن ثم فهم اشرار بالفطرة، أو أن يكون لديهم بالاضافة لاستعدادهم للشر قدرة اخرى، وهى التى يرغبون بواسطتها فى الخير وتخضعها لسلطانها، وبذلك يمكن القول مرة أخرى بأنهم سيئون بالفطرة ^(١٠٠) أما وجهة النظر الثانية فقد هدمها بحجة مماثلة للسابقة حيث قال: "لو كان البشر اشرار بالفطرة فإنه يمكن لهم تعلم الخير من آخرين أو بأنفسهم، ويكرر نفس الحجة الأولى السابقة بنفس الأسلوب ^(١٠١). وبدحض آراء هاتين المدرستين عزز جالينوس وجهة نظره بما هو واضح وبديهي لأن من الواضح أن قليل من الناس صالحين بالفطرة ولا يمكن افسادهم بينما هناك اشرار كثيرون بالفطرة ولا يمكن أن يصيروا من الأخيار، وهناك الآخرون بين هذا وذاك فهم ليسوا بالاشرار أو الأخيار، لكن يمكن أن يتحولوا إلى أخيار عن طريق صحبة الأخيار ومواعظهم، كما يمكن أن يتحولوا إلى الشر بارتباطهم بالاشرار وغوايتهم ^(١٠٢). ومن الواضح أن جالينوس فى مقالته والكاكتب العربى مسكويه فى القرن العاشر قد اشار إلى أنهما قد استقيا من نفس المصدر، فمسكويه احيانا يسهب أكثر من جالينوس، بينما نجد لدى جالينوس فى احيان اخرى موضوعات لم يشملها البيان العربى للعمل الأكبر ^(١٠٣) ويركز الأيضاح الاضافى فى مقالة جالينوس الصغيرة على المؤلف الذى يعتمد عليه كل من جالينوس ومسكويه: انه من الخطأ موافقة كروسيوس فى افتراضه بأن كل إنسان قادر على الفضيلة وأنه لمن المثير أن نعلم أن فلاسفة الرواقية يفسرون الشر بأنه فساد فى النفس ناتج من فساد البيئة، لأن هذا البرهان لايمكن تطبيقه على البشر الأوائل ^(١٠٤)، حيث لم يكن هناك محيط أو بيئة أو صحبة بعد، ان نقابل بينهم بعض الأشرار، ولايمكن تطبيقه كذلك على الأطفال الصغار الذين يمكن هناك أن نقابل بينهم بعض الأشرار محيط أو بيئة أو صحبة بعد، وقد عاب بوزيدونيوس وهو أعمق الرواقيين علماء، على أولئك الفلاسفة الرواقيين لأهمالهم تلك الحقائق الواضحة ^(١٠٥) ولم يشاركهم رأيهم فى أن

الشر يدخل نفس "الإنسان فى مراحل تالية للطفولة المبكرة من خارج نفسه، يقول "أن للشر جذور متأصلة فى النفوس ومنها تبدأ وتتمو وتكبر بذرة الشر فى نفوسنا؛ وبدلاً من تجنب الصحبة السيئة يجب علينا اتباع أولئك الذين لديهم القدرة على تطهيرنا حتى نتحقق من مدى نمو الشر فينا^(١٠٦)، وقد أسهب فى شرح اثنين من اعماله فى الفلسفة الأخلاقية هما "عن العواطف" وبتفصيل اكبر عمله الثانى عن "الفروق بين الفضائل"^(١٠٧).

(٥)

إنه من الواضح لنا الآن أن مجمل نظرية الأخلاق، واستنتاجاتها يبنى على التجديد الذى قام به بوزيدونيوس لسيكولوجيا أفلاطون فى مواجهة أفكار كروسبوس على الجانب اللاعقل فى الإنسان، ونظريته متماثلة ذاتياً بموافقتها وتأكيداً على نقاط رئيسية فى مؤلف بوزيدونيوس حتى ولو لم يكن هناك دليل مستقل على ذلك، ولكن بفضل عمل جالينوس المعروف عن "المسرات" Deplacitis يمكننا عمل مقارنة بين الملاحظات المتشابهة للأطفال، والتي ناقشها بوزيد ونيوس وطبقاً لبيانته فإنه لم يكن معينا فقط بالتعبيرات الأولية للرغبة والطموح عند الحيوانات والأطفال ولكن أيضاً بالتطور التدريجى للنفس البشرية^(١٠٨) وقد اظهر اهتماماً خاصاً بتلك الاجزاء من "قوانين" أفلاطون، والتي تتناول المراحل المبكرة من الطفولة، وحتى مع الأطفال فى مرحلة ما قبل الميلاد، والف ملخص لرؤى أفلاطون فى الكتاب الأول من عمله عن العواطف^(١٠٩) وفى نفس الفقرة فإن بوزيدونيوس يقرر أن الإنسان يصل للنضج فى سن الأربعين وهذا التأكيد ليس مستغرباً فى حد ذاته ويمكن بالعودة للوراء تتبع مثل هذه الفكرة (النضج فى الأربعين) فى قصيدة سولون Solon الشهيرة^(١١٠) وطبقاً لرأى بوزيدونيوس فإنه فى تلك السن تكون القوى الثلاثة للنفس قد تطورت ونمت تماماً واصبحت فى حالة جيدة من الاتزان^(١١١)، ومن الأفضل هنا افتراض أن تلك السطور تعود إلى نفس

الفصل من عمل بوزيدونيوس الذى يبدأ بسيكولوجيا الطفولة المبكرة فى الثلاثة أعوام الأولى والذى نقرأه فى مختصر جالينوس "الأخلاق" .

ولذلك يمكننا استخدام مجمل الجزء الافتتاحى من "الأخلاق" لجالينوس رغم أنه قد يكون قد تعرض للتغيير والتبديل فى قضايا جديدة لما تبقى من أخلاق بوزيدونيوس، وقد نشعر بأننا مدفوعين للاعتقاد فى نسبة بعض قضايا أخرى متفرعة عن العمل الجديد لجالينوس إلى نفس المؤلف حتى وإذا لم يكن هناك دليل مقنع، وعلى كل حال علينا الحرص عند القول بأن كل من جالينوس وبوزيدونيوس فيلسوفين متقاربين إلى حد كبير، وبصفة عامة فإن هناك فرق كبير بين بوزيدونيوس رائد الأفلاطونية الحديثة وبين جالينوس العالم الشاك فى الميتافيزيقيا. فقد كان بوزيدونيوس فيلسوفا من طراز Cleombrotus the Iacedaemonian (١١٢) الذى وصفه بلوتارك فى النقض فى النبؤات De defectuora Culorum بينما كان جالينوس مثل سترابو متأثرا أساساً بقدرته على الاستقصاء فى القضايا (١١٣) كما يوجد أيضا فارق زمنى كبير بين جالينوس وبوزيدونيوس أكثر من قرنين ولا تتوفر لدينا معلومات كافية عن الفترة فيما بينهما ولا عن تطور مدارس معنية للأفلاطونية الوسطى، وهى الفلسفة الأخلاقية عند بوزيدونيوس ويمكن أن نؤكد واتقين أن أفلاطونية جالينوس فى الأخلاق وفى عمله تأثرت بقوة ببوزيدونيوس ولكن لا يوجد مايرر افتراض أنه يعيد تقديم وإخراج كل مذهب ببوزيدونيوس (١١٤).

أنه لشيء يتجاوز قدرة جالينوس أن يحاول تجديد الروح الداخلية لفلسفة أفلاطون كما فعل أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى لقد حافظ جالينوس على روح العلوم والطب، وكان ممثلا له على مدى ألف سنة من الحضارة الأوربية وقد ظهرت اصالته فى أنشطة أخرى للروح، ولكنه لم يحظى أبدا بتقدير كفيلسوف من الدرجة الأولى مثل أفلاطون وأرسطو وأفلوطين .

هوامش وملاحظات الدراسة

- ١ - قرآن رسالة Quod optimus medicus sit etiam philosophus المجلد الأول - ص ٥٣ - ٦٣، Kuhn Scripto minora، المجلد الثاني لبييزج ١٨٩١ ص ٨ - ١ مولر .
- ٢ - كما يشير إليه Icop، وعلى سبيل المثال في النص المكتشف حديثاً "الأخلاق" ص ١٢ س ٤٣، كراوس واقتباس من النص الكامل لجالينوس في ابن أبي أصيبعة "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" تحقيق مولر ص ٤٣ (= ص ١٥-١٨ نشرة كراوس)، قرآن آراء أبقراط وأفلاطون IP ص ١٣٣ ومليها هامش ٥ نشرة مولر.
- ٣ - II.Scr. min ص ٦ - ٤ ومابعدھا (= المجلد الأول ص ٥٩ س ٦ ومابعدھا (Kuhm)).
- ٤ - تفسير جديد لفلسفته في ضوء معرفتنا المتطورة بالفكر الهلنستي والأفلاطوني الجديد. 5 - Cop. 12 (Scripta minora ii PP. 121, 51226 muiller = Vol. xix P. 49-46 Kuhn.).
- ٦ - طبعة دي بور الحديثة The corpus Medicorum المجلد الرابع ١، ٤، لبييزج وبرلين ١٩٣٧، وتتميز هذه النشرة للنص، عن طبعت كوهن (مجلد ٥ ص ١٠٣:١) marquardt (Scripto minora المجلد الأول ص ٨١-١) وهذا العمل كان معروفا جيداً لدى العرب قرآن، الترجمات العربية والسريانية التي قام بها حنين بن إسحق لجالينوس - Übersetzungen, Über die syrischen und arabischen Galen - Abhandlungen Fudr die Kudes Morgenlandes Xvii, 2 لبييزج ١٩٢٥ رقم ١١٨ برلجستير Bergstrasser والنسبة للترجمات العربية، للرسائل الأخلاقية الأخرى لجالينوس قرآن حنين، المرجع السابق أرقام ١٢٠، ١٢١، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، نشرة مولر، المجلد الأول ص ٨٧ وأبو بكر الرازي، الرسائل الفلسفية نشرة كراوس القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٥، وبرلجستير: حنين بن إسحق ومدرسته لينن ١٩١٣ ص ٢٤، ٧٠ وماكس ماير هوف، ص ٨٥ ومابعدھا.
- ٧ - قرآن فرافز روزنتال: جريدة للمجتمع الشرقي الأمريكي، لعدد ٦٥ علم ١٩٤٥ ص ٦٨ . ومابعدھا .
- ٨ - مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجزء الأول عام ١٩٣٧ القسم العربي. نشر بالقاهرة ١٩٣٩.
- 9 - Die libr propr. P.121, 10 M = Vol xixi P. 45 - 12 k .

- ١٠ - مخطوط تيمور باشا ٢٠٠، ٦ أخلاق الأوراق من ١٩١ - ٢٣٥ بالاضافة إلى بعض من الأشارات والاختصاصات من النص الكامل لكتاب العرب اللاحقين خاصة مسكويه (ت ٣٠٠ م) في تهذيب الأخلاق ، وهو عمل هام عن الفلسفة الأخلاقية يستحق تحليلا خاصا، (قارن دائرة المعارف الإسلامية ٤٢٩،٢)
- ١١ - لم يكن من المستغرب عمل ملخصات للترجمات العربية والسريانية للأعمال اليونانية راجع حنين بن اسحق ، المصدر السابق ارقام (١٠٤،١٠٢،٩٥،٩٢،٧٢،٥٧،١٠) -٥ ريتز، فالترز.
- ١٢ - قارن حنين المصدر السابق رقم ١١٩، ودائرة المعارف الإسلامية Musa, banu. S.v وللعمل الذى لا يوجد له اثر فى الادب اليونانى اللاحق له شيوع أكبر إلى حد ما فى العالم الشرقى .
- ١٣ - 6.1-9 Cop (كوهن المجلد الخامس ص ٢٧-٦، ٣٠، ٣ ودى بور ص ١٩-٨ وما بعدها) .
- ١٤ - Cop 7.7.172 (كوهن، المجلد الخامس ٤٠، ٤، ٢٧ دى بور ٢٥-١٥ وما بعدها الأخلاق ج اص ٢٨ - ١٥-٦، ٣- كراوس انظر ص ١٥٥ وما بعدها.
- ١٥ - كوهن، المجلد الرابع ص ٧٦٨ ، ١٤٠٦ Scripto minora ، مولر (٢) ص ٣٢، ١٤، ٣٣ بالنسبة Cop (٢)، كوهن المجلد الرابع ص ٨١٤، ٨٢٢، ٨٢٢ Scripto mimaro (٢) ص ٧٣ ، ٧٩، ٣ ، قارن ص ١٦٠.
- ١٦ - كراوس ٢٦: "لقد اوضحت فى كتابى آراء أبقراط وأفلاطون، أنه يوجد شيء ما فى الإنسان يشغل التفكير جزءا منه، وشيئا آخر هو مصدر الغضب، وشيء ثالث هو مصدر الشهرة"، هذا العمل يعتبر واحد من اهم مصادرنا الأساسية للفلسفة الأخلاقية عند الفيلسوف الرواقى بوزدنيوس، قارن L,Edelstein مذهب بوزيديونوس الفلسفى، وراجع الجريدة الأمريكية للفيلولوجيا العدد ٦٧ عام ١٩٣٦ ص ٢٨٦ ومايليها وص ٣٠٥ وما بعدها .
- ١٧ - S. Vogt: De Galeni in libellum ١٩١ تعليق ونفاص ماريوج ١٧١ - ١٧١ ص ٢
- ١٨ - كراوس ص ٧٠٢٣ ابن ابى أصيبعة المرجع السابق المجلد الأول ص ٧٦ س ١٩-٢٣ مولر Zur Geshishte des commodus Hermes ١٨٨٣ عام ١٨٨٣ ص ٦٢٣ ومايليها . وأيضا The Mommeseng

Gesammelte Schften المجلد الرابع ض ٥١٤ ومايليها - Pauly
Wissowa Kroll انظر اعلاه S.V. Tigridus وبذلك يمكننا تحديد التاريخ
النسبى الغير مؤكد حتى الآن لمقال De affectuum et Peccatorum
dignotione والتي قال أن نشر "الأخلاق" قد جاء فيها وتعزز الموقف بالنسبة
لتاريخ لاحق ١٩٣ بعد الميلاد لمقاله 'قوى النفس توابع لمزاج لبدن' قرن لمصدر
السبق لعدد ٤٧ علم ١٨٩٢ ص ٥١٠. ١٨٩٦ و ١٨٩ ص ١٨٩ .
١٩ - كما هو مشار إليه رقم ١١٩ .

20 - Seneca . Epist. 95-65 .

٢١ - الإنسان حر، وهو سيد ارادته، وليس هناك ما هو أجدر به من أن يضع
نفسه فى أعلى مراتب الشرف، وليس هناك شرفا أعظم من التشبه بالله
حسب القدرة الإنسانية وهذا الهدف يمكن تحقيقه بإهمال المتع، واللذات
واستبدالها بالخير : كراوس الجزء الثانى، ص ٤١ .
٢٢ - قارن على سبيل المثال كراوس ج ٢ ص ٣٥ "كل إنسان يمدح
ويعجب" .. وأولئك الذين يعتقدون فى تكريس حياتهم للنشاطات الحياة
العقلية مثل سقراط وأفلاطون وآخرون قارن N.H.Baynes, Byzantine
Empire (لندن ١٩٢٥) ص ٧٠ أو العمل السياسى والتشريعى مثل
سولون وآخرين الذين عملوا من أجل نفع البشرية ومن أجل الفلسفة
والحكومة على حد سواء فإن أولئك هم أفضل الناس ولم يسجل ممثلين عن
الصنف الثالث فى المختصر وللمرء أن يتشكك عما إذا كان جالينوس قد
ذكر أى "فيلسوف ملك على وجه التحديد فى النص الكامل لعمله، وأنا
لأؤكد أجد نظيرا لهذا البيان، واستطيع أن أوكد تقريبا أنه لايمثل وجهة
نظر جالينوس الأصلية، ولكنها ربما تعود إلى مصدر أكثر قدما، راجع
هـ.أ. ولفسون: فيلون، الجزء الثانى، مطبعة كمبردج ١٩٤٧، ص ٢١٨
ومايليها ، ص ١٦٥ .

٢٣ - ونجد المثال الأكثر تأثيرا ص ٣٩س ٢٠ ومايليها، كراوس، حيث يرتفع الجدل
الفلسفى للأسلوب المشائى إلى مستوى النشر الألبى، وسوف نتعامل مع هذا القسم فى
دراسة خاصة، (قرن ص ١٦٤ ومايليها).

٢٤ - فى طبعة كراوس للمختصر، توجد عشرة صفحات فى المقالة
الأولى، وسبع صفحات فى المقالة الثانية، وثلاثة صفحات فى المقالة

ص ٤٤٣ ح ، ٤٤ ب De Virt. mor - 32

٣٢- قارن ماسبق وصفحة ١٤٦ هـ ٤ .

المجلد الثالث رقم Stoicorum Veterum Fragmento II Coll, H.V. Armim - 34
٤٦٦.

٣٥ - بالنسبة لفترة حياة بوزيدونيوس قارن F. Jacoly ١٥٤، ٢ برلين ١٩٢٦
ص ١٥٤، ٢ .

٣٧ - قارن Edelstein كما هو مشار إليه ، صفحات ٣٠٥ ومابعدهما ،
وماسبق ص ١٤٤ هـ ٥ .

٣٨ - وهذا النزاع لم يكن بأى حال من الأحوال مجرد نزاع يعود تاريخه إلى
ماقبل عام ٢٠٠ عندما شرع جالينوس فيه واستغرقه لأسباب كلية، فالعداء
بين الأفلاطونية الحديثة والفكر الرواقى كان مازال محتدما وقد ساعد
النزاع القديم القضية المعاصرة .

٣٩ - جالينوس عن المسرات الرابع، مولر ص ٤٠١ س ١١-١٥ كوهن ص
٤٢٥ س ١٣-١٧ .

٤٠ - كراوس ص ٢٦ س ٥١ .

٤١ - ٧ ص ٤٤٧ أ س ١٠ ص ٤٤٩ د .

٤٢ - قارن جالينوس "عن المسرات" مولر ص ٣٩٧ س ١-٣ وكوهن ص
٤٢١ س ٧-٩ كما هو مشار إليه الخامس ، مولر صفحة ١٤٥-١٤٠، كوهن
ص ٤٢٩ س ١٠، ٤٣٠ س ٢ .

٤٤- قارن ماسبق ص ١٤٤ هـ ٥ و ص ١٤٥ .

٤٤ - فى فقرة حفظها ابو سليما السجستاني، قارن كراوس ص ٢٢ س ٢
ومايليها والفارابى ، الجمع بين رأيي الحكميين أفلاطون وأرسطو (قارن
كراوس أفلاطون عند العرب، نشرة المعهد المصرى ١٩٤٢ العدد، ٢٣
ص ٢٦٩ ومابعدهما) . Philosophische Abhandlungen ص ١٦-٢٠
(الترجمة ص ٢٧) ديتريشى الفارابى استبدال ببساطة أفلاطون بجالينوس .

- اندرنيقوس السكندرى (القرن الأول قبل الميلاد) Op. Stob. Anthol المجلد
الثانى صفحة ٤٩ س ٨، ٥٠ س ١٠ Wchsmuth .

٤٦- قارن Der platooniker Von Alexandria, Hermes. IXXiX : H. Dorrie

- اندرنيقوس السكندري ١٩٤٤ ص ٣١ وما بعدها .
- ٤٧- قارن الجمهورية ٦ و ٣٧٥ وما يليها ، وعلى سبيل المثال الجمهورية ٦، ٤٩٠ د ٤٩٦ ب ، وقارن فيدون ٨٢ . الأخلاق ص ٢٨ كراوس "ليس كل كلب أو حصان يمكن تدريبه" .
- 48- Leges 12,963 e: cf laches 196eff, Rep. 4.430b; Epin 975e and R.Walzer, Magna Moralia und aristotelische Ethik, Berlin, 1929 p. 207f .
- ٤٩- راجع E.R. Dodds : أفلاطون واللاعقل، جريدة الدراسات اليونانية، العدد ٦٥ عام ١٩٤٥-١٩٤٧ صفحات ١٦ وما بعدها، خاصة ١٨ وما يليها.
- ٥٠- قارن. Regenbogen في Kroll, Pauly-wissowa
- Altrtumswissenschaft Klassischen der Realenocyclopadie supplementband. v iii s. v 1488 Cal ، (لكن قارن الآن د.ج. الآن جريدة الدراسات الهلينية ، العدد ٧٧ عام ١٩٥٧ ص ٧ وما بعدها) .
- ٥١- قارن : فالترز المصدر السابق ص ٧ .
- ٥٢- راجع كراوس ، الرابع ، ص ٤٥ ، وما يليها .
- ٥٣- ويبدو ان المختصر قد اغفل الفصول الخاصة بالاطفال، وبدأ مباشرة بأخلاق الحيوانات .
- ٥٤- فرفوروس De abstinentia ٩،٣ (ص ١٩٩ ، Nauck ٨) .
- ٥٥- فرفوروس : المرجع السابق (ص ١٩٩ ، Nauck ٤) .
- ٥٦- جالينوس : 2,1 De usu port (كوهن، المجلد الثالث صفحة ٥٢س، وما يليها و Helm reich مجلد ١ ص ١٣ وما يليها) .
- ٥٧- فرفوروس : المصدر المشار إليه (ص ٢٠٠ س ٢٣ Nauck) .
- ٥٨- راجع جالينوس : Quod on. Virt ٧ (المجلد الرابع ص ٧٩٢ س ١٧-٧٩٣ س ٢ كوهين Scripta minora (٢) صفحة ٥٢ س ١٩-٥٣ Mc) .
- 59- Much relevant material has been collected by C. Toppe, De philonis libro qui inscribitur quaestiones selectae, dissertation Gottingen 1912.
- 60- Cf. Clemens Alex. Strom. II P.P.1104 ff.173-17 Stahim
- Olympiodarus, in phaed. P.45. 18ff. Norvin Elias, Cat P.1934 Busse. 60

Cf B. Snell : Die Entdeckung des Geistes studien zur Entstehung des europäischen Denkens bei den Griechen, (Hamburg 1946) P.P. 173-180.

٦١- راجع ما سبق ص ١٥٠ هـ ٤٠ .

٦٢- ويمكن للمرء ان يذكر وصفا لسمات حيوانات معينة من خلال اشارة جالينوس إليها في كتاباته الحيوانية : برلين ١٨٧٠ ص ٤٢٩ ، الارنب البري، المصدر السابق ص ٤٢١ ، الابل ، نفس المصدر ص ٢٣٥ ، الكلب ص ٤١٨ ، وبصفة عامة فإن عمل جالينوس يكاد يكون اشمل بكثير، راجع فالترز، المصدر السابق، ص ٢٠٠ .

٦٣- راجع ييجر : أرسطو، اكسفورد ١٩٣٤ ص ٣٥٢ و O.Regensbogen المصدر السابق، عمود ١٤٢٣.

٦٤- راجع شيشرون de fin مجلد ٣٩،٥ وما يليها . راجع هـ دالمير، حول أخلاق ثيوفراسطس، جريدة الفيلوجيا ٩٠ عام ١٩٣٥ ص ٢٤٨ وما بعدها، عن اشارات جالينوس للنبات، راجع ما سبق ص ١٥٩ ، والقصيدة الكوميديا فيلمون تأثرت بمذهب مشابه، راجع Stob Anthol المجلد الثالث ٢٦،٢ (ص ١٨٣ س ١٣ هانز) فالترز : Fab inc fr 3 Com iv P.32 M.Zum Hautontimo rumenos Des teremz Hermes العدد ٧ ١٩٣٥ ص ١٠٧ وما بعدها .

٦٥- راجع على سبيل المثال بلوتارك : De tranquillitate animee 13, De invidia 4 et otio 4 .

٦٦- فيلون السكندري طبعة Richter [٨٢٨-١٨٣٠] المجلد الثامن، ترجمة من الارمينية راجع H. leiseegang ، الفيلوجيا العدد ٩٢ عام ١٩٣٧ ص ١٥٢ وما يليها، أ.د. نوك، المجلة الكلاسيكية، العدد ٥٧ عام ١٩٤٣ ص ٧٨ .

٦٧- De sollertia animalium أنواع الحيوان

٦٨- De abstinentia

٦٩- جالينوس: عن المسرات المجلد السادس (ص ٤٥٧ س ٢-٦ مولر، ص ٤٧٦ س ١١ ، ٤٧٧ س ٢ كوهن) راجع ايضا المرجع السابق (ص ٤٣٨ س ١ مولر ، ص ٤٥٩ س ٧ كوهن الرابع ص ٤٠٠ ، ٥ (ص ٤٢٤ س ٧ كوهن) السادس ص ٤٩٠ وما بعدها مولر ، ٥٠٥ أو ما بعدها كوهن الخ ص ١٣٣ وما يليها مولر .

٧٠- كراوس ص ٢٨ س ١٥ .

- ٧١- كراوس ص ٤٥ س ٣ وما يليها .
- ٧٢- راجع ايضا بوزيدونيوس، ملحق جالنيوس فى المسرات، الخامس ص ٤٣٨ س ١٢ ص ٤٣٩ س ٣ مولر ، ص ٤٦٠ س ١٠-١٧ كوهن (شيشرون De off (I) ١٠٥ ، راجع ما سبق ص ١٦٢ هـ ١ .
- ٧٣- راجع أرسطو : تاريخ الحيوان ٨، ١، ٥٨٨، a ، ص ١٨٥ ص ١٥٥ هـ ١ .
- ٧٤- كتب جالنيوس رسالة خاصة عن الخجل فى كتابين (De libr. proprus Scr-minII) ص ١٢١ س ١٢ مولر، المجلد التاسع ص ٤٦ س ٤ كوهن .
- 75- Quod on Virt. ii (Scr.min.ii,P. 75.B=P. 817.4k.
- ٧٦- مرجع سابق ص ٧٥ س ١٣ مولر ، ص ٨١٧ س ٤ كوهن .
- ٧٧- مرجع سبق الاشارة إليه ص ٧٥ س ١٢ مولر . ص ٨١٧ س ٣ كوهن .
- ٧٨- راجع ما سبق ص ١٤٣ أرقام ٦، ٧ .
- ٧٩- من المحتمل ان هذا الفيلسوف كان ثيوافرسطس .
- ٨٠- كراوس ص ٢٣٨ س ١٠ .
- ٨١- راجع على سبيل المثال شيشرون عن الواجبات (I) ٤٦ .
- ٨٢- راجع لوبوفسكى : panaiton des Ethik Die ليبزج ١٩٣٤ ص ٣٧ وما بعدها، ١١٥ وما بعدها .
- ٨٣- راجع ص ١٥٥ رقم (I) .
- ٨٤- راجع شيشرون عن الواجبات L.Edelstein 8 iii سبق الاشارة إليه ص ٩٧-١٠٠ .
- ٨٥- جالنيوس : Quod on. Virt ٧-٨ بالنسبة لبوزيدونيوس، راجع عن المسرات، الرابع ص ٤٤٢-٤٤٣-١ مولر- و ص ٤٦٤-٨٠٤ .
- L.Edelstein مرجع سابق ارقام ٨٣، ٨٦ ، قارن اعلاه ص ١٤٧ هـ ٢ .
- 86- Scr. min. ii, p.75 6M=iv p.816 14k .

- ٨٧- كراوس ، ص ٣٠ (I) .
- ٨٨- ويمكن ان نجد فى فصل عن الأخلاق من النفس الناطقة (كراوس ص ٣٣) :
: تتركز الشجاعة فى تجنب ما هو وضيع وشائن، اكثر من كونها تتجنب ما هو مضر، ومؤذى، ومثال على ذلك الرجل الذى يفضل الموت عن الهزيمة فى الحرب، أو الذى يتحمل العذاب نظير عدم شهادة الزور ضد صديقه ، ويلاحظ هذا فى حالة عبيد Perennis ، راجع ص ١٤٤ رقم ٧ وموقفهم من سيدهم الرجل وبرغم عدم تلقىهم اى تعليم، الا أنهم تصرفوا

كما لو كانوا رجالاً ولدوا احرارا حيث انهم احرار بالفطرة . وهذا يدل على تواجد حب الأخلاق النبيلة عند بعض الناس فطريا، ويدحض ما يؤكد بعض الناس من ان النبل ينشأ فقط بالتعليم الصحيح " وفي العصر الهليني فقد اصبح من الاقل أو الاكثر شيوعا اعتبار العبد كائنا بشريا وليس مجرد اله حية، ولكي تستخدم وجهة نظر كهذه كبرهان لمذهب الأخلاق فإن هذا قد يبدو شاذا وليس له مثيل في عرفنا . هل ينبغي ان نعزو تلك البدعة المثيرة إلى بوزيدونيوس ؟

٨٩- دى بور ٨٤٧ ص ٢٥ س ٢٢-٤ كوهن ص ٣٧ س ١٢ .

٩٠- راجع . Scr.min ii. ص ٧٤ س ١١ مولر المجلد الرابع ص ٨١٥ س ١٧ كوهن، راجع أيضا الاقتباس Eupolis الكوميدي في القرن الخامس في نفس سياق جالينوس ١٠٧ (ص ٢٦ س ٦ دى بور = الخامس ص ٣٨) وقد تم ادخالها إلى المناقشة الفلسفية عن طريق بعض الفلاسفة الاسبق (ثيوفراستس) راجع Com, Graec, Meinek I (ii) ص ٥٧ ، شذرة ٩١ س ٢٨ Kock راجع ما سبق ص ١٥٣ (I) n .

٩١- ٧-١٤ دى بور (ص ٢٧ س ٧ ، الخامس ص ٣٩ س ١٣ كوهن) .

٩٢- ٧-١٥ دى بور (ص ٢٧ س ٧ . الخامس ص ٣٩ س ١٤، ١٤ كوهن)

٩٣- قارن أفلاطون، الجمهورية ٦-٩٤١ د؛ شيشرون عن الواجبات ٣٩، ٥-٤٠ .

٩٤- راجع بلوتارك De an tranq. ١٣ (٤٧ E2) القديس لوقا السادس ٤٤ B. Snell. Gnomon 13'1937'P. 578 .

٩٥ - راجع . Scr.mii ii. ص ١٠٧٤-١٥ مولر = الرابع ص ٨١٥ س ٧ ومايليها كوهن .

٩٦ - راجع شيشرون (I) de off ١١٠ - ١١٢ .

٩٧- راجع ماسبق ص ١٤٣ هـ ٦ وص ١٤٧ ٢ .

٩٨ - ص ٢٦ س ٨ ص ٢٧ س ١٨ طبعة القاهرة . ولا يعد كرواس أن هذا الفصل في عمل مسكويه وهو يشير إلى الأخلاق " ؟

٩٩ - هذا يناظر تقريبا عبارات فى ii, Scr . min , Quod.on virt. ص ٧٣ س ٦ .

١٢ = الرابع ص ٨١٤ س ١٠-١٤ كوهن ص ٧٤ س ٧٥، ١٢ - ١ مولر = الرابع ٨١٦ س ٧ ١٠٠ كوهن وبالنسبة إلى أولئك الفلاسفة الذين يعتقدون فى أصل الشر فى الإنسان، راجع ص ٧٦ س ٧-١٦ - الرابع ص ٨١٨ س ١-١٠ كوهن) .

١٠٠ - يقرر جالينوس في مقاله الأخير أنه لا يقدم كل الدلائل والبراهين المستخدمة ضد النظرية الرواقية. min. - Scrip ص ٧٥ س ١ مولر، الرابع ص ٨١٦ س ١٠ كوهن البرهان المشار إليه من قبل مسكويه لا يوجد في أى مكان آخر لكن راجع Scrip (ii) min Ae ص ٧٧-٥ ومايلها مولر=الرابع ص ٨١٩ - ٢ ومايلها كوهن.

١٠١ - ولا يوجد برهان ضد هذه المدرسة تم الاحتفاظ به في quodan. Vert ١٠٢- وهذا تقرير مهم وأود أن أنسبه إلى بوزيدونيوس، راجع ما سبق وجهة نظر افلاطون كما عبر عنها في فيدون ٩٠ وهى أقل تشاؤما.

١٠٣ - راجع رقم (I)، وص ١٦٠ هـ ٢-٤ .

١٠٤ - (ii) Scrip. Min ص ٧٥ س ٢-٥ مولر، الرابع ص ٨١٦ س ١٠-١٣ طوهن، راجع ص ٧٧ س ١٥ مولر= ٨١٩ س ٢ كوهن.

١٠٥ - المصدر السابق ص ٧٧ س ١٧ مولر=الرابع ص ٨١٩ س ١٣ كوهن.

١٠٦ - المصدر السابق ص ٧٨ س ١٥٨، راجع ما سبق ص ١٥٥ رقم (I) .

١٠٧ - المصدر السابق ص ٢٠٦٨ ديوجين اللايرسى، والمصدر السابق ٧٨.

١٠٨ - De placitis، الرابع ص ٤٣٧ س ٣، ٤٣٨ س ١٢ مولر=الخامس ص ٤٥٩ س ٣، ٤٦٠ س ١٠ كوهن .

١٠٩ - De placitis الرابع ص ٤٤٥ س ١٢٠٨ مولر = الخامس ص ٤٦٦ س ١٢ كوهن.

وبالنسبة إلى اهتمامه بقوانين أفلاطون، راجع أيضا Edelstein كما هو مشار إليه رقم ١٠٩، ١٠٦ - هـ ص ١٦٢ .

١١١ - De placitis الرابع ص ٤٤٥ س ٣، ٤٤٦ س ٧ مولر= الخامس ص ٤٤٦ س ١٧، ٤٦٧ س ٨ كوهن ١٠٨ س ٢ ص ٤١٠ .

112 - 2, P. 410 a .

113 - Strabo 2.3.8 Cf. above p, 148 n 3 .

١١٤ - تم نشر مقاطع جديدة من "الأخلاق" ومناقشتها من قبل س.م ستيرن الحوليات الكلاسيكية n.s.vi ١٩٥٦ ص ٩١-١٠٤ ويذكر أيضا باستشهادات مختصرى فى عمل جوزيف ابن اقفين وكان أول من اكتشفها شتيسيدر . Gesammelte Schriften، برلين ١٩٢٥ ص ٥٦ والتي نشرها H alkim . فى حوليات الأكاديمية الأمريكية للأبحاث اليهودية، العدد ١٤ عام ١٩٤٤ ص ٧٣، ٧٢، ٦٩، ٦٨ .

المصادر والمراجع

أولاً : كتب جالينوس

- ١- كتاب جالينوس إلى طوثرن في النبض للمتعلمين، نقل أبي زيد حنين بن إسحق العبادي المتطبب، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٢- كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين ، نقل أبي زيد حنين بن إسحق العبادي المتطبب، تحقيق وتعليق د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٣- كتاب جالينوس إلى إغلوqn نقل أبي زيد حنين بن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.
- ٤- كتاب جالينوس في التجربة الطبية، نقل حنين من اليوناني إلى السرياني، وترجمة جبيش من السرياني إلى العربي (النص العربي).
Galen on Medical Experience. The Arabic version with English trans. and Notes by R. Walzer. Oxford Uni, London
- ٥- كتاب جالينوس في الأسطقات على رأى أبقرط: نقل أبي زيد حنين بن إسحق العبادي المتطبب، تحقيق الدكتور محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٦- كتاب جالينوس إلى فيس فى الترياق، ترجمة حنين بن إسحق ، Eine arabische version Vorgelegt von butz Richter Bernburg Gattingen 1969', aus Berlin
- ٧- مختصر كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر لثابت بن قرة الحراني، اورسولا فاير، مجلة تاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمى العربى، حلب، المجلد السابع، العددان ١، ٢ عام ١٩٨٣.
- ٨- مقالة جالينوس في العادات F. Klein Franke: the Arabic version of Galen's Llepiewow JSAI (1) 1979 p. 125-150.

٩- جالينوس تلخيص طبيماوس -Plato Arabus : Galeni Compendium Ti
in A Edbus,maei platonis, Esiserunt: P. Kraus et R. Walzer
intituti Warburgiani. Lonodon. ويضم هذا المجلد : منتخبات من
جوامع كتاب أفلاطون في السياسة وجوامع كتاب النواميس.

١٠- جالينوس : مختصر من كتاب الأخلاق، مخطوطة مصورة عن معهد
المخطوطات العربية رقم ٢٨ فلسفة غير مفهرس . ونشرة كل من
كراوس مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية الجزء الأول من المجلد
الخامس مايو ١٩٣٧ ونقل عنها د. ماجد فخري في كتابه الفكر
الاخلاقي العربي ، الأهلية للنشر والتوزيع ط٢ بيروت ١٩٨٦ . ونشرة
د. عبد الرحمن بدوي في كتابه: دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ
العلوم عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
بيروت، ١٩٨١.

١١- من مقالة جالينوس في أن قوى النفس توابع لمزاج البدن، في بدوي
دراسات ونصوص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،
١٩٨١.

ثانياً : دراسات عن جالينوس في العربية

١- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا،
منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت د . ت.

٢- ابن باجة : تعليقات على كتاب العبارة للفارابي، تحقيق د. محمد سليم
سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٣- ابن البيطار : تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة، تحقيق
إبراهيم بن مراد . المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت
المحكمة)، تونس، ١٩٩٠.

٤- ابن الجزار القيرواني . كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تحقيق
سليمان قطاية : دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

- ٥- ابن جليل : طبقات الأطباء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة، الرسالة ط٢ ١٩٨٥.
- ٦- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس ج٢ دار الثقافة، بيروت د. ت.
- ٧- ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة ، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧.
- ٨- ابن رشد: تهافت التهافت ، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت ط٢ ١٩٨٦.
- ٩- ابن رشد : تلخيصات ابن رشد إلى جالينوس، حققه وعلق عليه م. كونثيبيثيون بانكيث دي بنينو ، النص العربي تحرير سالبادور غوميث توغالييس، المعهد الأسباني العربي، طبعة مدريد ١٩٨٤ . ونشرت الرسائل نفسها بتحقيق آخر هو :
- ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق جورج قنواى وسعيد زايد، مركز تحقيق التراث والاتحاد الدولي للأكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
- ١٠- ابن رشد : تلخيص ابن رشد للقياس تحقيق د. محمود قاسم أكمله تشارلز بتروث وأحمد هريدى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٣، وكذلك تحقيق عبد الرحمن بدوى، الكويت ١٩٨٤.
- ١١- ابن رشد : تلخيص البرهان، تحقيق عبد الرحمن بدوى، مع شرح البرهان الكويت، ١٩٨٤.
- ١٢- ابن رشد : شرح ابن رشد للبرهان، تحقيق عبد الرحمن بدوى، الكويت، ١٩٨٤.
- ١٣- ابن رشد : فى المزاج، تحقيق جمال الدين العلوى ، فى كتابه رسائل فلسفية: مقالات فى المنطق والعلم الطبيعى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٣.

- ١٤- ابن رشد : كتاب الكليات، وحدة البحث العلمى لکنهو، نيودلهى ١٩٨٤.
- وتحقیق اخر قام به : خ . م . فورتياس . ك الباريت دى موراليس، المعهد الأعلى للبحوث العلمية فى مدريد ١٩٨٧.
- وتحقیق ثالث قام به، سعيد شيبان - عمار الطالبي، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
- التحقیق الذى اصدره مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت باشراف د. محمد عابد الجابرى ١٩٨٨.
- ١٥- ابن رشد : تلخيص السياسة، ترجمة عن الانجليزية د. حسن مجيد العبيدى، د. فاطمة كاظم الذهبى، دار الطليعة، ١٩٩٨ وترجمة أخرى عن العبرية للدكتور أحمد شحلان ضمن مشروع الأعمال الكاملة لابن رشد اشراف د. محمد عابد الجابرى، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨.
- ١٦- ابن رشد : منطق ابن رشد، تحقيق وتقديم جبرار الجهامى، منشورات الجامعة اللبنانية فى ثلاث اجزاء، بيروت ١٩٨٢.
- ١٧- ابن زهر (أبو مروان عبد الملك) : كتاب التيسير فى المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشيل الخورى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، ١٩٨٣.
- ١٨- ابن سينا : الشفاء، المنطق ٣- العبارة، تحقيق محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.
- ١٩- ابن سينا : الشفاء ، المنطق ٤- القياس، تحقيق سعيد زايد، الهيئة المصرية لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٢٠- ابن سينا الشفاء ، الطبيعيات، الحيوان، تحقيق د. عبد الحليم منتصر وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.

- ٢١- ابن سينا : رسالة في السياسة في كتاب لويس شيخو : مقالات فلسفية، مطبعة البستاني ، القاهرة د. ت .
- ٢٢- ابن سينا : القانون في الطب، تحقيق د. على زيعور وآخرون، مؤسسة عز الدين للنشر، بيروت، ١٩٩٤ .
- ٢٣- ابن فائك (المبشر) : مختار الحكم ومحاسن الكلم ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . ط٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ .
- ٢٤- ابن ميمون (موسى) : رد موسى ابن ميمون القرطبي على جالينوس في الفلسفة والعلم الطبيعي، تحقيق شاخنت وماكس مايرهوف ، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، الجزء الأول من المجلد الخامس مايو ١٩٣٧ .
- ٢٥- ابن ميمون (موسى) : دلالة الحائرين : تحقيق الدكتور حسين آتاي نشرة كلية الإلهيات جامعة انقرة ١٩٧٢ .
- ٢٦- ابن النديم : الفهرست : تحقيق الدكتور شعبان خليفة وزميله (في جزئين) العربى للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١ .
- ٢٧- أبو بكر الرازي: الشكوك على جالينوس، حققه وقدم له بالفارسية والعربية والإنجليزية د، مهدى محقق، معهد الدراسات الإسلامية جامعة طهران ١٣٧٢هـ .
- ٢٨- أبو بكر الرازي : الفروق بين الأمراض، تحقيق د. سليمان قطاية معهد التراث العلمى العربى، حلب ١٩٧٨ .
- ٢٩- أبو بكر الرازي : كتاب القولنج، تحقيق د. صبحى محمود جمال، منشورات معهد التراث العلمى العربى، بحلب ومعهد المخطوطات العربية ١٩٨٣ .
- ٣٠- أبو سعيد بن بختشيو : رسالة في الطب والأحداث النفسانية، تحقيق وتقديم فليكس كلاين فرانكه، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧ .

- ٣١- أبو ريان (الدكتور محمد على) وزميله: مقدمة تحقيق كتاب حنين بن إسحق، المسائل في الطب، دار الجامعات، الإسكندرية د. ت .
- ٣٢- أبو الحسن العامري : السعادة والاسعاد فى السيرة الإنسانية، تحقيق د. أحمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.
- ٣٣- أحمد عبد الحليم عطية (الدكتور): علم الببليوجرافيا عند العرب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١.
- ٣٤- أحمد عبد الحليم عطية (الدكتور): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.
- ٣٥- د. أحمد عرفة القاضى : الفيلسوف المصرى على بن رضوان فى جزئين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٣٦- د. أحمد صبحى ود. محمود زيدان: فى فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥.
- ٣٧- أحمد عثمان نصر (الدكتور) : من اليونانية إلى اللاتينية عبر العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الثانى، القاهرة، ١٩٩٢.
- ٣٨- إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦.
- ٣٩- إسحق بن حنين : تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيد مع كتاب ابن جليل طبقات الاطباء والفلاسفة، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١.
- ٤٠- ادوارجى بروان : الطب العربى، ترجمة داود سليمان، مطبعة العائى، بغداد، ١٩٦٤.
- ٤١- بدوى (الدكتور عبد الرحمن): أفلاطون فى الإسلام، تحقيق ودراسة، دار الاندلس ط ٣ ، بيروت ١٩٨١.
- ٤٢- بدوى (الدكتور عبد الرحمن) دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

- ٤٣- بدوى (الدكتور عبد الرحمن): رسائل فلسفية، بنغازى، ١٩٧٣.
- ٤٤- بلدى (الدكتور نجيب): تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٤٥- البيهقى: تاريخ الحكماء، تحقيق محمد كرد على ، المجمع العلمى العربى، دمشق، ١٩٧٦.
- ٤٦- بينس: مذهب الذرة عند المسلمين ترجمة د. أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.
- ٤٧- تيسير شيخ الأرض : المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الانوار، بيروت د. ت.
- ٤٨- جمال الدين العلوى : المتن الرشدى ، مدخل لقراءة جديدة ، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٦.
- ٤٩- جيران الجهامى : مقدمة تحقيق منطق أرسطو، الجزء الأول، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢.
- ٥٠- حسام الدين الألوسى (الدكتور) : حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- ٥١- حربى عباس عطيتو (الدكتور) ملامح الفكر الفلسفى والدينى في مدرسة الإسكندرية القديمة، دارالعلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢.
- ٥٢- حنين (بن إسحق) : المسائل فى الطب . تحقيق د. محمد على أبو ريان وآخرين، دار الجامعات، الإسكندرية د. ت.
- ٥٣- حنين بن إسحق: العشر مقالات فى العين، تحقيق ماكس مايرهوف، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٢٨.
- ٥٤- حنين بن إسحق : رسالة إلى على بن يحيى فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم، د. عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١.

- ٥٥- دونالد كامبل : جالينوس وازدهار مدرسة الإسكندرية، مع مراجع خاصة لكتاباتاته التي ترجمت إلى العربية واليونانية واللاتينية والعبرية : المجلد الخامس من سلسلة تاريخ العلوم إشراف : فؤاد سيزكين.
- ٥٦- دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٥٧- رشيد الجميلى (الدكتور) : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الاسلامى فى القرنين الاول والثانى للهجرة، منشورات جامعة قاريونس ليبيا د.د.
- ٥٨- رشيد الجميلى (الدكتور) : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع عشر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- ٥٩- روسل ج . م . : تشريح العين : ابن الهيثم وتقاليد جالينوس، أبحاث المؤتمر الثانى للطب الإسلامى، المجلد الثالث، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت.
- ٦٠- روزنتال (فرنز) : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة د. أنيس فريحه، ط٤ دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٣.
- ٦١- ريشر، نيقولا : تطور المنطق العربى، ترجمة الدكتور محمد مهران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٦٢- ريشر، نيقولا : جالينوس والقياس، ترجمة د. إسماعيل عبد العزيز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١.
- ٦٣- سانتلانا دفيد : تاريخ المذاهب الفلسفية، مخطوط جامعة القاهرة.
- ٦٤- سلمان قطايه (الدكتور) : الطبيب العربى على بن رضوان، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، ١٩٨٤.
- ٦٥- سارثون (جورج) : تاريخ العلم، إشراف د. إبراهيم مذكور، الجزء الثانى، ط٣ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.
- ٦٦- السجستانى : صوان الحكمة : تحقيق عبد الرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤.

- ٦٧- سعيد شيبان ، د. عمار الطالبى : مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد الكليات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٦٨- الشهرزورى : تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح) تحقيق الدكتور محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- ٦٩- صاعد الأندلسى : طبقات الأمم، تحقيق ودراسة، حياة العيد بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥.
- ٧٠- عبد العزيز عزت (الدكتور) مسكويه وفلسفته الأخلاقية، وطبعه الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧.
- ٧١- عبداللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، المنشور في بول غليونجى عن عبداللطيف البغدادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
- ٧٢- عثمان أمين (الدكتور) : الفلسفة الرواقية ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩.
- ٧٣- على بن رضوان : رسالة فى الحيلة فى دفع مضار الابدان بارض مصر، تحقيق رمزية الإطرقجى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد . د . ت.
- ٧٤- على بن رضوان : كتاب الكفاية فى الطب (كفاية الطبيب أو فيما يصح من التجارب) المنسوب إلى على بن رضوان، تحقيق د. سليمان قطاية، دار الرشيد بغداد ١٩٨١.
- ٧٥- على بن رضوان المصرى : الكتاب النافع فى كيفية تعلم صناعة الطب، حققه وعلق عليه د. كمال السامرائى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٦.
- ٧٦- على القيم : ابن النفيس الدمشقى، دار دمشق، ١٩٨٨.
- ٧٧- الفارابى : كتاب فى المنطق (الخطابة) تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

- ٧٨- الفارابی : شرح كتاب العبارة تحقيق ولهلم كوتش اليسوعى وستانلى مارو اليسوعى، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٢.
- ٧٩- الفارابی : فى الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطو لأعضاء الإنسان، تحقيق د. بدوى فى رسائل فلسفية. بنغازى ١٩٧٣.
- ٨٠- فارجنتون (بنيامين) : العلم الإغريقى، ترجمة أحمد شكرى سالم، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٨١- القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء دار الإرشاد، بيروت د. ت.
- ٨٢- قنواى: مؤلفات ابن رشد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة، ١٩٧٨.
- ٨٣- قنواى: تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٨٤- كمال السامرائى (الدكتور) : مختصر تاريخ الطب العربى، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤.
- ٨٥- ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد، بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب فى بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٨٦- ماكس مايرهوف : مقتطفات من السيرة الذاتية لجالينوس فى المصادر العربية . المجلد السادس من تاريخ العلوم إشراف فؤاد سيزكين.
- ٨٧- ماكس مايرهوف : حول مصادر أصيلة ومزيفة لجالينوس تبعا للمصادر العربية، المجلد الخامس، نشرة فؤاد سيزكين.
- ٨٨- ماكس مايرهوف : الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس، المجلد الخامس، تاريخ العلوم، إشراف سيزكين.
- ٨٩- ماكس مايرهوف : الصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس، نشرة فؤاد سيزكين.
- ٩٠- ماكس مايرهوف : حول فقرة بقيت من كتاب جالينوس فى الأسماء الطبية، المجلد الخامس، نشرة فؤاد سيزكين.
- ٩١- ماهر عبد القادر (الدكتور): حنين بن إسحق، العصر الذهبى للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

- ٩٢- مبارك قاسم صالح البطاطي : أثر الفكر الرواقي المنطقي والأخلاقي في الفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٨.
- ٩٣- مجموعة من الباحثين : ابن أبي أصيبعة كتاب تذكاري مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
- ٩٤- مجموعة من الباحثين : أبو بكر الرازي وأثره في الطب العربي ، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٨.
- ٩٥- محمد منصف المرزوقي (الدكتور) الطب الإسلامي وجالينوس، أبحاث وأعمال المؤتمر الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١.
- ٩٦- محمود فهمي زيدان (الدكتور) المنطق الرمزي ، نشأته وتطوره، ط ٣ مؤسسة شباب الجامعات، الإسكندرية، ١٩٧٩.
- ٩٧- مسكويه : تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق ، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.
- ٩٨- مسكويه : الفوز الأصغر، تحقيق د. صالح عضيه، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧.
- ٩٩- مهدي محقق : كتاب الشكوك على جالينوس للرازي، مجلة تاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، المجلد ٩ العدد الأول ١٩٩١.
- ١٠٠- إيجي التكريتي (الدكتور) : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام ، دار الاندلس، بيروت.
- ١٠١- نشأت حمارة (الدكتور): الجديد حول الرازي في طب العيون، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٧٩.
- ١٠٢- نينا بيفوليفسكايا : ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة د. خلف الجراد ، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠.
- ١٠٣- وينبراج : تشريح الدماغ في أعمال جالينوس وعلى بن عباس المجوسي، المجلد الرابع من أبحاث تاريخ العلوم، نشرة سيزكين.
- ١٠٤- يحيى بن عدي : مقالات يحيى بن عدي ، دراسة وتحقيق د. سحبان خليفات ، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٨.

١٠٥- يوسف حبي (الدكتور) حنين بن إسحق ، مطبوعات مجمع اللغة
السريانية، بغداد، ١٩٧٤.

١٠٦- يوسف زيدان (الدكتور) مقدمة تحقيق رسالة في الأعضاء لابن
النفيس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١.

١٠٧- يوسف زيدان (الدكتور) مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس ، المختار من
الاغذية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢.

ثالثاً : موسوعات ورسائل جامعية:

١- البستاني : دائرة معارف البستاني، بيروت، ١٩٨٢.

٢- بدوى (د. عبدالرحمن) موسوعة الفلسفة، الملحق جزء ثالث، دار العلم
للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.

٣- فالنزر : مادة جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، طبعة
دار الشعب، القاهرة.

٤- إكرام فهمى حسين: التقليد الطبى المنطقى في مدرسة الإسكندرية،
رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٩١.

٥- إيمان محمد حامد عبدالقادر : دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقى فى
المصادر اليونانية والترجمات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة،
آداب القاهرة، ١٩٩٧.

رابعاً : المراجع غير العربية :

- 1- Walzer R. : New light on Galen's Moral philosophy, The classical
quarterly, vol. 43 1949 p. 82 ff ., Greek into 1970 Arabic,
University of South Carolina . Columbia S.C.
- 2- Walzer R. : A Diatribe of Galen. The Harvard Theological Review,
vol. 47, 1954 , p. 243 ff Greek into Arabic, Co 1970'lumbia S.C.
- 3- Reasher, R. M. Marnger : The Refutation of Alexander of A
phrodisias of Galen's, Islamic Research Institute Islamabad,
pakista
- 4 - Sarton, G: Introduction to the history of science, Baltimore.

فهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
تقديم للدكتور أحمد عثمان	٩
تصدير	١٣
مدخل : مصادر معرفتنا بجالينوس	١٧
الفصل الأول : جالينوس الطبيب	٢٧
تمهيد	٢٧
أولا : النقل والترجمة والدراسات الجالينوسية	٣٠
ثانيا : مرحلة التأييد والدفاع عن جالينوس	٣٤
ثالثا : مرحلة النقد والتعقيب على جالينوس	٤١
تعقيب	٤٨
الفصل الثاني : جالينوس الفيلسوف	٤٩
تمهيد	٤٩
أولا : مؤلفات جالينوس الفلسفية	٥٢
ثانيا : مصادر فلسفة جالينوس	٥٦
ثالثا : خصائص تفكير جالينوس الفلسفي	٦٥
تعقيب :	٧١
الفصل الثالث : جالينوس المنطقي	٧٣
تمهيد	٧٣
أولا : اهتمام جالينوس بالمنطق ومؤلفاته المنطقية	٧٤
ثانيا : منطق جالينوس والرواقية	٧٨

٧٩	ثالثاً : موقف المنطقة العرب من جالينوس
٨٤	تعقيب
٨٧	الفصل الرابع : جالينوس الأخلاقى
٨٧	تمهيد
٨٨	أولاً : كتابات جالينوس الأخلاقية
٩٤	ثانياً : الأخلاق والطب
١٠٧	ثالثاً : تأثير أخلاق جالينوس
١١٢	تعقيب
١١٣	الفصل الخامس : جالينوس فى الدراسات المعاصرة
١١٣	تمهيد:
١١٣	أولاً : الجهود الحديثة فى نشر وتحقيق اعمال جالينوس
١١٧	ثانياً : الاهتمام بأعمال جالينوس الطبية
١١٨	ثالثاً : الدراسات المعاصرة فى فكر جالينوس الفلسفى والأخلاقى
١٢٣	تعقيب :
١٢٥	الفصل السادس : الميتافيزيقا وطب جالينوس
١٢٥	تمهيد
١٢٦	أولاً : الطبائع والأمزجة الأربعة بين الفلاسفة وجالينوس
١٣٠	ثانياً : الإدراك البصرى بين الطب والفلسفة
١٣٦	ثالثاً : التأثير المتبادل بين الفلسفة والعلم عند جالينوس
		ترجمة دراسة فالترز ملحق: فلسفة الأخلاق عند جالينوس من
١٣٩	مصدر عربى مكتشف حديثاً
١٧١	المصادر والمراجع
١٨٥	الفهرس العام

هذا الكتاب

أن تأثير الطبيب والعالم الموسوعي والفيلسوف جالينوس على الفكر العربي الإسلامي يمتد من الطب إلى الفلسفة إلى الإسلام ممثلاً رافداً من أهم الروافد اليونانية الوافدة التي أسهمت في تشكيل فكرنا في القرون الأولى، في فترة التلاقى الحضارى فهو أحد العناصر الأساسية التي مهدت السبيل أمام الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة للتواجد مع الفلسفة الأرسطية والتمكين لها في تراثنا.

ومهمة هذا العمل بيان صورة جالينوس الموسوعية سواء في العلم أو الفلسفة، فهو كما يتمثل في وعينا القديم ليس فقط الطبيب ولا فاضل الأطباء ولكنه صاحب القول والرسالة أن على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفاً. لذا يسعى هذا العمل إلى توضيح جوانب فلسفته المختلفة والعلاقة بين الأسس الفلسفية والأفكار الميتافيزيقية من جانب والنظريات العلمية والطبية من جانب آخر. وإلى أى مدى كان الاتحاد بين هذين المجالين من العوامل المهمة التي ساعدت على قبول أعماله وكانت مصدر اهتمام الفلاسفة اللاحقين بهذه الأعمال سواء لدى الاسكندرانيين أو السريان أو العرب المسلمين.

إننا لا نهدف إلى توضيح صورة جالينوس الفيلسوف فقط بل أيضاً مناقشة إلى أى مدى كان الكندي وابن سينا والرازي ومكسوية والعامري وابن رشد متأثرين بجالينوس أو متجاوزين لأعماله العلمية مضيفين إليهما الجديد في رصيد تراثنا الحضارى.

أحمد غريب